الدكتور محمد سالم المقيد الورفلي

بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا

منشورات مصلحة الآثار

بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا

الأطروحة المقدمة إلى جامعة لندن لنيل درجة الدكتوراه

تأليف

د. محمد سالم المقيد الورفلي

مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية

منشورات مصلحة الآثار

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية
الإشتراكية العظمى

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغازي – ليبيا

رقم الايداع (4347)

ر.د.م.ك.: 2-2-9505-9959

هاتف: 9090509 – 9096379 – 9097074

بريد مصور: 9097073

البريد الالكتروني: nat_lib_libya@hotmail.com

اسم الكتاب

بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا

اسم المؤلف

د. محمد سالم المقيد الورفلي

الطبعة الأولى

سنة النشر: 2007

خالد علي بوزيد

تقـــــديم

بسم الله الرحمن الرحيم

إحياء التراث والمحافظة على صونه وحمايته من الطمس والتشويه والتدمير، عنوان ألتزمته مصلحة الآثار، عبر رؤية مرحلية، وصولاً إلى تحقيق ما يتطلبه الواجب والعلم والاستحقاقات الوطنية والإنسانية .

ويتضمن هذا التوجه الاهتمام بإثارة وعي الجماهير والمؤسسات والمهتمين بهذا المجال، وذلك بإصدار المطبوعات المتنوعة، التي تبرز ما لدى الجماهيرية من موروث ثقافي وتراث طبيعي يتميز بالثراء والتنوع والقيمة الأثرية والفنية العالية .

ووفقاً لهذا التوجه عهدت المصلحة إلى الأخ د. محمد سالم المقيد الورفلي - كما عهدت لغيره - بترجمة رسالته، الحائزة على درجة الدكتوراه، إلى اللغة العربية، بغرض طباعتها ضمن سلسلة المنشورات، التي يتبنى الإشراف على تقويمها وإجازتها ونشرها ، إدارة البحوث والمحفوظات التاريخية .

وهذه الرسالة التي بين أيدينا ، تتناول دارسة بعض الآثار الإسلامية بمنطقة الجبل الغربي، وتسلط الضوء على جوانب معمارية وفنية وتاريخية. ونأمل أن يتبعها المزيد من المطبوعات المتعلقة بإحياء تراثنا، الذي يستحق من الجميع كل الاهتمام والعناية .

جمعة محمد العناق

أمين اللجنة الشعبية لمصلحة الآثار

حمداً

الإهداء

إلى والدي اللذين علماني الاعتقاد بأنّ كل ما يحققه المرء من إنجاز في حياته . مهما كان مهماً ومتميزاً . لن يكون في الحقيقة إلاّ مساهمة متواضعة لخير البشرية . وأرجوا أن يكون هذا العمل مصنفاً في هذا الإطار .

المؤلف.

المحتويات

رقم الصفحة

تــقــــــــديم

إنّها لحقيقة متفق عليها ، أن ليبيا لم تنل إلا قليلا من الدراسات في مجال الفنون والآثار الإسلامية ، فلقد كان الاهتمام منصبا على المخلفات الإغريقية الرومانية . ويمكن أن يقال أيضاً أنّ حقبة ما قبل التاريخ قد حازت على قدر كبير من الاهتمام مقارنة بالآثار الإسلامية، التي لم يكتب لها حتى رصد وتسجيل معالمها . ولم يفتح هذا الباب إلا في أواخر الستينات من القرن العشرين. وعلى الرغم من ذلك فلازالت المعالم والمواقع الإسلامية الأثرية بحاجة ماسة إلى الدراسات الجادة والعناية العلمية . والهدف هو إلقاء مزيد من الضوء على حقب تاريخية ومفصلية في تاريخ هذا البلد .

إنّ منطقة جبل نفوسة تتصنف ضمن المناطق التي عانت من الإهمال في هذا المجال لفترة طويلة من الزمن. ولذا كانت هذه الدراسة، برغم ما اكتنفها من صعوبات، محاولة لإزالة بعض الغبار عن صفحات من التاريخ والمعالم الأثرية . ومن جهة أخرى محاولة لتمهيد السبيل أمام أولئك الذين يودون الذهاب إلى أبعد من هذا الهدف. وذلك بالسعي لإنجاز دراسات أكثر تفصيلاً وعمقاً . وعلى العموم فهذه الدراسة ربما تنجح في الإشارة إلى مواقع ومعالم إسلامية، يجب أن تحظى بالأولوية عندما يتقرر إجراء الحفريات الأثرية في هذه المنطقة .

ولعل الإشكالية الأساسية التي يواجهها الباحث في الدراسات الأثرية . هي الرؤية التاريخية المتزنة. وفي منطقتنا هذه لم تكن بالقدر الكافي . ولذا كان من أهداف هذه الدراسة العمل على تأطير رؤية تاريخية موضوعية للمنطقة، عبر القرون الإسلامية الأولى. ولقد تم توظيف المقارنة والقياس من أجل رسم الخطوط العريضة لهذا التصور. وهذا ما دعت إليه الضرورة العلمية ، وصولاً إلى تسليط الضوء على أقدم المعالم الإسلامية بجبل نفوسة .

محمد سالم المقيد الورفلي

مختصرات لبعض المراجع
مختصرات

العبر	ابن خلدون . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .
الكامل	ابن الأثير كتاب الكامل في التاريخ .
المغرب	البكرى . المسالك والممالك المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب.
البيان	ابن عذارى . كتاب البيان المغرب في ذكر الأندلس والمغرب .
السير	الشماخي / كتاب السير .
الفتح العربي	طاهر الزاوي / الفتح العربي لليبيا .
فتوح	ابن عبد الحكم . فتوح أفريقيا والأندلس .
معجم	طاهر الزاوي / معجم البلدان الليبية .
مواكب	علي معمر / الأباضية في موكب التاريخ .
رحلة	التيجاني / رحلة التيجاني .
A.O	Ars Orientalis
Chronique	Abu Zakaria / Chronique d' Abou Zakaria
S.R.I	Stanford Research Institute

المقدمة

على الرغم من توفر بعض المعلومات التاريخية وغيرها عن منطقة جبل نفوسة، من قبل عدد من المؤرخين والجغرافيين القدماء، إلا أن الجوانب الأثرية والفنية لم تكن محط اهتمام لديهم، والكتاب المعاصرون الذين اقتبسوا ما كتبه القدماء، أهملوا بدورهم هذا الجانب. وربما يعود هذا إلى العديد من الأسباب، ولعل من أهمها، صعوبة التنقل بالمنطقة، وصولاً إلى المواقع الأثرية الإسلامية، وكذلك قلة أهل التخصص المهتمين بخوض هذه المخاطرة مع وجود الأسهل دراسة، والأكثر قرباً من الطرق الممهدة والعمران.

إنّ مادة هذا البحث التي تشملها الدراسة والمناقشة، هي ثمرة لمجهود ميداني، تحقق بفعل الرحلات المتكررة لمنطقة الجبل. كما هي أيضاً جهد ونتيجة عون الجنود المجهولين. ويجدر القول بأن أغلب المباني الأثرية، التي تضمنها البحث. لم تكن في أعين أهل الجبل عمائر تاريخية وحسب، بل أمكنة تحظى منهم بالتقدير والاحترام، ويعود أصل هذا الأمر إلى الصلة التي تربطها بأهم الشخصيات العلمية بالمنطقة في القرون الإسلامية الأولى .

ولا يفوتني هنا أن أسجل عرفاني بالفضل للدكتور (جيزا فيهرفاري)، أستاذ الآثار والفنون الإسلامية بجامعة لندن، الذي كان منذ البداية محرضاً لي للخوض في غمار هذا الموضوع، والذي تم فيما بعد تحت إشرافه كتابة هذه الأطروحة، كما أن الشكر موصول إلى مصلحة الآثار. ويشمل هذا أولئك النفر الذين رافقوني في العديد من الرحلات، وأنجزوا كل ما كلفوا به متحلين بدرجة عالية من البذل والإخلاص . إنّ شكري موجه أيضاً إلى الأستاذ (سيجال)، الذي قام بترجمة النصوص العبرية وكذلك إلى الزملاء الذين ساهموا بقدر كبير في إثارة الانتباه إلى العديد من النقاط الهامة ولا أنسى أن أسجل تقديري للأساتذة : الدكتورة سعاد ماهر، عميدة كلية الفنون والآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، الدكتور طه باقر أستاذ الفنون الإسلامية، جامعة بغداد، والدكتور ديفيد وايت هاوس، الأستاذ والباحث في مجال الفنون والآثار الإسلامية. وذلك لما اكتسبته منهم من معلومات في هذا الميدان . وكذلك لما قدموه من توصيات تخصني إلى جامعة لندن. والفضل أولاً وأخيراً لمن يسر جميع الأسباب .

"الأرض والتاريخ"

ليبيا ، أو الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، هو الاسم الرسمي للدولة القائمة بالشمال الأفريقي، وتمتد أراضيها فيما بين جمهورية مصر العربية شرقاً، والجمهوريتين التونسية والجزائرية غرباً . وتقع ليبيا على جزء من الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، بين خطي الطول 9، 29 درجة شرقاً، وخطي العرض 19، 33 شمالاً. ويحدها من الجنوب النيجر وتشاد، ومن الركن الجنوبي الشرقي السودان . وتبلغ المساحة التقريبية للأراضي الليبية الشاسعة 754.000 1كم² (378، 677) ميل مربع ، وهذا يعني أنّ مساحتها تعادل مساحة الجزر البريطانية ثماني مرات ، كما أنها تزيد على مساحة فرنسا، إيطاليا، أسبانيا، وألمانيا الغربية مجتمعة[1].

ولا يوجد ما يعرف علمياً بالجبال على هذه الرقعة، ذلك أن سلسلة جبال أطلس تمتد من بلاد المغرب إلى الشرق، متدرجة في انخفاضها، لينتهي ظهورها بنهاية جبال مطماطة في الأراضي التونسية. وثمة - على أي حال- تلال مرتفعة بليبيا يطلق عليها مجازاً اسم الجبال. ويشمل هذا منطقة جبل نفوسة، أو الجبل الغربي[2].

ينقسم جبل اطرابلس (الجبل الغربي) إلى أربعة أقسام، وتعرف بجبل نالوت، جبل غريان، جبل يفرن، وجبل نفوسة . ويمتد القسم الأخير من الحدود التونسية إلى مسافة تبلغ حوالي 200كم (124ميل) إلى الشرق منها .

وتطل واجهة جبل نفوسة شمالاً على سهل الجفارة، وتتخلل هذه الواجهة العديد من الأودية الصغيرة والشعاب ، التي تدفع بمياهها في موسم الأمطار إلى سهل الجفارة . وهذا السهل يتسع في بعض أنحائه ليبلغ حوالي 80كم تقريباً، حيث يتصل بساحل المتوسط . وتقع الحمادة الحمراء ، التي تمتد لمسافة تبلغ حوالي 80 كم . في الجهة الجنوبية من الجبل الغربي[3].

ويمكن للمرء سلوك طريقين للوصول إلى جبل نفوسة، الأول يتجه نحو الجنوب حتى مدينة غريان، التي تبعد حوالي 94كم. عن مدينة اطرابلس، ثم يتجه غرباً مخترقاً بعض قرى جبل نفوسة . ويعرف هذا الطريق بالطريق العلوي. والطريق الثاني ويبلغ طوله حوالي 285كم، يمتد باتجاه الجنوب الغربي، ليصل إلى مدينة نالوت في أقصى الغرب. ويتفرع عن هذا الطريق

---

(1) Stanford Research Institute, Area handbook for libya, Washington 1969, p 9 .

(2) محمد المرابط ، حقائق عن ليبيا ، مالطا ، 1964، ص 13 .

(3) نفس المصدر ص 11، 11 ، S.R..I. op- cit . p.11

بعض السبل الصغيرة، التي تربط بعض مدن وقرى الجبل بالطريق الرئيسي، وهو ذات الطريق الذي يواصل امتداده جنوب نالوت، ولمسافة تقدر بحوالي 335 كم ليبلغ مدينة غدامس ذات الشهرة التاريخية والأثرية الواسعة .

وتبعد قرية (كاباو)، باتجاه الشرق، عن مدينة نالوت بمسافة تقدر بحوالي 87كم، أما قرية فرسطة القديمة، التي تحتل مبانيها سفح أحد الجبال، فتقع فيما بينهما، ويمتد وادي شروس من منطقة الحرابة إلى الجنوب الغربي من مدينة كاباو، ليلتقي في الشمال مع سهل الجفارة. وتتربع قرية شروس القديمة على هضبة صغيرة على الضفة الشرقية من الوادي. أما على الضفة الغربية فتظهر أطلال قرية تندميره. وتقع قرية ويغو القديمة على مسافة 7كم إلى الجنوب الشرقي من شروس، حيث تنتشر بقايا آثارها على أرض منبسطة خلافاً لما عليه القرى المشار إليها سابقاً، وإلى الشرق منها بمسافة تقدر بحوالي 50كم، على الطريق العلوي توجد منطقة (الرحيبات) . والى الشرقي منها، وعلى مسافة حوالي 36كم. تظهر مدينة (جادو)، المطلة على سهل الجفارة. ويستمر امتداد الطريق وصولاً إلى مدينة (يفرن)، ثم مدينة (غريان). وهي المدينة التي تعد ملتقى الطرق بالجبل الغربي.

لم ينل جبل نفوسة ذلك الاهتمام من قبل المؤرخين القدماء، ولعل أهم ما جاء بخصوصه من إشارات، وردت عن طريق ابن حوقل والبكري وكتاب الاستبصار .

يقول ابن حوقل، أنّ جبل نفوسة عبارة عن منطقة جبلية عالية، وتقع كل من مدينة شروس وجادو بوسط هذه المنطقة. وبكل منهما جامع ومنبر، كما يشير إلى أن سكان الجبل أباضيو المذهب، ولم يستقر بهذه المنطقة إلا الخوارج منذ فجر الإسلام [4].

ويذكر البكري أن جبل نفوسة يقع على مسيرة ستة أيام من اطرابلس. وكانت به قبيلة تسمى (بني زمور). ولها حصن منيع. وإلى جوارها توجد قبيلة أخرى تدعى (بنو تندميرة). ولها ثلاثة حصون، وتقع مدينة جادو بين هذه القبائل، حيث توجد الأسواق، وجمع من اليهود. كما أن البكري أشار إلى أن شروس هي المعروفة بأم قرى جبل نفوسة، ويسكنها الأباضيون. وأضاف إلى هذا، أنه لا يوجد جامع بمدينة شروس، ولا بالقرى التي تحيطها، والتي تبلغ ثلاثمائة قرية[5] .

---

[4] ابن حوقل ، صورة الأرض، طبعة كرامرز، ليدن، 1938-9 ، ص 94-5 .

[5] البكري ، المسالك والممالك، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، طبعة دو سلاين (de slane)، القاهرة، 1857، ص 9 .

تمهيد تاريخي :

يتعرض ابن خلدون إلى ذكر البربر، ويسهب أكثر من غيره في الحديث عنهم، ويكفي أن نقتبس منه العبارة التالية، التي تتضمن وتختزل الكثير: (وما تشهد أخباره كلها بأنّه جيل عزيز على الأيام، وأنّهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم، كثير جمعهم، مظاهرون لأمم العالم وأجياله من العرب والفرس ويونان والروم)[6].

ربما لا نجانب الحقيقة عندما نقول أن معلوماتنا عن أصول الليبيين قليلة جداً، ولعل الدراسات التي أجريت في حقل ما قبل التاريخ، والأبحاث المتعلقة بعلم الإنسان قد ألقت القليل من الضوء على هذا الموضوع. والراجح حتى الآن أنّ أول ذكر لليبيين يرجع تاريخه إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، ولقد وثقت هذه الإشارة في نص مكتوب يعود تاريخه إلى العصور المصرية القديمة [7].

تشير الدراسات على أنه بحلول القرن العاشر قبل الميلاد، استوطن البلاد مجموعات من الناس عرفت بالليبيين، الذين عرفوا فيما بعد باسم البربر[8]، وعلى الرغم من تعرض الباحثين إلى تفصيل أكبر بشأن الموضوع[9]، إلا أننا لا نستطيع الجزم بحقيقة أصول البربر، أو المناطق التي قدم منها البربر أصلاً. ولقد تشعبت الآراء حقيقة حول هذا الأمر، فمن قائل بمجيئهم من منطقة بأعالي النيل، ومنهم من يقول أنّهم من أجناس البحر المتوسط، وآخرون يشيرون إلى إثيوبيا، ويضيفون إلى ذلك أنّهم من نسل الحاميين. ويبقى من يرجع أصولهم إلى الساميين بالجزيرة العربية[10].

ولقد ظلت المعلومات التي سطرها المؤرخ اليوناني هيردوت حول القبائل الليبية ثابتة[11] حتى الفترة الرومانية، حيث بدأنا نسمع منذ القرن الثالث الميلادي

---

(6) ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ، 1867، المجلد السادس ، ص ، 103- 4 .

(7) I.E.L. Haynes, Antiquities of Tripolitania, kent, 1965, pp. 18-22 .

(8) E.Rossi, Storia di Tripoli e della Tripolitania dalla conquista al 1911, Roma 1968, p. 4- 5 .

أنظر أيضا حامد عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، تونس 1968، ص 13 .

E - F, Gautier, le passé de L'Afrique du Nord Trans.

ترجمة الحسيني ، طرابلس ، 1970، ص 147 - 8 .

(9) . Gautier , op . cit , p. 27 .

ابن عبد الحكم ، فتوح أفريقيا والأندلس دار نشر الطباع ، بيروت ، 1964ن ص .27 – 8 ، أنظر أيضا ابن خلدون ، العبر ، ص ، 89 – 97 .

(10) Haynes, op. cit, p. 18 .

(11) أنظر المصدر السابق ص ، 18 – 9 ، أنظر أيضا .

A. fantoli, la Libia , Roma, 1933, pp. 7, 15 – 6.

وفقا للطاهر الزاوي أن الجرمانيتين فخذ من قبيلة بني مصالة ، التي تنتمي إلى لواته .

بأسماء جديدة مثل واسيلي والأستوريين. وإنّه من الصعب أن نحدد أن هذه القبائل من القادمين الجدد إلى البلاد، أم أنها أسماء جديدة أعطيت للقبائل المذكورة آنفاً[12].

ويصف هيرودت القبائل الليبية بأنهم قوم رحل يشربون اللبن ويأكلون اللحوم. ومن المعروف أنّ للحضارة الفنيقية تأثير على بعض البدو الرحل، إذ أنّهم ألفوا حياة الاستقرار وزاولوا الزراعة[13]. وكانت هذه القبائل تتكلم لغة تطورت تدريجياً، لتتفرع إلى عدّة لهجات وتعبيرات تميز هذه القبائل، ولا يزال بعضها موجوداً إلى وقتنا الحاضر، ونلمس هذه الظاهرة في كل من غدامس، سوكنة جبل نفوسة، زوارة، وجربة، وكذلك في وسط بلاد الجزائر. ويجدر بنا أن نذكر أن اللغة الفنيقية قد انتشرت بين القبائل وعاشت حتى بعد غزو البلاد من قبل الرومان، واندحار الفنيقيين من الشمال الأفريقي[14].

تبين من الأدلة الأثرية في مجال الدين والعقيدة أن الليبيين القدماء عبدوا الشمس والقمر، ولقد كان ذلك بتأثير المعتقدات المصرية القديمة[15] . ولا جدال حول تأثرهم فيما بعد بالرؤية العقدية للفنيقيين الساميين، ولم يزل هذا الحال إلى أن وصلت المسيحية إلى البلاد،واستمرت بها حتى مجيء الفاتحين العرب المسلمين.

إنّ الفنيقيين الذين يلتقون مع العرب في الجنس السامي، بدأ تحركهم إلى غرب البحر المتوسط، قبل ألف سنة من الميلاد تقريبا، ونحن لا ندري بالتحديد بداية استقرارهم بليبيا،ولكن الذي تعرفه أنهم قد بسطوا سيطرتهم على الجزء الشمالي الغربي من البلاد، في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، وقاموا بتأسيس المدن التجارية الثلاث : لبدة الكبرى،اطرابلس (أويا)، وصبراته . وفي ذات الوقت نجح الإغريقيون في غزو الجزء الشمالي الشرقي، وتم لهم أيضاً الاستقرار وبناء المدن، وكان الفاصل بينهم وبين الفنيقيين خليج سرت، (منطقة فيلينورم)[16].

لقد سبب احتلال الفنيقيين ل (ميسينا) في عام 265 قبل الميلاد حرجاً وخطراً للرومان. الأمر الذي دفعهم إلى التفكير والعزم على وضع حد، بل نهاية لغريمهم ومنافسهم في منطقة البحر المتوسط . ولذلك كان احتلال ميسينا بداية

أنظر الظاهر الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، طرابلس ، 1968، ص ، 101 – 2 .

[12] أنظر المصدر السابق ، Rossi, op. cit, pp. 5 – 6. Fantoli, p.101

[13] أنظر ، Rossi, op, cit, p. 5. J.S. Nickerson, A short history of North Africa. New york , 1968.p.21.

أنظر أيضا ، عبد الوهاب ، نفس المصدر ، ص . 17 .

[14] أنظر ، Rossi, op. cit , pp. 10 – 1. Gautier, op. cit, pp. 91, 94

[15] أنظر ، . Haynes, op. cit, pp. 21 – 4

[16] Ibid, pp. 25 – 8. Rossi, op. cit, pp. 7- 10 Nickerson, op. cit, p. 12 .

للحروب البونيقية، التي انتهت في سنة 146 قبل الميلاد. ولقد كانت نهايتها فاجعة للفنيقيين، حيث تمكن الرومان من احتلال وتدمير قرطاج[17]. وبهذا أسدل الستار على حكم الفنيقيين لتحل محله سيطرة الرومان[18]. ويمكن القول أن حكم قرطاج قد بدأ في الأفول أبان القرن الثالث قبل الميلاد .

ويبدو أن الرومان لم يكتفوا بتدمير قرطاج، إذ أن القلق ساورهم بشأن الانتفاضات المسلحة، ولذا أسسوا حكمهم المباشر بأفريقيا .

أصبحت المدن الثلاث جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، قبل وقت قصير من احتدام الصراع على السلطة في الإمبراطورية . ولقد انتهى ذلك الصراع بانتصار اكتافيوس في معركة أكتيوم عام 31 قبل الميلاد[19]. ولقد واجه الرومان مقاومة شديدة من قبل الليبيين المتحصنين في المدن الساحلية، ولكنّهم لم يلبثوا أن بسطوا سيطرتهم على هذه المدن، واستمر تقدمهم نحو الجنوب حتى وصلوا إلى مناطق الجرمانيتين بفزان في الجنوب الليبي .

كان عهد الإمبراطور سبتميوس سيفروس (193-211م) عهداً متميزاً في ليبيا. ففي هذه الفترة بني حصن أبى نجيم على الطريق الممتد من طرابلس إلى جنوب البلاد. وبعد سنوات قليلة أنشأ الرومان حصني القريات الغربية وغدامس (سيدا موس)[20]، وقد كان الغرض من بناء هذه الحصون تحقيق هدفين أساسين . الأول إنشاء خط دفاعي لحماية المدن الثلاثة من هجمات القبائل الليبية، والثاني استخدام هذه الحصون كقواعد للانطلاق باتجاه الأراضي الواقعة بجنوب البلاد .

ويبدو أن انتهاء حكم أسرة سيفروس قد ارتبط بظهور الانتفاضات في البلاد، ومن جهة أخرى كان بداية لانحسار وانهيار الحكم الروماني في ليبيا .

لقد كان عام 439م. تاريخاً لاحتلال قبائل الوندال، القادمين من أوربا، لمدينة قرطاج[21]. وعلى الرغم من احتلالهم وسيطرتهم على المدن الثلاثة، والتي استمرت لمدة قرن تقريبا، فالحقيقة أنهم لم يؤسسوا لهم بها وجوداً قوياً ومستقراً، ومما يؤكد هذه الحقيقة اندحار الوندال في أول مواجهة مع الجيش البزنطي عام 531، 32م[22].

---

(17) أنظر، Nickerson, op. cit , pp. 11- 2 . Rossi, op. cit, p.8. H- G. Welles, the outline of History, Newyork, 1931, pp. H32- 3, 439- 48 .

(18) اسم الثلاثة مدن ظهر لأول مرة في القرن الثالث قبل الميلاد ، ويعني كل الأراضي الممتدة بين خليج سرت وخليج قابس في تونس ، والمدن الثلاثة تحديدا هي : طرابلس (أويا) ولبدة الكبرى وصبراته ، والمزيد من التفاصيل أنظر : Rossi, op. cit, pp. 3- 4 .

(19) أنظر، Haynes, op. cit, p. 11 .

(20) أنظر، Ibid, pp. 39 – 40 . Nickerson, op , cit, pp. 22 – 9 .Gautier, op. cit, pp. 92 – 4 .

(21) أنظر، Haynes, op. cit, p . 61 .

(22) أنظر، Rossi, op. cit, p, 20. Nickerson- op- cit. p. 46.

وتدلل المخلفات الأثرية على أنّ النفوذ البزنطي لم يتجاوز الشريط الساحلي. ويعود هذا الأمر إلى العداء الذي واجه به المواطنون الجيوش الغازية. ومما يؤكد هذه المشاعر أنّ البزنطيين كانوا منشغلين بإخماد حركة المقاومة، والانتفاضات المتكررة[23]. ولم ينته حكم البزنطيين حتى ظهر على مسرح الأحداث، إبان العصور الوسطى، القبيلتان البربريتان، نفوسة، وهوارة. وهما القبيلتان اللتان قدر لهما أن تلعبا دوراً مهما وحاسما في حركة التاريخ وأفاق الجغرافيا السياسية[24].

وبمراجعة هذه الومضات التاريخية، يتبين كيف توالت أيدي الحكم على ليبيا، قبل مجيء العرب إلى هذه البلاد، كما يتبين أيضاً أن السكان كانوا يلتزمون دوماً موقف الرفض والمقاومة للجيوش الغازية. وعلى الرغم من هذا الموقف المعادي، لم يكن ذلك ليمنع السكان من التأثر ببعض الأفكار وطرق العيش لدى الحملات العسكرية المتعاقبة.

ولقد ترسخ التأثير البونيقي في المدن الثلاث، كما في أجزاء أخرى من الشمال الأفريقي حتى بعد سقوط مدينة قرطاج. وكان للغة البونيقية التي تكلمها الليبيون إلى جانب الأغريقية والرومانية، عظيم الأثر في حياة السكان، ومما يدلل على ذلك، الأسماء البونيقية، التي تسمى بها الناس، إضافة إلى المصطلحات البونيقية في الإدارة والحياة الدينية[25].

ولا يغرب عن البال أن انتشار اللغة البونيقية عبر زمن طويل، قد ساعد فيما بعد على تمهيد الأرضية لانتشار اللغة العربية، على نطاق واسع بين الناس، كما أنّه لا يفوتنا العلم بأنّ المعتقدات البونيقية هي فنيقية الأصل. وهذا الأمر قد يسر للناس اعتناق المسيحية، ثم الإسلام دون إشكاليات[26].

ولا يعني هذا أنّ الحضارة الرومانية لم يكن لها تأثير على البلدان اللاتينية الجديدة (Neolatin)، إلا أن هذا التأثير كان بعيداً عن إطاري اللغة والتقاليد البربرية. وبالمقابل فالعمارة والفنون الرومانية لا زال لها الأثر الملحوظ على الأطلال القائمة في البلاد[27].

ولقد أضافت الحفريات الأثرية الحديثة في ليبيا، معلومات جديدة إلى معارفنا المتعلقة بمناطق المدن الثلاث في الفترة الرومانية، فالمسيحية مثلاً قد

---

(23) أنظر ، Haynes, op, cit, pp – 66 – 7 .

(24) Ibid, p. 67 .
أنظر أيضا ، حسين مؤنس ، فتح العرب لبلاد المغرب ، القاهرة ، 1947، ص 50- 1 .

(25) Rossi, op. cit, p. 10. Fantoli, op. cit, p. 49.

(26) Rossi, op, cit, pp. 10- 1. Gautier, op. cit, pp. 91, 100- 1 .

(27) Haynes, op. cit, pp- 41- 4 .

اعتنقت من قبل السكان المحليين في العهد الروماني، ولكن المذهب الكاثوليكي لم يكن له وجود إلا بعد الدعاية له من قبل البزنطيين[28]. كما أنّه على الرغم من حكم البزنطيين لفترة طويلة من الزمن، فالمعلومات المتوفرة لا تنسب إليهم أثراً باقياً في مجال الفنون والعمارة. ولكن الثابت أنّ نظامهم الإداري حقق نجاحاً وفاعلية[29].

ولم يكن عمرو بن العاص، بعد فتح مصر، في سنة 21هـ - 642م. مقتنعا بأنّه حقق نصراً كاملاً. ذلك أنّه رأى أنّ الجهة الغربية من البلاد المفتوحة، تبقى باستمرار تحت تهديد وخطر البزنطيين[30]. ولذا تقدم إلى برقة ثم إلى الغرب، قاصداً فتح ما يليها من المدن. وأثناء ذلك بعث بفرقة من جيشه، بقيادة عقبة بن نافع ، ليقطع الصحراء جنوباً، وواصل عمرو سيره باتجاه اطرابلس[31]، بينما قطع عقبة الصحراء حتى وصل إلى زويلة[32].

ولم يلق جيش ابن العاص مقاومة تذكر حتى توقف على مشارف اطرابلس. وكانت قد امتنعت عليه بتحصيناتها المنيعة. فعزم عمرو على محاصرتها. وفي هذه الأثناء وصلت رسالة إلى نفوسة طلباً للنجدة وكسر الحصار[33]. ولم تزودنا المصادر بما يفيد أنّ نفوسة قد لبت الطلب .

ولم يكتمل شهر واحد على حصار اطرابلس حتى سقطت في أيدي المسلمين. وفتحت المدينة عنوة في سنة 22هـ - 643م. ولم يلبث الجيش الإسلامي أن واصل زحفه نحو الغرب، وتم له الاستيلاء على المدينة الثالثة صبراته (صبره)، التي استسلمت دون مقاومة[34]. وكان عمرو قد أرسل بفرقة من الجيش، بقيادة بسر بن أرطأة، إلى منطقة ودان[35] بالجنوب الليبي، بينما انطلق عمرو بن العاص من مدينة صبره نحو شروس، حاضرة جبل نفوسة، وتمكن من وضع يده عليها دون عناء يذكر[36] .

ولقد تبين لعمرو بن العاص بعد فتح قرية شروس، أن التقدم غرباً سيواجه بتحديات كبيرة، ولعل من أهمها جيش جيرجير يوس الكثير العدد، وابتعاده عن

---

(28) Ibid, pp. 66- 7 .

(29) Rossi, op. cit, p. 22 .

(30) أنظر : حسين مؤنس، المصدر السابق، ص 26 . وقارن ص . 27 ، كتاب Rossi,

(31) أنظر ، البلاذري ، فتوح البلدان ، القاهرة، 1932، ص 227. والبكري ، نفس المصدر ، ص 8 وابن الأثير ، كتاب الكامل في التاريخ طبعة ليدن ن 1867، المجلد الثالث ، ص 19.

(32) أنظر ، البكري، نفس المصدر، ص . 10 وابن عبد الحكم ، نفس المصدر ، ص . 30 .

(33) أنظر ، التجاني، رحلة التجاني، تونس 1958، ص 10، وقارن حسين مؤنس ، نفس المصدر ، ص 63 .

(34) أنظر ، ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص 30-32 ، وقارن ، ابن الأثير ، نفس المصدر ، ص 19- 20 .

(35) أنظر ابن عبد الحكم، (فتوح) ص . 50- 1 . وانظر أيضا ، البكري ، نفس المصدر ، ص . 12 .

(36) البكري (المغرب) ص . 12 .

قاعدة الأمداد الرئيسية في مصر، ولذا تطلب هذا الأمر، مراجعة الخليفة عمر بن الخطاب بهذا الشأن، كما أنه طلب الإذن والموافقة على مواصلة التقدم باتجاه أفريقية (تونس)[37]، والراجح أنّه بعث برسالته قبل مغادرته شروس، قافلاً إلى مدينة اطرابلس .

وكان نص الرسالة التي بعث بها عمرو بن العاص كالتالي :

(إنّ الله قد منّ علينا بفتح اطرابلس، وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام فإن رأي أمير المؤمنين أن يغزوها فتحها الله على يديه) .

لم تكن رؤية عمرو بن العاص موافقة لما يراه الخليفة، ولذا جاء الرد على النحو التالي :

(لا إنّها ليست بأفريقية، ولكنّها المفرقة، غادر مغدور بها لا يغزوها أحد ما حييت)[38] .

عاد عمرو إدراجه إلى مصر، بمجرد استلامه لرسالة الخليفة ولم يكتمل بعد عام 23هـ - 644م. ومما يدعو إلى التساؤل والاستغراب، أنّ عمرو بن العاص لم يترك وراءه من ينوب عنه في حكم اطرابلس. أما بالنسبة إلى برقة فقد ولى عليها عقبة بن نافع .

وانتهت الحملة الإسلامية الأولى على ليبيا. وكانت شروس وزويلة أقصى نقطتين وصلهما المسلمون إلى الغرب والجنوب[39] . ويبدو أن مقصد عمرو من هذه الحملة، كان بالدرجة الأولى استكشافاً وإعداداً للحملات المستقبلية. وربّما على أساس هذه الرؤية، نستطيع أن نفسر الغموض، الذي اكتنف عودته إلى مصر دون أن يخلف وراءه أحداً في حكم أغلب البلاد المفتوحة[40] .

وبعد سنوات قليلة، وبالتحديد في سنة 27هـ - 648م[41]، قاد عبد الله بن أبي السرح الحملة الإسلامية الثانية نحو أفريقية (تونس) ولم يلق عبد الله ما يعرقل تقدم جيشه حتى وصل إلى مدينة صبيطلة. فعلى أبواب هذه المدينة وقعت معركة كبيرة، انتهت بمقتل جيرجيروس وفتح المدينة، في عام 28هـ - 649م[42].

---

[37] يعتبر اسم أفريقية الاسم القديم عند العرب لتونس وأجزاء من الأراضي الجزائرية ، وكان عمرو بن العاص يعني بهذا الاسم الأراضي الواقعة إلى الغرب من ليبيا .

[38] أنظر ، ابن عبد الحكم ، نفس المصدر ، ص 33 .

[39] أنظر ، ابن عذاري ، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ليدن ، 1948، المجلد الأول ، ص 8 .

[40] المصدر السابق ، ص 9 ، أنظر أيضا ، ابن عبد الحكم ، نفس المصدر ، ص 34 .

[41] أنظر البلاذري ، نفس المصدر ، ص 228 .

[42] أنظر مؤنس ، ص 105- 6 ، وابن الأثير ، الكامل ، المجد 3 ، ص 70. وابن عذاري ، البيان ، المجلد 1 ص 11- 3 ، وابن عبد الحكم ، فتوح ، ص 35 .

ولم يلبث بعدها أن قفل عبد الله عائداً إلى مصر، وفعل ما فعله سلفه عمرو بن العاص، حيث لم يترك من ينوب عنه في حكم الأراضي المفتوحة. ولذا لم تؤسس هذه الحملة، كما هي سابقتها حكماً مباشراً في المنطقة التي وقعت بأيدي المسلمين .

ولقد أحدث اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فتنة كبرى في أرجاء الدولة الإسلامية، ونتيجة لذلك توقفت الحملات العسكرية على الشمال الأفريقي لفترة من الزمن، ولم تكن الظروف مواتية لهذا الأمر حتى تولى الأمويون السلطة في عام 41هـ - 661م .ونقلوا حاضرة الدولة الإسلامية إلى دمشق[43] .

ولقد عين الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، معاوية بن خديج قائداً للحملة المتوجهة لفتح بلاد المغرب في سنة 45هـ - 666م[44]. وعلى الرغم من المدة التي استغرقتها الحملة، والتي قاربت ثلاثة سنوات، لم تحقق من النتائج ما كان يطمح إليه الخليفة الأموي. ولذا فقد تلتها حملة عسكرية أخرى بقيادة عقبة بن نافع. ولقد تمكن هذا القائد من بناء مدينة القيروان بتونس، وكانت هذه المدينة أول إنجاز إستراتيجي يحققه المسلمون في عمق الشمال الأفريقي في عام 51هـ 671م[45] .

وتجدر الإشارة إلى أن عقبة خلال السنوات 49، 55 هـ - 669، 75م، كان قد توغل في أراضي الجنوب الليبي حتى وصل مدينة جرمه، وتوجه بعد ذلك إلى مدينة كاوار في العمق الأفريقي، وأثناء وجود عقبة بن نافع في هذه المناطق أقدم كثير من السكان المحليين على اعتناق الدين الإسلامي .

وعاد عقبة إلى حاضرة الدولة الإسلامية بأمر من الخليفة الأموي في سنة 55هـ 675م[46]. وترك وراءه أبا المهاجر دينار قائدا للجيش الإسلامي بأفريقية، ولم يلبث أن عاد عقبة بن نافع إلى قيادة الجيش الإسلامي وذلك بعد أن توفى الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وتولى ابنه يزيد الخلافة من بعده، في عام 62هـ - 682م[47].

وسار عقبة بجيشه هذه المرة باتجاه بلاد المغرب، ولم يتوقف في تقدمه حتى لامست سنابك فرسه مياه المحيط، وأثناء عودته وقع في كمين نصبه له

---

[43] ابن عذاري ، البيان ، المجلد ن 1- ص 15 ، وابن الأثير ، المجلد 3 ، ص 342 .

[44] ابن عذاري ، البيان ، المجلد ، ص 16- 7 .

[45] ابن الأثير ، الكامل ، المجلد 3 ، ص 387 .

[46] ابن عذاري ، البيان ، المجلد ، ص 21، وابن عبد الحكم ، فتوح ، ص 55 .

[47] ابن الأثير، الكامل ، المجلد 4 ، ص 89، البلاذري ، نفس المصدر ن ص 230 .
أنظر أيضا ، ابن عذاري ، البيان ، المجلد 1، ص 23 .

البربر، فقتل في منطقة تعرف باسم تهودا[48]. ورأى زهير بن قيس البلوى، الذي تولى القيادة بعد عقبة، الرجوع إلى برقة في سنة 64هـ - 683م. وكان هذا الانسحاب هو ما يطمح إليه كسيلة قائد البربر، فوضع يده على مدينة القيروان[49].

ويبدوا أنّه بعد كل المحاولات المتعددة، لم يتمكن العرب المسلمون من تحقيق استقرار دائم في الأراضي المفتوحة بالشمال الأفريقي. ورغم أنّ كسيلة قد أرغم الجيش الإسلامي بالتراجع إلى برقة، فلم يكن هذا الأمر إلا مكسباً سيْسياً مؤقتاً، ذلك لأنّ العقيدة الإسلامية قد ترسخت لدى العديد من السكان المحليين. ويضاف إلى هذا أنّ كسيلة لم يتمكن من الدفاع عن القيروان عندما عاد إليها الجيش العربي الإسلامي. فلقد قرر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إعادة القائد زهير بن قيس لمواصلة الفتح بأفريقيا في سنة 69هـ - 668م. وكان أن تمكن زهير من هزيمة كسيلة، واستعاد مدينة القيروان للحكم الإسلامي، وفي طريق عودته تعرض زهير مع بعض أصحابه لكمين نصبه لهم البزنطيون، وتمكّنوا من قتلهم جميعاً قرب برقة[50].

ولقد تجمع البربر بعد كسيلة حول امرأة تدعى الكاهنة ، التي تمكنت من هزيمة القائد الجديد للجيش الإسلامي بأفريقية، حساب من النعمان الغساني. في سنة 79هـ - 689م[51]. فما كان منه إلاّ الرجوع منسحباً ليستقر بمنطقة سرت في موقع عرف فيما بعد باسم (قصور حسان)[52]. وكان مكث حسان بهذا الموقع انتظاراً للمدد، الذي أرسل بشأنه إلى الخليفة.

ولقد استغلت جموع البربر المتجمعين حول الكاهنة هذا الوقت في تدمير الأشجار وحرقها، بضواحي المدن. وكان هذا العمل في ظنهم سيثني عزم المسلمين الذين جاءوا إلى هذه المناطق طمعاً في خيراتها[53]. ولقد دلت الأحداث فيما بعد أن هذا الفعل لم يكن إلاّ سوء ظن وتقدير. فلقد وصل مدد الخليفة إلى حسان في سنة 81هـ - 700م، فانطلق صوب جموع الكاهنة، حيث تمت

---

[48] إنها قرية في حبال الأوراس ، أنظر ، البكري ، نفس المصدر ، ص 72 – 3 .

[49] ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص 61، ابن الأثير ، الكامل ، المجلد 4 ، ص 91 . وابن عذاري ، البيان ، المجلد ، ص 30- 1 .

[50] ابن عذاري ، البيان ، المجلد 1، ص 31- 2 ، وابن الأثير ، الكامل ن المجلد 4 ص 251 .

[51] تولت الكاهنة قيادة القبيلة البربرية جراوة في جبال الأوراس بالجزائر ، وذكرت في معظم كتب اتاريخ الخاصة بالفتح العربي للمغرب ، ولكننا لا نعرف شيئا عن شخصيتها الحقيقية ، ودورها قبل الحملة العربية الثانية ، بقيادة حسان بن النعمان .

[52] ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص 63 . والبكري ن نفس المصدر ، ص 8 ، والطاهر الزاوي ، معجم ، ص 278 – 9.

[53] ابن عذاري ، البيان ، المجلد الأول ، ص 36- 7 .

هزيمتها، فانتقلت إلى جبال الأوراس بالجزائر. وهناك انتهى دورها بقضاء المسلمين عليها .

ولم يكتف حسان بمقتل الكاهنة، بل واصل السير إلى قرطاج، حيث انتهت المعركة بهزيمة البزنطيين، واستيلاء المسلمين على المدينة، ولقد سجل هذا الحدث نهاية للوجود البزنطي بالشمال الأفريقي في سنة 82هـ - 702م[54]. وكان أيضاً بداية لتأسيس حكم إسلامي مستقر بالمنطقة. وأدى بالتالي لأن يكون إيذاناً وتمهيداً للحملات القادمة المتوجهة نحو بلاد المغرب الأقصى وأسبانيا. وبانتهاء هذه المهمة عاد حسان إلى دمشق في سنة 85هـ - 705م[55].

ولم يكن تصدر الأمويين للخلافة الإسلامية ليمر بسلام، فلقد تسببت مشاعر الرفض لهذا الأمر في إثارة العديد من المشاكل والانتفاضات[56]. ونتيجة للقمع والاضطهاد، الذي واجهت به الدولة حركات المعارضة، فرت بعض شخصيات المعارضة إلى بلدان المغرب، طلباً للأمان، ولقد توفر لها الملاذ الآمن لدى بعض القبائل المناوئة للحكم الأموي[57].

ومن المعروف أن الدولة الأموية قد قامت دعائمها على أكتاف الجنس العربي، ولذا كان الجيش الإسلامي ببلاد المغرب مشكلاً في أغلبه من قبيلتين عربيتين، هما قيس ومضر. ولقد أدّى ذلك إلى التنافس بينهما حول تولي الأمور في الجيش، وحكم المناطق المفتوحة. وكل هذه الظروف قد هيئت بالطبيعة المناخ الملائم لنشئة الفرق والأحزاب. وثمة من المؤرخين[58] من يصنف الأباضية على أنّها فرع من فرقة الخوارج[59]. ولكن الأباضيين لا يعترفون بهذا الانتماء .

ويذكر الشماخي في سيره ، أن مسلمة بن سعد، الأباضي المتحمس للمذهب، كان أول من نشر الأباضية في المغرب، وينسب إليه قوله : (إنني أود أن أرى هذا الدين يطبق ولو لمدة يوم واحد ولا أبالي أن أموت في آخر هذا اليوم)[60]، والحقيقة إنّه لأمر من الصعوبة بمكان أن يجزم المرء على أن شخصاً ما كان المسؤول الأول عن نشر المذهب الأباضي، وإرساء قواعده ببلاد

---

[54] لمزيد من التفاصيل أنظر حسين مؤنس ، نفس المصدر ، ص 259- 60 .

[55] ابن عذاري ، البيان ، مجلد 1 ، ص 41. وابن عبد الحكم ن فتوح ، ص 65 .

[56] أنظر ، أحمد أمين ، فجر الإسلام ، القاهرة ، 1928، ص 304 – 8 .

[57] ابن الأثير ، الكامل ، المجلد 5 ، ص 237،والتجاني ، رحلة ، ص 207 .

[58] أحمد سعيد الشماخي ، كتاب السير ، القاهرة ، 1949، ص 70. وعلى يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، القاهرة ، 1964، الجزء الأول ، ص 33 – 4 .

[59] الشماخي ، السير ، ص 70 ، أبو الربيع سليمان الباروني ، مختصر تاريخ الأباضية ، تونس ، 1936، ص 40 .

[60] الشماخي ، السير ، ص 98 .

المغرب، ولكن من المؤكد أنّه مع بدايات القرن الثاني الهجري كان للأباضيين ثقل بإقليم طرابلس .

ولقد تمكن الأباضيون من الثورة بمدينة اطرابلس سنة 127هـ - 744م.. الأمر الذي جعل عبد الرحمن بن حبيب، حاكم القيروان، يرسل أخاه إليها، للقضاء على هذه الانتفاضة،وإعادة الهدوء إلى المدينة. ولم يلبث الأباضيون أن قاموا بانتفاضة ثانية بمدينة اطرابلس. ورأى عبد الرحمن أن وجود أخيه، الذي قتل قائد الانتفاضة الأولى، سيكون عاملاً مثيراً لمشاعر الأباضيين، ولذا قام باستدعاء أخيه إلى القيروان، وأرسل رجلاً آخر لحكم المدينة. ولكن هذا الرجل حوصر خارج الأسوار، وأعاده الأباضيون إلى القيروان، وتمكنوا من الاستيلاء على اطرابلس بقيادة رجلين، هما الحارث الحضرمي وعبد الجبار المرادي[61] .

وهكذا تشكلت نواة أول دولة للأباضية، حيث امتدت سيطرتها إلى خليج سرت شرقاً. ولم يدم الحال طويلاً بقائدي هذه الدولة، حيث وجدا مقتولين في ظروف غامضة، ولم يجد الأباضيون بدّاً من الاتفاق على إسماعيل بن يزيد النفوسي ليتولى منصب القيادة[62] .

ولم يكن عبد الرحمن ليقبل بما آلت إليه الأمور، فأرسل ابن عمه شعيب بن عثمان لإخماد حركة التمرد باطرابلس. وما لبث عبد الرحمن نفسه أن لحق بابن عمه، واستطاع أن يهزم الأباضيين، ويضع نهاية لأول دولة أباضية بشمال أفريقيا في سنة 132هـ - 753م[63].

ولقد تمكن الأباضيون من جمع كلمتهم على رجل يدعى أبو الخطاب السمح المعافري ، في قرية صغيرة ، بالقرب من مدينة اطرابلس ، تسمى صياد[64]. ويذكر الشماخي أن أبا الخطاب دخل اطرابلس في سنة 140هـ - 757م، ومعه جماعة من المسلمين ، وأدخلوا الرجال في الجواليق على هيئة الرفقة، فلما توسطوا المدينة أشهروا السلاح وقالوا: لا حكم إلا لله. وهكذا أصبح أبو الخطاب أول إمام أباضي .

وكانت القيروان هي الأخرى غنيمة سهلة لقبائل ورفجومة، التي تبنت أسلوباً قاسياً مع السكان، بعد مقتل الحاكم العباسي للمدينة. ورأى أبو الخطاب أن

---

(61) المصدر السابق ، ص 125 – 6 وقارن ، الرفيق القيرواني ، تاريخ أفريقية والمغرب ، تونس ، 1968، ص 128 – 9 ، والكامل ، مجلد 5 ص 237 . وابن عبد الحكم يكتب الحارس بدلا عن الحارث .

(62) ابن خلدون ، العبر ، المجلد 6 ، ص 3 وابن عبد الحكم ، فتوح ، ص 108 .

(63) الرقيق ، نفس المصدر ، ص 129. وابن الأثير ، الكامل ، مجلد 5 ص 237 .

(64) أنظر ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ، ص 112. والطاهر الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، القاهرة، 1963، ص 132- 4- والشماخي في كتابه السير يقول : ودخل أبو الخطاب ومعه جماعة المسلمين . وذلك عام أربعين ومائة ،وأدخلوا الرجال في الجواليق على هيئة الرفقة . فلما توسطوا المدينة أشهروا السلام وقالوا : لا حكم إلا لله .

الفرصة سانحة لوضع يده على القيروان. فتقدم بجيشه إليها، واستطاع الاستيلاء عليها في سنة 141هـ - 759م[65]. ثم عاد بعدها إلى اطرابلس مخلفاً وراءه عبد الرحمن بن رستم حاكماً للقيروان[66].

ولم يتمكن أبو الخطاب من الوقوف أمام الجيش العباسي القادم من الشرق بقيادة محمد بن الأشعث ، حيث هزم وقتل في معركة مغمداس شرق مدينة اطرابلس[67] ، ولم يستطع أبو هريرة الزناتي الذي خلف أبو الخطاب أن يغير من مجرى الأحداث فهزم هو الآخر، في سنة 144هـ - 761م . وما لبث محمد بن الأشعث، بعد استيلائه على اطرابلس ، أن أرسل بفرقة من جيشه إلى ودان وزويلة بأقصى الجنوب الليبي .

وكان عبد الرحمن بن رستم قد انطلق من مدينة القيروان لمساندة أبى الخطاب . وعندما وصل إلى قابس جاءته أنباء مقتل أبى الخطاب ، فعاد أدراجه إلى القيروان . ولكن مناصري العباسيين انتهزوا فرصة غيابه ، واستولوا على المدينة . وتمكنوا أيضاً من أسر عبد الرحمن من رستم . وأطلق سراحه فيما بعد ، عن طريق وساطة أحد أصدقائه من ذوي النفوذ لدى العباسيين. فغادر عبد الرحمن القيروان إلى منطقة تدعى سوقجاج[68] ، قرب تاهرت بالجنوب الجزائري[69] . ويبدو أنّ ابن الأشعث لم يكن راضياً عن إطلاق سراح عبد الرحمن بن رستم، فحاول اللحاق به ولم ينجح ، فعاد أدراجه إلى القيروان في عام 153هـ 770 [70] .

ولقد نجح الأباضيون ، بعد هزيمة ابن الأشعث لهم من الاستيلاء على مدينة اطرابلس بقيادة أبى حاطمة ، ثم ساروا إلى مدينة القيروان ، حيث دخلوها بعد حصار لم يدم طويلاً، في سنة 144هـ - 761م[71] . وعندما علم أبو حاطمة باقتراب الجيش العباسي من مدينة اطرابلس ، غادر القيروان لمواجهته قبل الوصول إليها . ولكنّه عاد إلى القيروان عندما وصلته الأخبار بنشوب القتال

---

[65] ابن خلدون ، العبر ، المجلد 6، ص 111- 2 ، وابن عذاري ، البيان ، مجلد 1 ، ص 70 – 1. وابن الأثير ، الكامل ، مجلد 5 ، ص 241- والشماخي ، السير ، ص 128- 30 ، وقارن ، الرقيق ، نفس المصدر ، ص 141- 42 .

[66] عبد الرحمن بن رستم ينحدر من أصول فارسية ، تعود بنسبة إلى الأكاسرة الذين حكموا فارس لفترة طويلة من الزمن ، وكانت نهاية دولتهم على يد المسلمين ، في بدايات الفتح العربي الإسلامي .

[67] ابن الأثير ، الكامل ، مجلد 5، ص 241، والزاوي ، الفتح العربي ، ص 137- 8، وقارن ، ابن خلدون ، العبر ، المجلد 6 ، ص 112. والشماخي السير ، ص . 132.

[68] الشماخي ، السير ، ص 133. وقارن ، ابن عذاري ، البيان ، مجلد 61 ص – 72 .

[69] تاهرت هذه مدينة قديمة ، تقع بأقصى الجنوب الجزائري . وتعود إلى فترة ما قبل العصر الإسلامي . وتاهرت الأحدث عهداً أنشأها عبد الرحمن بن رستم أول إمام أباضي . وهي لا تبعد عن تاهرت القديمة كثيرا .

[70] ابن الأثير ، الكامل ، المجلد 5 ، ص 458. وقارن الشماخي السير ، ص 134 .

[71] الرقيق ، نفس المصدر ، ص 146- 7 . وابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ، ص 113 .

فيها، واستطاع أبو حاطمة أن يعيد الهدوء إلى المدينة . وغادرها للمرة الثانية ليلتقي بالجيش العباسي خارج أسوار مدينة طرابلس. وانتهت المعركة بمقتل أبى حاطمة وهزيمة الأباضيين[72] وبذلك انتهت الأمامة الأباضية الثانية .

ولقد ساد الغموض حركة الأباضيين بعد هذا الحدث إلى ظهور الأمامة على يد عبد الرحمن بن رستم في تاهرت سنة 160هـ - 777م . ويذكر المؤرخون[73] الأباضيون أنّ عبد الرحمن بن رستم، أبان فترة الغموض التي أشرنا إليها، كان إماماً مكتوماً[74]. وممّا يؤيد هذا القول أن أبا حاطمة كان يرسل إليه بأموال الزكاة. وهذه المعلومة تفيد بأن أبا حاطمة لم يكن إلا إمام دفاع[75].

ويبدو أن عبد الرحمن إبان الفترة التي أطلقنا عليها فترة الغموض كان يعمل على تقوية مركزه في الوسط الأباضي، ولذا قبل بلقب أمير المؤمنين الذي أطلقه عليه أنصاره الأباضيون[76].

وربّما يبدو لأول وهلة غرابة ما تعرضت له القيادات الأباضية الأولى من أزمات، وما تمتع به عبد الرحمن بن رستم من إمامة يكتنفها الهدوء والسلام. ومن الطبيعي أن تختفي الغرابة بمعرفة أنّ من سبقه من القيادات قد اختارت اطرابلس مركزاً للدولة الأباضية. وهي المدينة التي تقع على طريق القيروان. ومن المعروف أنّ الأخيرة قد شكلت قاعدة الانطلاق نحو أراضي المغرب، منذ تأسيسها من طرف عقبة بن نافع في عهدي الأمويين والعباسيين .

ولم يتمتع عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[77]، الذي خلف والده في الأمامة، بالاستقرار في أيامه الأولى، فلقد كان عليه أن يواجه ما يسميه الأباضيون حركة (النكار) والمعتزلة[78]. واستطاع أن يتخلص من كليهما ليتفرغ لبناء الدولة الرستمية وإدارتها[79].

---

[72] الشماخي ، السير ، ص 136، وابن خلدون ن العبر ، مجلد 6 ، ص 79. والكامل ، مجلد 5 ، ص 290.

[73] محمد علي أبو دبوس ، تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة ، 1963، مجلد 3 ص 287، 293- 4 . والشماخي ، السير ، ص 139 .

[74] يطلق الأباضيون على إمامهم في حالة السلم أمير المؤمنين ، وعندما يقعون تحت سلطة خارجية ، يطلقون عليه أمام الكتمان .

[75] يختار الأباضيون رجلا منهم يطلقون عليه إمام دفاع ، في حالات الحرب والتهديد وهذا عندما لا يكون ثمة إمام ظاهر .

[76] الشماخي ، السير ، ص 139 .

[77] أبو دبوس ، نفس المصدر ، ص 455، وقارن , C. Bossworth, the Islamic Dynasties, Edinburgh, 1967, p22 .

[78] (النكار) هم أولئك الذين عارضوا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، أنظر، الشماخي، السير 154- 5 . وأبو دبوس، نفس المصدر، ص 474- 8. وأنظر أيضا Chrcniqu d'Abu Zakaria, ed, E.Masqueray. Algeria .1878.pp.57- 67 .

[79] الشماخي السير ، 154- 8 . الباروني ، نفس المصدر ص 34 .

ويبدو أنّه حتى هذا التاريخ، لم يكن ثمة ما يثبت أنّ نفوسة كانت خاضعة مباشرة لحكم الرستمين بتاهرت[80]. ولكن الاعتراف بالإمام الرستمي، والدعم المادي والمعنوي له، لا يشوبه الجدل. ولكن هذه الصلة والتبعية قد تدعمت بوصول الإمام عبد الوهاب إلى جبل نفوسة في طريقه لأداء فريضة الحج. فلقد نزل ضيفاً على أبي مهدي الويغوى[81]. ثم انتقل إلى قرية شروس. وهناك نصحه العلماء بعدم مواصلة الرحلة، بسبب الخوف على حياته من العباسيين. فاستجاب الإمام عبد الوهاب إلى هذه النصيحة واستقر بقرية (ميرى) بجبل نفوسة منتظراً أمن الطريق[82]. وأرسل إلى علماء الأباضية في الشرق طلباً للمشورة. وكانت نصيحتهم تأجيل الأمر إلى العام الذي يليه. فاستقر الإمام عبد الوهاب بجبل نفوسة. وكان أن ترك ابنه أفلح بتاهرت. وانشغل عبد الوهاب بالتدريس ، وإيجاد الحلول لما يتعرض له الأباضيون من نوازل في المجال الديني .

ولقد انتفضت قبيلة هوارة، التي كانت تنتشر جموعها في شمال جبل نفوسة، وإلى الشرق منه، في وجه حاكم اطرابلس العباسي، فقام إبراهيم بن الأغلب بإرسال ابنه عبد الله على رأس جيش لإخماد هذه الانتفاضة. وعندما تلقت هوارة هذا الخبر علمت أن ليس باستطاعتها مواجهة جيش ابن الأغلب. فأرسلت إلى الإمام عبد الوهاب، طلبا للنجدة. ولم يكن الإمام ليرفض هذا الطلب الذي يتيح له بسط النفوذ الرستمي على منطقة من الأهمية بمكان .

ويبدو أنّ عبد الله بن الأغلب قد علم بهذا الحلف، فتجنب قتالهم وفضل الاحتماء داخل مدينة اطرابلس. والتقى الإمام عبد الوهاب ومعه أهالي نفوسة خارج أسوار المدينة بجيش هوارة[83]. ولم يجد ابن الأغلب بدا، بعد سماعه بوفاة أبيه، إلا أن يتوصل إلى اتفاقية مع الإمام عبد الوهاب، الذي كان يحاصر المدينة. وكان أهم ما جاء في هذه الاتفاقية أن تصبح الأراضي الممتدة من سرت شرقاً إلى جنوب صفاقس غرباً، تابعة للدولة الأباضية الرستمية، بينما تبقى اطرابلس والساحل البحري تحت سيطرة الأغالبة[84].

وغادر الإمام عبد الوهاب جبل نفوسة عائداً إلى تاهرت بعد فترة قصيرة من عقد هذه الاتفاقية، وكان قد وافق على اختيار السمح بن الخطاب وزيراً لحكم

---

[80] الشماخي ، السير، ص 154- 5 .

[81] ويغو عبارة عن قرية قديمة ، تقع إلى الغرب من قرية شروس حاضرة الجبل

[82] ميري قرية قديمة، تقع في الجنوب الشرقي لمدينة جادو، والمبنى الوحيد القائم بها هو المسجد ، الذي درس فيه الإمام الرستمي عبد الوهاب .

[83] الشماخي . السير، ص 160. وقارن ابن الأثر ، الكامل، مجلد 6ص 188.

[84] ابن الأثير، الكامل، مجلد6 ، ص 188، والشماخي، السير ، ص 161. وقارن ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ص 121 .

الجبل . فكان أول حاكم رستمي لنفوسة في تاريخ الأباضية[85]، ولم يستشر أهل الجبل بعد وفاته الأمامة بتاهرت فيمن يخلفه، بل اختاروا ابنه ليشغل المنصب، ولم يكن أمام الفئة التي عارضت هذا الاختيار إلا اللجوء إلى تاهرت. فاستجاب الإمام عبد الوهاب لمطلبهم وعين بدلاً عنه أبو الحسن بن العباس[86]. ولم يطل المقام بأبي الحسن حيث عاجلته المنية، فتولى حكم الجبل أبو عبيد عبد الحميد الجناوني. وكان عليه أن يشغل نفسه بمحاربة اتباع خلف بن السمح بن الخطاب. ولكنّه لم يتمكن من القضاء عليهم إبان فترة حكمه. وكانت نهاية هؤلاء الذين عرفوا باسم (الخلفية) على يد خليفة أبي عبيد، الذي قضى على خلف نفسه في مواجهة بالجهة الشرقية من الجبل[87] .

ولقد توفي الإمام عبد الوهاب في سنة 211هـ - 826م. ولم يترك وصية بخصوص خليفته في الإمامة . ولكن أتباعه لم يكن أمامهم إلا التكتل حول الرجل المتمرس بشؤون الدولة والعارف بالمذهب الأباضي، أفلح بن عبد الوهاب، فأختير إماماً للدولة الرستمية بتاهرت[88]. ويجمع الأباضيون على أن فترة حكمه كانت الفترة الذهبية للدولة الرستمية. وكان الإمام أفلح قد عين قبل وفاته ذر بن وسيم حاكماً لجبل نفوسه. ولكن ذر هذا لم يمكث في المنصب سوى سبعة أشهر[89] .

ولقد توفي الإمام أفلح في سنة 240هـ - 854م . عن أربعة أبناء، وهم : أبو بكر ، محمد، يعقوب، ويقظان. وكان الأخير أكبرهم سناً وأصلحهم للإمامة. ولكنّه كان مسجوناً ببغداد وقت وفاة أبيه . فكان الاتفاق على أن يتولى أبو بكر الإمامة على أن يتنازل لأخيه إذا أطلق سراحه[90]. وبعد فترة قصيرة رجع اليقظان إلى تاهرت. ولكن بمقدمه حدثت انتفاضة مسلحة أدت إلى قتل الإمام أبى بكر في سنة 241هـ - 855. وكان جمع من الأباضين قد وقفوا على الحياد إبان الصراع الذي عاشته تاهرت. الأمر الذي شجع محمد بن مصالة ، أمير حصن هوارة، بشمال تاهرت، على انتهاز هذه الفرصة، والاستيلاء على مدينة تاهرت. ولقد كان هذا الحدث عاملاً لتجمع الأباضيين حول اليقظان، وحال وصول النجدة من أهالي نفوسة حاصر اليقظان المدينة. وقام بإرسال وفد من نفوسة إلى محمد بن مصالة، ليطلب منه مغادرة المدينة دون إراقة الدماء . ويبدو أن محمد بن مصالة

---

(85) الشماخي ، السير ، ص 161، 9- 128 Abu Zakaria, chroniqu, pp-

(86) الشماخي ، السيد ، ص 180 – 1 .

(87) المصدر السابق ، ص 196- 7 .

(88) أبو دبوز ، نفس المصدر ، ص 527، وقارن .Bosworth, op, cit, p. 22

(89) الشماخي ، السير ، ص 215- 7 .

(90) أبو الربيع الباروني ، نفس المصدر ، ص 39. وأبو دبوز ، نفس المصدر، ص 562. و Abu- Zakaria, chronique.p.185- 6.

لم يكن بداية راغباً في البقاء بتاهرت، بل كان غرضه استتباب الأمن وعودة الهدوء إلى تاهرت. ولذلك وافق على طلب الوفد وغادر المدينة[91].

ولقد توفي الأمام اليقظان، وتولى الإمامة من بعده ابنه أبو حاتم يوسف، ونتيجة لعدم تقديره لهيئة الشورى، غضب عليه عمه يعقوب، وكان عضواً بهيئة الشورى. فغادر يعقوب مدينة تاهرت متجهاً إلى زواغة. ولكنه رجع إلى تاهرت استجابة لرغبة المناصرين له من الأباضيين، فانقسم الأباضيون بوصوله إلى تاهرت إلى فرقتين. تناصر كل منهما أحد الطرفين .

وظل الصراع محتدماً بتاهرت إلى أن وصل إليها يعقوب المزاتى برفقة بعض من قومه. ولقد أدى توسطه بين الطرفين، إلى إنهاء النزاع. ونصت اتفاقية الصلح على تخليهما عن الحكم، وتفويض الأمر إلى اختيار الناس لشغل منصب الإمامة.

واتفق الأباضيون على إمامة أبى حاتم، بعد بقاء تاهرت بدون إمام لفترة أربعة أشهر[92]. وفي هذه الأثناء كان أبو منصور إلياس قد اعتلى سدة الحكم بجبل نفوسة. وكان أبو منصور رجلاً ذا موهبة وتدين شديد. وتتفق الأخبار التي تتعلق بهذه الفترة التاريخية، على أنه كان يحظى بتقدير أهالي الجبل وما حوله.

ولقد توافق حكم أبى منصور، مع استثلال أبى العباس بن طولون بمصر، فرصة غياب أبيه، ليسير على رأس جيش باتجاه الأراضي الليبية. وكان يطمح إلى إنشاء دولة مستقلة عن الدولة الطولونية[93]. ولم يستطع ابن قهرب، حاكم الأغالبة، صد الجيش الطولوني. فتراجع ليتحصن بمدينة اطرابلس. وبمجرد دخول ابن طولون إلى مدينة لبدة، أرسل إلى أبى منصور بمن يطلب منه الاستسلام. ذلك لأن الأراضي المحيطة باطرابلس كانت تابعة للدولة الرستمية. فما كان من أبى منصور إلا التقدم بجيشه لمواجهة ابن طولون،عند قصر حاتم شرقي مدينة اطرابلس. وانتهت تلك المعركة الكبيرة بهزيمة ابن طولون[94]. فعاد إدراجه إلى مصر. وأمر أبو منصور جيشه بعدم جمع الغنائم بحجة أن الذين قاتلهم يدينون بالإسلام. ولذا وجد جيش الأغالبة، القادم من تونس إلى مكان الموقعة، الغنائم بانتظاره .

---

[91] الباروني ، نفس المصدر ، ص 39، وأبو دبوز نفس المصدر ، ص 484- 5 .

[92] أبو دبوز ، نفس المصدر ، ص 584- 5 .

[93] الشماخي ، السير ، ص 225، ابن عذاري ، البيان ، مجلد 1 ، ص 118 .
أنظر أيضا ، ابن الأثير ، الكامل ، مجلد 7 ، ص 224 .

[94] الشماخي ، السير ، ص 225 . ابن عذاري ، البيان ، مجلد 1 ، ص 118- 9 .

وكان على أبى منصور، بعد عودته[95] إلى الجبل التصدي، لابن خلف، الذي طفق يزعزع الأمن في نواحي الجبل . فتبعه حتى جزيرة جربة بتونس. وهناك تم القبض عليه. ولقد أطلق سراحه بعد أن قطعت إحدى رجليه . وانتهى الأمر بتخليه عن ما تنادى به (الخلفية) اتباع خلف الأب[96] .

ولقد أتسمت فترة حكم أبى منصور إلياس باستتباب الأمن، والحفاظ على الأراضي التابعة للدولة الرستمية في الشرق. وبعد وفاة أبى منصور تولى حكم الجبل أفلح بن العباس للمرة الثانية. وأثناء حكمه للجبل جمع الأغالبة جيشاً كبيراً بغرض غزو الأراضي المصرية. ولا يعرف السبب الحقيقي لاعتراض أهالي نفوسة لمسيرة هذه الحملة، بالقرب من قصر مانو ومدينة صبراته. ولكن المعروف أن جيش وأهالي نفوسة تكبدوا هزيمة كبرى. وكان من نتائج المعركة فقدان الجبل للكثير من خيار مقاتليه، إضافة إلى خسران العديد من العلماء[97]. وعندما عاد حاكم الجبل أفلح بن العباس إلى مقره بالجبل، قابله السكان بموجة من الغضب، وطالبوه بالتنحي عن الحكم .

ويبدو أنّ ثمة من كان يناصر ابن العباس ولا يحمله هذه الخسارة الكبرى بقصر مانو. ولذا لم يرضخ لتلك المطالب. ولكن استمرار الحركة الغاضبة ضده، أدت به إلى التشاور مع أبى معروف، حاكم قرية شروس، لعلو قدمه في العلم[98]. ويبدو أن أبا معروف قد أشار عليه بتلبية رغبة المناوئين، فتنحى عن الحكم. ولكن بعد فترة قصيرة أعيد إلى منصبه .

وانتهت حياة الإمام الرستمي أبى حاتم بالاغتيال، فتولى أخوه الإمامة، على الرغم من أنّ ابنه كان مسئولاً عن قتل عمّه [99]. وكان ذلك في سنة 294هـ - 907م. وعلى العموم، لم يكتب للدولة الرستمية البقاء طويلا بعد هذا الحدث. فقد دخل الجيش الفاطمي مدينة تاهرت في سنة 296هـ - 909م. وكان ذلك إيذانا بخروج الدولة الرستمية من مسرح التاريخ[100] .

ولقد ظل جبل نفوسة بعد سقوط الدولة الرستمية مستقلا بذاته، وبعيداً عن سيطرة القوى الخارجية. وباءت كل المحاولات للاستيلاء على هذه المنطقة بالفشل. ولم يتحقق هذا الفعل إلا بعد زمن طويل. وكان ذلك أبان حكم الأتراك لليبيا .

---

[95] الشماخي ، السير ، ص 95. وقارن ، ابن الأثير ، الكامل ، مجلد 7. ص 225 .
[96] الشماخي ، السير ، ص 224- 5 . الباروني ، نفس المصدر ، ص 42- 3 .
[97] الشماخي ، السير ، ص 267- 70 . ابن عذاري ، البيان ، مجلد 1 ، 129 .
[98] على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 130 .
[99] أنظر أبو دبوز ، نفس المصدر ، ص 609 . .
[100] ابن عذاري ، البيان، مجلد 1 ، ص 197 .

وانتقل تعيين حاكم جبل نفوسة بعد انهيار الدولة الرستمية إلى لجنة مشكلة من علماء ومشائخ الجبل. وكانوا في بعض الأحيان يختارون حكاماً لمناطق الجبل المختلفة .

وتندر المعلومات عن الأباضيين، خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية، في المراجع غير الأباضية. أما المراجع الأباضية فينقصها الترتيب الزمني لأولئك الرجال الذين حكموا بجبل نفوسة. ولذلك بذل الجهد في هذا البحث لمحاولة متواضعة، وصولاً إلى تصنيف زمني لحكام الجبل. إضافة إلى التطرق إلى ذكر بعض الأحداث التاريخية ذات العلاقة. ويبدو أن افلح بن العباس قد توفي بعد فترة قصيرة من دخول الفاطميين إلى تاهرت . وبما أنّ الجبل قد فقد الكثير من الرجال في معركة مانو، فقد اتفق مشائخ الجبل على محمد بن عبد الله الخيار، ليكون إماماً للدفاع[101]. ولم يلبث أن تولى المنصب بعده أبو يحي زكريا الأرجواني، في بدايات القرن الرابع الهجري[102] .

والراجح أنّه في عهد أبي يحي هذا، قام الخليفة الفاطمي عبيد الله، بإرسال جنده إلى جبل نفوسة. ولكن أهالي نفوسة تمكنوا من صدهم بمعركة الجزيرة في وادي شروس. ولم تكن المحاولة الأخرى التي قام بها الفاطميون بمهاجمة (تاركت) إلى الغرب من شروس أفضل من سابقتها [103]. وتجدر الإشارة إلى اغتيال أبي يحيى، قرب نهاية المعركة من قبل أحد أعوانه، في سنة 310هـ - 922م. وعلى الرغم من وجود أبي يحيى حاكم الجبل في هذه المعركة، يذكر ابن عذاري أن قائد الأباضية كان يدعى أبو بطة[104] .

ولقد اتفق أهالي نفوسة على اختيار أبي عمرو بن منصور إلياس خلفا لأبي يحيى، ولكنه تلبيه لرغبة أتباعه ترك الحكم بعد فترة وجيزة . وكان الذي ولي المنصب بعده، أبو يحيى الأرجواني . وأثناء حكمه هاجم العباسيون الجبل . فتصدى لهم أبو يحيى . وباءت هذه المحاولة للسيطرة على جبل نفوسة مرة أخرى بالفشل[105] .

وأثناء رجوع أبي يحيى من هذه المعركة إلى (جادو) اغتاله أحد رجاله. فتكرر المشهد والمصير الذي واجهه والده أثناء مهاجمة الفاطميين لمنطقة (تاركت)، ولكن أبا يحيى أوصى أصدقاءه قبل وفاته، أن يكون زايد بن أفصيط الدرفي خلفا له في الحكم. ويبدو أنّ أهالي نفوسة لم يعملوا بهذه الوصية. وطلبوا

---

[101] الشماخي ، السير ، ص 236- 7 . على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 147- 50 .
[102] الشماخي ، السير ، ص 243. على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 151- 52 .
[103] الشماخي ، السير ، 243. تيركت قرية قديمة . 42كم إلى الغرب من كاباو .
[104] ابن عذاري ، البيان ، ص 187 .
[105] الشماخي ، السير ، ص 244، على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 155.

من أبى عمرو بن أبى منصور اليأس أن يشغل المنصب . فاستجاب لهم قائلاً : (لولا أن أكون كمن قتل نفوسة مرة أخرى ما رجعت في أموركم)[106] .

وأبان حكم أبى عمرو، كان أبو خزر يتجهز للانتفاضة ضد الفاطميين بتونس[107] . فقام بإرسال مبعوث إلى جبل نفوسة بقصد التحريض ومشاركة أهالي نفوسة في الثورة. وعرض أبو عمرو الأمر على علماء الجبل ومشائخه. فرفضوا الدعوة معتذرين بفقدان الكثير من المحاربين في معركة (مانو)، ولذا فالظرف لا يسمح بفتح جبهة جديدة ضد الفاطميين الأقوياء . وعلى الرغم من ذلك، لم يكن أمام أبى عمرو إلا الأسلوب السياسي، فوعد المبعوث بالمشاركة في هذه الثورة إذا تغيرت الأحوال إلى الأفضل .

ولم يشهد أبو عمرو هذه الانتفاضة ، حيث وافاه الأجل. وتولى مكانه ابنه أبو زكريا. ووفقا للمصادر الأباضية كان أعلم من أنجبتهم نفوسة . ومرت فترة حكمه، التي دامت ما بين ستين إلى سبعين سنة في هدوء وسلام[108]. وجاء في مدحه : (لم تر معه نفوسة نكبة) .

ولقد ثار أبو خزر في وجه الفاطميين في عهد أبى زكريا. ولكنه هزم، وفر ليجد ملاذاً له في جبل نفوسة. ونتيجة للجهود التي بذلها صديقه أبو نوح، عفا عنه الخليفة الفاطمي. وعاد إلى المهدية حيث استقبل استقبالاً حسناً[109].

وعندما اكتمل بناء مدينة القاهرة بمصر، قرر الفاطميون الانتقال إليها، فطلب الخليفة الفاطمي أبو تميم من أبى نوح وأبى خزر مرافقته . فوافق أبو خزر واستعفى الآخر. وغادر الأخير المهدية إلى ورجلان بجنوب الجزائر[110] .

ويبدو أنه في الفترة التي قضاها أبو زكريا في حكم الجبل، قليل من الرجال عينوا لإدارة مناطق صغيرة. وعلى العموم كان الدور المنوط بهم مساعدة الحاكم في تسيير أمور الجبل. وكان محمد الدرفي أحد هؤلاء النفر، وكان نفوذه مقصوراً على جادو وضواحيها. وبعد وفاته خلفه ابنه أبو يحيى يوسف في شغل هذا المنصب. وفي عهد الأخير هاجمت جماعة من زناتة منطقة جادو، وتمكنت من تدمير قرية (إدرف)[111]. وكان أبو يحيى بن ماطوس الشروسي، في عهد أبى زكريا حاكما بقرية شروس. ولقد اشتهر بالعلم والتدين. وأنشأ مدرسة عرفت

---

[106] الشماخي ، السير ، ص 318 .
[107] الباروني ، نفس المصدر ، ص 45. الشماخي ، السير ، ص 349- 50 .
[108] الشماخي ، السير ، ص 318 .
[109] المصدر السابق ، ص 354 .
[110] المصدر السابق ، 354- 7 .
[111] المصدر السابق ، ص 288 .

بمدرسة ابن ماطوس . وجذبت إليها الكثير من طلاب العلم الأباضيين[112]. ولقد عاصر ابن ماطوس عبد الله بن محمد اللالوتي، الذي كان يحكم (لالات)[113]. كما تولى تلميذه يحيى بن سفيان الحكم في نفس المكان .

وتحوطاً لما يمكن أن يزعزع الأمن الذي تنعم به الناس في عهد أبي زكريا، طلب منه أن يوصي بمن يخلفه في حكم الجبل، فقال لهم، إنه يوصي بثلاثة رجال وهم أبو زكريا اللالوتي، ولكن ما لا يؤهله وجوده بالركن الأقصى من الجبل. وأبو يعقوب البغتوري ولكن أهل نفوسة لا يرون أن تتقدم قبيلته عليهم. وعيسى أبو داوود سليمان الدرفي، فإذا قبل فهو الأفضل .

وعندما توفي أبو زكريا، صرف المشائخ النظر عن عيسى الدرفي. واختاروا أبو موسى عيسى. ثم اجتمع الرأي بعد فترة وجيزة على أبي هارون موسى بن هارون الباروني، الذي قرر الانتقال إلى قرية (ابناين) بمنطقة كاباو. وذلك رغبة في مجاورة امرأة اشتهرت بالعلم. وكانت تدعى الجدة [114]. وبنى في هذه القرية مسجداً ومدرسة[115] .

وإذا عرجنا على منطقة جادو، فإننا سنسمع عن أبي عبد الله بن محمد بن يحيى الدرفي، وعن أخيه أبي داوود سليمان الذي خلفه في حكم بني زمور[116]. والراجح أنّ سليمان التندميري قد خلف أبا هارون موسى. ولكن سليمان تنازل عن الحكم لأبي عمرو ميمون الشروسي. وفي عهد هذا الأخير وصلت إلى شروس قافلة تجارية قادمة من بلاد السودان (وسط أفريقيا) [117]. وكان أن قام وفد للقافلة بتقديم هدية ثمينة لأبي عمرو . ولكنه رفض قبول الهدية. وأهاب بالأهالي التعامل مع أولئك التجار[118]. ويبدو أن أبا عمرو - نتيجة لورعه الشديد - أحس بثقل المسؤولية، فتخلى عن منصب الحكم .

ووجب أن نشير أيضاً إلى أبي الربيع سليمان بن هارون الباروني، الذي تولى حكم جبل نفوسة، تذكر المصادر الأباضية، أنه كان تلميذاً لأبي زكريا

---

[112] المصدر السابق ، ص 276- 8 . على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 157 – 60 .
[113] الشماخي ، السير ، ص 238- 9 . على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 173- 9 .
[114] الشماخي ، السير ، ص 321 .
[115] المصدر السابق ، ص 301، أنظر أيضا ، أبو اليقطان ابراهيم . سليمان باشا الباروني في أطوار حياته ، الجزائر 1956 ص 9- 10 .
[116] على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 172. الشماخي ، السيد ، ص 287- 8 .
[117] الشماخي ، السير ، ص 273 .
[118] المصدر السابق ، ص 274 .

اللالوتي. وأنّه قتل وهو في سن السابعة والعشرين، بعد أن نقل مركز إقامته إلى قرية (ابناين)[119].

وتذكر المصادر الأباضية، ومن نقل عنها من الباحثين، أن نزاعاً بين شروس وجارتها قرية ويغو، قد تطور إلى نزاع مسلح. وتسببت الحرب بينهما في تدمير قرية شروس، التي كان يحكمها أبو الشعثاء البغتوري. أما ويغو فكان يديرها أبو عبد الله الأكبر[120].

وما يستشفه المرء من قراءة الأحداث، أن أبا الفضل سهل تزامن اختياره حاكماً عاماً لجبل نفوسة مع حدوث اضطرابات بمناطق متعددة من الجبل. ولقد نال شهرة واسعة بفضل جهوده، التي أثمرت إعادة الهدوء والأمن للمنطقة. ويبدو أنه الوحيد الذي تفرد بمهاجمة غدامس، على إثر ما تردد من أخبار عن الفساد المستشري بالمدينة. كما أنّه الرجل الذي ينسب إليه إنشاء حاميات في مواقع إستراتيجية من جبل نفوسة. وذلك لحماية السكان من غارات القبائل[121].

وأدّى سقوط الدولة الرستمية بأهالي جبل نفوسة، إلى التفكير فيما يحافظ على وحدة الجبل ومنعته أمام الأطماع الخارجية. وتوصلوا إلى ابتداع فكرة تتمثل في تشكيل لجنة من العلماء، تكون مهمتها اختيار الحكام والتشاور فيما يخص شؤون الجبل، وتتكون هذه اللجنة من رجال ينتمون إلى مناطق متعددة من الجبل. ولقد عرفت هذه اللجنة عند الأباضيين باسم (العزابة) [122]. وربما يرجع الفضل في تنظيم هيكلية اللجنة وتوضيح اختصاصاتها وتطوير آلياتها إلى أبى عبد الله محمد بن بكر،في أواخر القرن الرابع الهجري - العاشر- مسيحي[123].

وكان المعز لدين الله الفاطمي، عند مغادرته مدينة المهدية إلى مصر، قد أوكل حكم أفريقية (تونس) إلى بلكين بن زيري. وبمباركة الخليفة الفاطمي العزيز بالله، اتّسع حكمه ليصل إلى نواحي سرت وبرقة بليبيا. الأمر الذي جعل من ابن زيري مؤسساً لدولة ستقوم بدور كبير في تاريخ المغرب العربي .

ولقد انقسمت دولة بني زيري إلى قسمين مع نهاية القرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي وأصبح بنو حماد حكاماً للجزء الغربي، متخذين من قلعة بني حماد مركزاً للحكم، بينما احتفظ الزيريون بالجزء الشمالي والشمالي الشرقي .

---

[119] المصدر السابق ، ص 299. على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 193- 6 . أبو اليقطان نفس المصدر ، ص 12 .

[120] الشماخي ، السير ، ص 326 .

[121] المصدر السابق ، ص 275. على معمر ، نفس المصدر ، ص 169 .

[122] لمزيد من التفصيل أنظر ، على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 97- 110 .

[123] الشماخي ن السير ، ص 401 على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الأول ، ص 107 .

وكانت عاصمتهم القيروان[124]. وتحول ولاء المعز بن باديس من الفاطميين إلى العباسيين، قرابة منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي[125]. ولقد نظر الفاطميون إلى هذا الأمر بعين السخط، ولم يكن بإمكانهم توجيه الجيوش نحو المغرب. ذلك لأنّ أولويتهم كانت مركزة على المشرق حيث الدعم الحقيقي لدولتهم الفتية، وحيث المنافس الحقيقي لهم والمتمثل في الدولة العباسية. ولذا قام الفاطميون بترغيب القبيلتين العربيتين، بني هلال وبني سليم في خيرات المغرب، وأذنوا لهم بعبور نهر النيل. وكان الفاطميون يقصدون بهذا الفعل الانتقام من بني زيري ومعاقبتهم على نقض العهود، بتحول ولائهم للعباسيين .

وانطلقت جموع القبيلتين يحدوها الأمل في الثروة والسلطان. وكانت أثناء سيرها تدمر وتحرق ما تمر به من خضرة وتقلق ما تمر به من تجمعات سكنية[126]. ولم تكد تصل طلائعها إلى تونس حتى انسحب بنو زيري من القيروان، وتحصنوا بمدينة المهدية.وظل بنو زيري بالمهدية حتى اكتسحتها جيوش النورمانديين في القرن السادس الهجري - الثاني عشر مسيحي[127]. ولم يخرجهم منها سوى جيوش الموحدين، التي وضعت يدها أيضاً على ممتلكات بني حماد وبني زيري[128].

وجب أن نذكر أنّ العرب المسلمين الذين وصلوا إلى بلدان المغرب منذ القرن الأول الهجري - السابع الميلادي، لم يرق لكثير منهم الاستقرار والبقاء في البلاد المفتوحة. إن ظاهرة التوطن هذه في بلدان المغرب لم تكن ظاهرة بشكل ملموس، إلاّ في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي. وبداية هذه الظاهرة كانت باستقرار مجموعات منهم في الأراضي الممتدة بين برقة والقيروان[129]. ولا جدال أن مقدم قبيلتي بني هلال وبني سليم، قد أضفى عليهما طابع الاستقرار والتوسع والهيمنة. ولم تكن منطقة جبل نفوسة بمعزل عن التأثر بهذه الظاهرة[130].

ولقد أشير فيما سبق إلى أن أسرة أبي منصور إلياس حكمت الجبل لفترة غير قصيرة، إبان القرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي- . وتلتها على هذا النسق

---

[124] ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ، ص 155- 67 . عبد الوهاب ، نفس المصدر ، ص 105 . أنظر أيضا ، Bosworth ، نفس المصدر ، ص 26- 7 .

[125] ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ، ص 159 ، عبد الوهاب ، نفس المصدر ، ص 111- 2 .

[126] ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ، 13- 5 التيجاني ، رحلة ، ص 17 .

[127] ابن خلدون ، العبر ، العبر ، مجلد 6 ، ص 161- 2 .

[128] عبد الوهاب ، نفس المصدر ، ص 121 .

[129] ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ، ص 12- 72 التيجاني ، رحلة ، ص 15 .

[130] الطاهر الزاوي ، معجم ، ص 144- 5 ، يذكر الشماخي أن مجموعة قليلة من العرب واليهود أيضا كانت مستقرة بالجبل ، قبل قدوم بني هلال وبني سليم إلى المنطقة .

أسرة الباروني، التي استقر حكامها في قرية أبناين، ثم في يفرن الواقعة في الجهة الشرقية من جبل نفوسة. وكان الحاكم الثالث من هذه الأسرة، أبو زكرياء بن يحيى إبراهيم معدوداً من الشخصيات البارزة في تاريخ الجبل[131]، إبان القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي. وولداه أبو عبد الله وأبو منصور توليا أيضاً الحكم بعد أبيهما[132]. ولا توجد أدلة تساعد في تحديد فترة حكمهما، إلاّ أنّ عهدهما - كما يبدو - كان عهد سلام واستقرار[133].

ولقد قام قراقش في عام 568هـ - 1172م، بجمع جيش كبير- كما فعل العباس بن طولون من قبل - وتقدم به صوب المغرب، أملا في ترسيخ دعائم الحكم العباسي[134].ونتيجة لسوء الفهم الذي حدث بين قراقش ورفيقه قراتكين، انقسم الجيش إلى فريقين . فسلك الأخير الطريق بمحاداة الساحل حتى وصل إلى قفصة بتونس، حيث لقي حتفه. أما قراقش فقد اتجه إلى الجنوب، مخترقاً واحة سبوة، ثم إلى زويلة في الجنوب الليبي.واستطاع القضاء على أسرة بني الخطاب، التي كانت تحكم المنطقة لفترة من الزمن[135] .

وقام قراقش أيضاً في عام 582هـ - 1186م. بمهاجمة أراضي جبل نفوسة، بمساعدة بعض القبائل العربية. وتمكن من الاستيلاء على مدينة اطرابلس[136]. وفي هذه الأثناء نجح يحيى وعلى إبنا غانية في نزع المهدية وصفاقس وقابس من سيطرة الموحدين[137]. وسيطروا أيضا فيما بعد على مدينة تونس في عام 586هـ - 1191م[138].وفي ذات السنة التقى الموحدون بجيشي يحيى بن غانية وقراقش في منطقة (الحامة)، قرب مدينة تونس، وكان النصر في هذه المعركة حليف الموحدين، الذين سيطروا بعدها على كل من مدينتي قابس وطرابلس[139]. ولقد تمكن ابن غانية من الفرار إلى الصحراء، باتجاه الجنوب التونسي .

---

[131] الشماخي ، السير ، ص 539 .

[132] المصدر السابق ، ص 359. وقارن ، اليقظان ، ننفس المصدر ، ص 16 .

[133] الشماخي ، السير ، ص 546. اليقظان ، نفس المصدر ، ص 19 .

[134] وهو أحد جنود صلاح الدين الأيوبي – أنظر ، ابن الأثير ، الكامل ، مجلد 11، ص 25 ، 256. وانظر ، التيجاني، رحلة ، ص 112.

[135] التيجاني ، رحلة ، ص 113. ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ص 191- 2 ، أنظر أيضا ، الزاوي ، الفتح العربي ، ص 239 .

[136] التيجاني ، رحلة ، ص 113. الزاوي ، الفتح العربي ن ص 240، وقارن ابن الأثير ، الكامل ، مجلد 10 ص 256 .

[137] المزيد من المعلومات عن ابني غانية أنظر ، ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ، ص 190- 1 .

[138] الزاوي ، الفتح العربي ، ص 238- 9 .

[139] ابن خلدون ، العبر ، مجلد ، 6 ، ص 238- 9 .

ولم يطل الفرار بابن غانية حتى عاد ليستولي على مدينة القيروان[140]. ونجح قراقش هو الآخر في استعادة سيطرته على مدينة طرابلس، ولكنه لم يلبث أن هزم، وغادر المدينة متجها إلى ودان بالجنوب[141]. أمّا ابن غانية فقد حاول الاستيلاء على جبل نفوسة، ولكنه هزم في منطقة جادو. وكرر المحاولة مرة ثانية بنية الاستيلاء على شروس. ولكنه مني بالهزيمة عند موقع الجزيرة بوادي شروس[142]. واضطر حاكم الجبل آنذاك، أبو يحيى زكرياء الباروني، إلى استشارة العلماء في حكم الغنائم التي تركها جيش ابن غانية وراءه. فأشار العلماء عليه بإحراقها. ولم يتلكأ زكرياء في القيام بهذا الفعل[143].

وتصف المصادر الأباضية أبو زكرياء الباروني بالرجل المتميز علما وتدينا. ولقد استطاع بفضل هذه الشخصية أن يقنع الأباضيين بكثير من الأفكار الجديدة والاجتهادية في إطار المذهب الأباضي[144]. وربما دلت هداياه الكثيرة، التي كادت أن تصل إلى كل بيت في الجبل، على ثرائه وكرمه. ونتيجة لهذا التميز أطلق عليه الأباضيون لقب أمير المؤمنين[145].

وكان أبو نصر التملوشايتي حفيداً وتلميذاً لأبي يحيى زكرياء . ويذكر الشماخي أنه من الذين تولوا حكم جبل نفوسة. وكان رجلاً مشهوراً بغزارة العلم . وكان رئيساً لحلقة كما شاع عنه . والحلقة عبارة عن مجموعة من العلماء ، كانت تتجول بأنحاء الجبل نشراً للعلم والمعرفة[147]. وإذا أخذنا بقول الشماخي يمكننا الجزم على توليه الحكم في النصف الأول من القرن السابع الهجري - الثالث عشر مسيحي . ويكون ذلك العمل العلمي قد قام به قبل تسلمه لدفة الأمور بجبل نفوسة.

ولقد ثار أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد في وجه الموحدين حكام المغرب في بداية القرن السابع الهجري - الثالث عشر مسيحي، بأفريقية (تونس). واستطاع أن ينتصر عليهم ويؤسس النواة الأولى للدولة الحفصية[148]. ولكن المعلومات التاريخية، تشير إلى أن جبل نفوسة كان يدار بواسطة الحكام الأباضيين حتى نهاية القرن السابع الهجري - الثالث عشر مسيحي، تؤكد على أنّ جبل نفوسة لم يخضع

---

[140] المصدر السابق ، ص 193. التيجاني ، رحلة ، ص 104- 5 .

[141] التيجاني ، رحلة ، ص 244- 6 .

[142] علـى معمـر ، نفـس المصـدر ، الجـزء الثـاني ، ص 200- 1 . أبـو الربيـع ، نفـس المصـدر ، ص 49 . الشماخي ، السير ، ص 547. وقارن التيجاني ، رحلة ، ص 244، 356 .

[143] على معمر نفس المصدر ، ص 201. اليقضان نفس المصدر ، ص 22 .الشماخي ، السير ، ص 547 .

[144] الشماخي ، السير ، ص 546. أطلق اسم الإمام الرستمي عبد الوهاب على هذه المدرسة . وأطلق على منتسبيها الوهبيون ، والصحيح الوهابيون .

[145] المصدر السابق ، ص 546 – 7 . على معمر ، نفس المصدر ، ص 197 .

[147] الشماخي ، السير ، ص 553- 4 .

[148] عبد الوهاب ، نفس المصدر ، ص 128 . Rossi, op. cit, p- 554 .

لسيطرة الحفصيين. وهذه المعلومات ترتبط بحاكم الجبل، الشيخ إبراهيم بن أبي يحيى الباروني، الذي كان تلميذاً لعيسى بن عيسى الطرمسطي. ولقد توفي كلاهما في عام 722هـ، 1322م[149]. ويشير الشماخي إلى وقوع معركة بين العرب وأهالي نفوسة، في عهد الشيخ إبراهيم هذا[150]. وتدلل هذه المعلومة إلى استقرار مجموعات عربية بالجبل في هذه الفترة[151].

ونستطيع أن نتبين اضمحلال النفوذ الأباضي في الجبل في المنتصف الأخير من القرن الثامن الهجري - الخامس عشر مسيحي . فعلى الرغم من احتفاظ الأباضيين بولائهم لعلمائهم ومشائخهم، فزيادة أعداد العرب والنفوذ الخارجي أضحى شيئاً فشيئاً ظاهراً للعيان، ولذا لم يكن بوسع المشائخ اختيار حكام الجبل، ولكن بقي باستطاعتهم اختيار من يرونهم أهلاً للاهتمام بشؤون مناطقهم الصغيرة [152].

وكانت طرابلس، ولفترة طويلة من الزمن، مدينة تتناوب السيطرة عليها، دول ومجموعات إسلامية، ولكن في سنة 916هـ - 1510م، وقعت تحت سيطرة الأسبان[153].وكان هذا الحدث بداية منعطف تاريخي جديد. وما يهمنا هنا هو أن جبل نفوسة لم يتأثر البتة بهذا الغزو، إذ أن الأسبان لم يتجاوزوا ضواحي طرابلس. وهكذا كان الحال بالنسبة لفرسان القديس يوحنا، الذين قدموا من مالطا ، لاستلام المدينة من قبل الأسبان في عام 937هـ - 1530م[154].

واستطاع القائد التركي، درغوت باشا، الاستيلاء على مدينة جربة والمهدية وتونس[155]، قريبا من منتصف القرن العاشر الهجري - الخامس عشر مسيحي. فالتقى أبو سليمان داود بن إبراهيم في معية وفد من نفوسة بالقائد التركي في جزيرة جربة. وفي هذا اللقاء أظهر درغوت باشا حنقه حول الفوضى التي عمت المدينة أثناء غيابه . ولقد اعتذر أبو سليمان بعجز مشائخ الأباضية عن تعيين أو عزل من يتولون القيادة. ولكن درغوت باشا لم يقبل هذا العذر . فوضع أبا سليمان في السجن إلى أن وافاه الأجل في سنة 967هـ - 1560م[156]. وفي هذه الفترة تمكن الأتراك من الاستيلاء على مدينة طرابلس. وبالتحديد في

---

(149) الشماخي ، السير ، ص 554 .

(150) المصدر السابق ، ص 558 ، اليقظان ، نفس المصدر ، ص 26- 7 .

(151) فرسطة قرية قديمة أنشئت على سفح جبل ، إلى الشرق من كاباو ، وهي مهجورة الآن ، ولكن مبانيها لازالت قائمة .

(152) الشماخي ، السير ، ص 569- 70 . ابن خلدون ، العبر ، مجلد 6 ص 277 .

(153) Rossi ، نفس المصدر ، ص 111- 2 .

(154) المصدر السابق ، ص 127 . الزاوي ، الفتح العربي ، ص 283 .

(155) Rossi ، نفس المصدر ، ص 137 .

(156) رويت هذه القصة عن محمد بن زكرياء الباروني ، في ملحق كتاب الشماخي ، ص 174- 6 .

عام 958هـ - 1551م ، وبذلك أصبح جبل نفوسة أيضاً تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية[157]. وأضحى تعيين من يدير شؤون الجبل بيد الوالي التركي المقيم بمدينة اطرابلس .

واستمر الحكم العثماني لليبيا لمدة قاربت أربعة قرون. وفي بداية القرن العشرين، وبالتحديد في سنة 1911مسيحي. نجح الإيطاليون في هزيمة الأتراك، ووقعت طرابلس في قبضة الاحتلال الإيطالي. وأثناء فترة الحكم الإيطالي، ووقعت مواجهة أخرى بين العرب والأباضيين بجبل نفوسة. فتمخضت عن كثير من الضحايا والخسائر. كما تعرضت كثير من المخطوطات للتلف والتدمير[158]. وكانت في مجملها مأساة وطنية، وأبان فترة الحكم الإيطالي أيضاً سادت أجواء الانتفاضات المسلحة والحركات التحريرية والجهادية.

ودخلت ليبيا مرحلة تاريخية جديدة مع انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة إيطاليا من قبل الحلفاء. فوضعت ليبيا تحت وصاية وحماية كل من بريطانيا وفرنسا. الأولى تشرف على اطرابلس وبرقة، والثانية على إقليم فزان بالجنوب الليبي .

وأخيراً وليس بآخر، صدر قرار الأمم المتحدة باعتبار ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة في أواخر سنة 1951م. وفي أول يوم من سبتمبر (الفاتح) تفجرت ثورة بالبلاد. ولم تمض فترة ثمانية سنوات حتى أعلن الحكم الشعبي في ليبيا. وظهر الاسم الرسمي الجديد للبلاد تحت عنوان : الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

---

[157] على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص 145 .

[158] اليقظان ، نفس المصدر ، ص 174- 6 .

حكام جبل نفوسة إبان الدولة الرستمية .

السمح بن الخطاب (أمامة عبد الوهاب)
خلف بن السمح
أبو الحسن بن العباس
أبو عبيد الجناوني
العباس بن أيوب (إمامة أفلح)
أبو منصور إلياس (إمامة اليقظان)
أفلح بن العباس (الولاية الثانية)
أفلح بن العباس (الولاية الثالثة)

حكام جبل نفوسة منذ سقوط الدولة الرستمية حتى نهاية القرن الرابع الهجري العاشر مسيحي

أفلح بن العباس
محمد ابن أبى الخير
أبو يحيى الأرجواني
أبو عبد الله أبو عمرو بن منصور إلياس
أبو زكريا يحيى الأرجواني
أبو عبد الله منصور إلياس
أبو زكريا أبو عبد الله

أبو موسى عيسى
أبو هارون موسى

سليمان التندميري
أبو عمر الشروسي

(لالات)

أبو عبد الله جلدسين

أبو زكريا يحيى

(ويغو)

داود

أبو عبد الله الأكبر

(شروس)

أبو يحيى ماطوس

أبو الشعتاء

أبو معروف

(جادو)

محمد الدرفي

أبو يحيى يوسف

(بنو زمور)

أبــو عبــد الله أبــو

حكــام جبــل نفوســة منــذ نهايــة القــرن الخــامس الهجــري - الحــادي عــشر مسيحي، حتى منتصف القرن الثامن الهجري - الرابع عشر مسيحي .

أبو الربيع سليمان الباروني
أبو الفضل مسهل
أبو زكريا يحيى الباروني
أبو عبد الله الباروني
أبو منصور الباروني
أبو يحيى زكريا إبراهيم الباروني
زكرياء يحيى الباروني (الشيخ)
(توفي في سنة 722هـ - 1322م) .

الفصل الثاني

نالوت ـ كاباو

مدينة نالوت القديمة ـ القصر ـ المسجد العلوي

مدينة كاباو القديمة ـ قصر التخزين

مسجد تنومايت ـ مسجد أبناين

نالوت ـ كاباو
مدينة نالوت القديمة ـ القصر ـ المسجد العلوي
مدينة كاباو القديمة ـ قصر التخزين
مسجد تنومايت ـ مسجد أبناين

لا يعثر المرء في المصادر العربية إلاّ على قليل من المعلومات ذات الصلة بجبل نفوسة. ولذا يجد المرء نفسه معتمداً على المصادر الأباضية، التي لا يمكن أن توصف إلاّ بالندرة، في سبر أغوار تاريخ هذه المنطقة. أمّا في المجال الجغرافي، فإنّ هذه الرقعة لم تخضع لدراسات جادة بعد. ووفقاً لهذا الغموض المعلوماتي، الذي ربما يتوفر بشكل أفضل في أماكن أباضية أخرى، وجب الاعتماد بالدرجة الأولى على المادة المجمعة من خلال الدراسة الميدانية ذات الصلة بموضوع هذا البحث. وذلك من أجل خلق أرضية لدراسات أكثر عمقاً وتفصيلاً .

تقع مدينة نالوت على مسافة تقدر بنحو 270كم، إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس . وتنتشر أطلال القرية القديمة على قمة جبل يشرف على وادي نالوت الكبير في الجهتين الشرقية والجنوبية. ويقع في وسط هذه القرية قصر التخزين، الذي يتراءى من جميع الجهات مهيمنا على سائر أطلالها. (أنظر، شكل 1،2) ويبدو المسجد الأعلى (العلوي) في الجهة الشمالية من القصر، على مسافة 15 متر تقريباً. ويحتل المسجد الآخر الذي يعرف بالمسجد اللوطي مكاناً أقل انخفاضاً، في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد الأول. وعلى الرغم من تصدع بعض أجزائه، إلاّ أنّه لازال محتفظا بمظاهر معمارية هامة.

وإنّ المبنى الذي يعتقد أنّه كان يمثل قاعة المحكمة، لازال هو الآخر ظاهراً للعيان. وهو لا يبعد كثيراً عن قصر التخزين (أنظر شكل 3) .

وتتراص بيوت القرية مشكلة شبه قطعة واحدة من البناء، تخترقها في الأغلب طرق ضيقة ومتعرجة. وتعد هذه القرية اليوم شبه مهجورة. (أنظر شكل 4) فلقد انتقل الناس إلى مدينة نالوت الحديثة، الواقعة في الغرب والجنوب الغربي من القرية القديمة .

يقدم موندادوري (Mondadori) وصفا لنالوت القديمة على الوجه التالي :
يحيط بنالوت جبال كانت في وقت ما عرضة لنشاط بركاني. وتتكون هذه الجبال ـ في الأغلب ـ من طبقات الحجر الجيري ذي اللون البني الفاتح. وتمتد الأحجار الصلبة ذات الألوان المتعددة على شكل أفقي في الطبقات المكونة للجبال . ويفصلها عن بعضها البعض أمتار قليلة. ولقد تصلبت العليا، نتيجة للعوامل

الجوية بينما ظلت المستويات الدنيا في وضع قابل للتحلل. وهو ما أدّى إلى أحداث أخاديد ومنابع مائية. كما أن تسطح قمم بعض الجبال يسر بناء القرى الصغيرة عليها[159]. ويقول موندادوري أيضاً، أن قرية نالوت القديمة تذكرنا بقرى جبال التبت. وإنّها بوضعها الحصين هذا شكلت مناعة ضد هجمات الجيوش العربية. كما شكلت من جهة أخرى، حماية لسكانها من اعتداءات القبائل المجاورة، وينسب موندادوري تاريخ إنشاء قرى هذه المنطقة إلى القرن السادس مسيحي .

ولا يتعرض الكاتب إلى تفصيلات بخصوص مباني نالوت القديمة. ولا يهتم بما أحدثه الإسلام من تحولات عقيدية واجتماعية. ويبدو أنه نتيجة لندرة المصادر التاريخية المترجمة إلى اللغات الأوربية، والمتعلقة بهذه المنطقة، لم يتطرق إلى دور نالوت في إطار العلم والتعليم .

ويعزو موندادوري كذلك، وجود القرى المجاورة لنالوت القديمة إلى تفرعها عن القرية نالوت الأم. ويقول أن هذا التمدد ربما كان طلباً لإيجاد مصادر جديدة للمياه[160]. ويخلص إلى القول بأن هذا التوسع الذي شهدته منطقة نالوت، تم عبر حقب زمنية تقدر بأربعة قرون[161].

ولا يذكر موتيلنسكي (Motylinski) شيئا عن جغرافية نالوت. ولكنه يشير إلى موقعها الجبلي، الذي يشرف في الجهة الشرقية على أخاديد وعيون للماء، استعملت فقط لسقي الأغنام. أما العين التي تدعى (عين تغليس) فقد استغلت لحاجات الناس. ويوجد الوادي الذي تملأه أشجار الزيتون والنخيل، لمسافة عشرة أميال، إلى الجهة الغربية من قرية نالوت القديمة[162].

ويضيف ليفسكي (T. Lewicki) إلى تحديد الموقع، أن نالوت تعد من أكبر التجمعات في الجبل الغربي، وتعتبر محطة للاستراحة بين طرابلس ومدينة صبره. ويشير إلى أهمية موقعها، الذي يربط بين مدينة غدامس ومدن الشمال بالساحل الليبي. كما أنه يتعرض لتفسير كلمة (Taglis)، فينفي أنها كلمة بربرية لاتينية أفريقية. ويجزم بأنّها اشتقاق من الكلمة اللاتينية (Acclacia). وهي شاهد على وجود مسيحي قديم بالمنطقة. ويرجع ليفسكي إنشاء قرية نالوت القديمة إلى القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي. ويمضي في حديثه مستنطقا التاريخ فيقول: (عندما كان العباس بن أيوب يحكم جبل نفوسة، بموافقة الرستميين، كانت

---

(159) . A, Mondadori , Irineraire Tripolis Ghudames, Verona, 1939, p- 38 .

(160) المصدر السابق ، ص 40 .

(161) المصدر السابق ، ص 40 .

(162) . A- De calassanti Motylinki, le Djebel Nefousa, paris, p- 107 .

نالوت مركزا للتعليم الديني. والقليل من تاريخ هذه القرية معروف. ولكن ما نعرفه أكثر هو ما يتعلق بالقرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي، حيث انقسم الجبل إلى مناطق مستقلة، وكانت نالوت في هذه الفترة تدار بواسطة رجل يتفرد بحكم المنطقة بالطرف الغربي من الجبل(163)).

ولا يتعرض الشماخي في (سيره) إلى هذا النسق من الوصف، عندما يتعرض لذكر نالوت (لالات) من آن إلى آخر، ولكنه يشير إليها كمدينة أنجبت الكثير من العلماء. وهذا ما يدلل على أهمية مركزها العلمي الديني في القرون الإسلامية الأولى(164).

ويبدو مستغربا أن الكاتب علي معمّر، الذي اهتم بتاريخ الأباضية في الشمال الأفريقي، لم يسهب في الحديث عن مدينة نالوت. وكل ما يذكره متعلق بالوادي المليء بأشجار الزيتون. ويقول أن لهذه المدينة تاريخ إسلامي طويل. ولكنه لا يفصل هذه العبارة. وبالإضافة إلى إشارته إلى مصادر المياه بنالوت، يميز ماء عين تغليس بعذوبة طعمه(165).

ويجدر بنا أن نعرج ثانية على ما كتبه موتيلنسكي، باعتباره وصفاً أدق لقرية نالوت القديمة. فلقد أشار إلى أن منازل نالوت تبلغ حوالي 1600منزل، ويحيط هذه المنازل المتراصة مبنى قصر التخزين(166). ويحتوي على 300 حجرة، يحفظ بها الأهالي ما يحتاجونه لأهلهم ودوابهم. وفي الأمسيات ينعقد ما يشبه السوق الصغير في هذا القصر. وثمة من يبيع بضاعته مباشرة للناس، وثمة من يعطيها إلى بائع المزاد (الدلال) ليبيعها. ويوجد في موقع منخفض غير بعيد من القصر، المسجد المستخدم من قبل القاطنين بالمنطقة العليا من الجبل . كما يوجد مسجد آخر، أحدث بناء من الأول، خلف طريق العزابة على مستوى أكثر انخفاضاً من المسجد الأول. كما يؤكد موتيلنسكي على أنّ هذا القصر يعد الأكبر في سائر مناطق الجبل(167).

ويعيد باسيي (R.Basset) ذكر نفس المعلومات. ولكنه يضيف : (ثمة أربعة مساجد بنالوت القديمة. أحدها هو المستعمل من قبل السكان القاطنين

---

(163) I, Lewicki, Etudes Ibadites Africanes, partie1, Tasmya suyuh Gabal Nafusa wa Qurahum, Warszovu, 1955, pp. 125- 6.

(164) الشماخي ، السير ، ص 197- 298- 313- 399 .

(165) على معمر ، موكب ، الجزء الثالث ، ص 171 .

(166) كلمة القصر في العربية تعني المنزل الكبير الفخم . أما استعمالها الدارج في الجبل فيقصد بها قصر التخزين ، أو القرية بكاملها .

(167) موتيلنسكي ، نفس المصدر ن ص 107، أنظر أيضا J, Despois, Le Djebel Nefousa, paris/ Tunis, 1935,pp.234- 6 .

بأعلى الجبل. والآخر هو المسجد الجديد، الذي يقع قبالة مسجد العزابة، والرابع هو مسجد سيدي خليفة)[168].

قصر التخزين

يحتل قصر التخزين موقعا في وسط بلدة نالوت القديمة . وهو مستطيل الشكل . ويبدو هذا القصر للناظر مشابهاً لبناء الحصن، إلا أنّه يختلف عنه بوجود فتحات صغيرة تتوزع على الجدار الخارجي، لتزويد الحجرات بالضوء والتهوية. (أنظر ، شكل 5) ولم يحظ هذا القصر بتفصيلات كثيرة من قبل الكتاب، الذين تعرضوا إلى ذكره. فيقول - موندادوري مثلاً - أن القصر يبدو على هيئة قعة. ويتكون من 300 حجرة . وأنه لا وجود لسلم داخل القصر، بل قطع صغيرة من الخشب مغروسة في الجدران. ويبلغ عرض كل حجرة وارتفاعها يبلغ متر واحد. وأنّ محتويات هذه الغرف تتمثل في الشعير والقمح والزيت. وهي كافية لأسرة واحدة لمدة عام كامل .

ويسترسل موندادوري بالقول: (ان ثمة رجل يقوم بالحراسة في هذا القصر ووجوده كعدمه، لأنّ أحداً لا يفكر في سرقة جاره. وعلى الرغم من ضيق المكان، فإنّ أسواقاً كانت تعقد بفناء هذا القصر. ولقد نشأت هذه الظاهرة منذ استسلم البربر على مضض للقوى المتغلبة. ولكن نالوت لم تعد اليوم قرية بربرية، بينما ارتبط قصرها المحصن بكثير من الأساطير)[169]. ويرجع موندادوري بناء القصر إلى الحقبة البزنطية[170].

إنّ قصر التخزين بنالوت لازال بحالة جيدة، ويقع مدخله الوحيد في الجهة الشمالية الشرقية. ويبلغ عرضه حوالي 1.10 م، وارتفاعه 2.10م تقريباً، أما المدخل ذاته فيتكون من شكل شبه مستطيل، ويتمثل في ردهة يبلغ طولها حوالي 3.43م، ويكتنفها من الجانبين سدة حجرية ملتصقة بالجدار. ويظهر في وسط هذا القصر بناء آخر، حيث ترتفع جدرانه إلى مستوى أعلى من جدران القصر. ويحيط هذا البناء ممر يبلغ عرضه حوالي 1.70م. وهذا المبنى كما هو بقية القصر متشكل من حجرات التخزين، التي تمثل خمسة طوابق في جهة من القصر، وفي الجهة الأخرى تتكون من ستة طوابق (أنظر شكل 6).

(168) R. rossi, les Sanctuaires du Djebel Nefousa, in journal Asiatique. X III, P. 437 .

(169) موندادوري ، نفس المصدر ، ص 41- 3 .

(170) المصدر السابق ، ص 43- وقارن ، Islamic Art and Architecture in Libya, London, 1976, p- 42.

وإن ما يلفت النظر غياب الدرج ن الذي يوصل إلى الطوابق العليا من القصر، فلقد استعيض عنه بوضع قطع صغيرة من جذوع الأشجار في الجدران وكانت هذه القطع، ولازالت، وسيلة الصعود إلى الحجرات. والطريقة الوحيدة للحصول على الحاجيات أو وضعها بالحجرات تعتمد على تسلق المرء لهذه القطع الخشبية حتى الحجرة المبتغاة، حيث يضع المتسلق قطعة من الخشب المستطيل فوق قطعتي الجذعين المثبتتين بأسفل مدخل الحجرة، ثم يستعمل الحبل لرفع أو إنزال ما يبتغيه .

وتتميز حجرات قصر التخزين بشكلها المستطيل. ويبلغ عرض معظمها حوالي 1.75م، بينما يبلغ ارتفاعها 1.65م تقريباً. ويوجد داخل أغلب الحجرات الجرار الكبيرة المستعملة لحفظ زيت الزيتون. وبما أنّ بعض هذه الجرار الكبيرة الحجم موجودة في حجرات يبلغ عرض مدخلها 85سم، وارتفاعه1.10م، فالأرجح أنّها قد وضعت بهذه الحجرات قبل تسوية المدخل. هذا إن لم تكن فتحات الحجرات قد ضيقت في فترة ما. وكل الحجرات مغطاة بأقبية برميلية، وأبوابها جميعاً مصنوعة من جذوع الأشجار. أمّا ما نراه من الأبواب الخشبية المصقولة فهي حديثة العهد (أنظر شكل 7- 8). وتوجد في جميع الحجرات تقريبا فتحة صغيرة في الجدار المقابل لفتحة المدخل. ومهمتها توفير التهوية للحجرة، وتزويدها بقليل من الضوء. وهي ما تجعل الناظر إليها من خارج القصر، يفكر في استعمالها للمراقبة. ويجعله أيضا يشبه هذا القصر بالحصن .

ولقد استعمل في بناء القصر المواد المحلية المكونة من الطين والجبس وجذوع الأشجار. ولا يختلف هذا القصر في عناصره المعمارية الأساسية عن بقية قصور التخزين بجبل نفوسة. ويجدر بنا أن نوضح أنّ ما بأيدينا من مصادر تاريخية لا تسعفنا بتحديد تاريخ معين لبناء هذا القصر. وبغياب الأدلة التاريخية والأثرية تظل التواريخ المقترحة مشرعة على كل الاحتمالات .

ويبدو أنّ منطقة نالوت حظيت بنوع من الأهمية في العصر الروماني نتيجة لموقعها الجغرافي[171]. وهذا لا يدعونا بالضرورة إلى قبول نظرية موندادوري ، حول إرجاع تاريخ هذا القصر إلى الحقبة الرومانية أو البزنطية . ذلك أنّ رأيه لا يستند إلى دليل تاريخي أو أثري . ولكن من المؤكد أن قصر التخزين هذا كان قائما قبل العهد العثماني[172]. وإرجاعه إلى القرون الإسلامية

---

(171) R. Goodchild, Roman roodsim LIBYA and their mile stones, libya, 1968, p. 158 .

(172) الطاهر الزاوي ، معجم ، ص 271 .

الأولى ربما سيدعمه ما سيتوفر من معلومات في هذا البحث. والذهاب إلى أبعد من ذلك يعتمد على شواهد لا تتوفر في الوقت الحالي .

المسجد الأعلى

يعرف هذا المسجد عند سكان نالوت باسم (المسجد الفوقي). ويقع على بعد 15 متر تقريبا، إلى الجهة الشرقية من القصر. ومع أنّ الإشارة إليه قد وردت في كتابات المهتمين بهذه المنطقة، إلاّ أنّ هذه الإشارات قد جاءت بشكل مقتضب جداً.

ويميل تخطيط المسجد الأعلى (العلوي) إلى الشكل المربع. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 7.90م ، بينما يبلغ طول الجدار الجنوبي الغربي 8.80م تقريباً . ويلاحظ أنّ الجدار الغربي للمسجد يفتقر إلى جودة البناء مقارنة بالجدران الأخرى. ويبلغ عرض مدخل المسجد، الموجود في الجدار الشمالي الغربي حوالي 80سم، وارتفاعه 1.90م تقريباً، (أنظر شكل 10.9). أمّا سمك الجدران فيقدر بحوالي 70سم . (أنظر شكل 11) .

ويحتوي المسجد الحالي على قاعة للصلاة ذات أربعة أروقة. وهي مغطاة بأقبية برميلية طولية. ويبدو أنّ الرواق الأخير، في الجهة الشمالية الشرقية، كان خاصا بالنساء، بدليل وجود جدار يفصله عن الأروقة الأخرى .

كما يشاهد بقية أثر لمدخل في الجدار الشمالي الغربي. ويظهر أنه كان في فترة ما خاصاً بدخول وخروج النساء. وبعد تفحص لهذه الجهة، تبين من بقايا أثار على هذا الجدار ما يرجع وجود رواق خامس متصدع. ولا يستبعد أن أحجاره قد نقلت أو استعملت في ترميم المسجد. أما محراب المسجد فهو من البساطة بمكان. ويخلو من الزخرفة والكتابة. وهذا النمط من المحاريب شائع في مساجد الجبل القديمة (أنظر شكل، 12) كما أنّ السدة الحجرية، التي تحتل كل الركن الجنوبي الغربي في المسجد، تعتبر عنصراً متميزاً من عمارة هذا المسجد (أنظر شكل، 13) وهي تمتد من جدار القبلة حتى الرواق الثالث لقاعة الصلاة . ويبلغ معدل ارتفاعها حوالي 35سم، وربما تكون قد استعملت لتعليم القرآن، أو لوضع ألواح الكتابة. وهذا ما تفرضه ضرورة الصلاة بهذه القاعة .

ولقد تم العثور على جذع شجرة في الجانب الجنوبي الغربي من المسجد ، وهي بوضعها المائل عن الأرض، وانتهاء طرفها العلوي عند فتحة صغيرة بالجدار، يجعلنا في حيرة من وظيفة هذا الجذع، ويغلب الظن على أنّها استعملت بدل الدرج الذي يؤدي إلى سطح المسجد. هذا إذا اعتبرنا أنّ الفتحة أكبر من وضعها الحالي، الذي كان نتيجة لأعمال الترميم (أنظر شكل ، 14) .

وتوجد أيضاً قبة صغيرة على سطح المسجد . وفوق هذه القبة تتراءى بعض الأحجار المنتصبة على هيئة الأعمدة الصغيرة (أنظر شكل، 9) ويعرف هذا العنصر المعماري في الجبل باسم (الصمعة)، ومع أنّ هذا الاسم في اللغة العربية يعني المنارة أو المئذنة، فيبدو أنّ الصمعة في جبل نفوسة وظفت لتحدد مكان المسجد والأبنية المهمة .

وهذا المسجد البسيط لازال بحالة جيدة. ويرجع هذا الأمر إلى استمرار استعماله من قبل الأهالي الذين يترددون يوميا على الموقع، بما في ذلك قصر التخزين. والمسجد بكامله يخلو من الزخرفة والكتابات. أمّا ما نراه من كتابة في السقف، فهي لا تمت إلى المسجد القديم بصلة، وهي نتيجة للترميمات التي أجريت عليه حديثا. ولقد بني المسجد كما هي أبنية نالوت القديمة من الأحجار غير المستوية والطين. ويبدو المسجد اليوم بطلائه الأبيض متميزاً بين الأطلال، التي لم تعرف الطلاء في يوم من الأيام (أنظر شكل، 15).

ويذكرنا هذا المسجد بعناصره المعمارية البسيطة ومخططه المتواضع، بالمساجد الأولى في الإسلام[173]. ولكن هذا التماثل لا يسعفنا في تحديد تاريخ بناء المسجد. وعلى العموم فالشماخي، يقدم لنا ملمحا في هذا الشأن، بإشارته إلى جذع الشجرة الموجود بلالات[174]. وإذا أخذنا في الاعتبار أن هذا الجذع لم ينقل إلى المسجد من مكان آخر، فبإمكاننا القول، أنّ هذا المسجد كان قائماً في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر مسيحي. ويمكننا القول أيضاً اعتمادا على المعلومات التاريخية، أنّ بناءه الأصلي يعود إلى القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي - ولكن الجزم بذلك ينقصه الشاهد التاريخي، فضلاً عن الأثري .

كاباو:

تقع قرية كاباو القديمة هي الأخرى على قمة جبل يطل على وادي اكراين . وتبعد حوالي 65كم. عن نالوت باتجاه الشرق. ولقد تصدعت المباني القديمة لهذه القرية، ولكن بعضا منها خضع لأعمال الترميم. وأصبح صالحا للاستعمال. ويتربع قصر التخزين في وسط القرية، مهيمنا على المنظر العام (أنظر شكل ، 17) .

ولا يتوفر لدينا إلا القليل من المعلومات عن قرية كاباو القديمة . وهي أيضاً لا تتعلق إلا بالوصف العابر لهذه القرية . فعلى سبيل المثال يذكر موندادوري أن

(173) K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture, G.B.1958.P.37.

(174) الشماخي ، السير ، ص 545 .

بكاباو قصراً للتخزين، حيث يحتفظ الأهالي، في حجراته العديدة بمدخراتهم من المواد الغذائية. ويضيف قائلاً : إنّ هذا القصر يقدم لنا فكرة مبدئية عن القصر الموجود بنالوت [175].

ويتعرض ليفسكي إلى ذكر قرية كاباو. ويصنفها ضمن قائمة المواقع الرومانية القديمة. ويعتمد على الرحالة الفرنسي دونير ريان (H. Daneryrien) في قوله، أنّ ثمة مبنى روماني بقرية كاباو. وعلى العموم، فليفسكي يشكك في وجود مبنى قائم من الفترة الرومانية[179].

ويشير مونيلتسكي هو الآخر إلى كاباو فيقول: (إنّ قصر كاباو، ويعني بذلك قرية كاباو القديمة، تعد من أكبر القرى في منطقة الحرابة، وهي تتكون من خمسمائة منزل ومسجدين، أحدهما محفور في باطن الأرض). ويضيف إلى هذا القول: (إنّ قرية كاباو القديمة تطل على واد تملأه أشجار التين والزيتون)[177].

وإنّ قصر كاباو يشبه كثيراً قصر التخزين بقرية نالوت، إلا أنّ الأخير يختلف عن قصر التخزين في كاباو بوجود مبنى في وسط الفناء، كما أنّ القصر بقرية كاباو في حالة أفضل من الموجود بنالوت. وذلك بفعل الاستعمال والترميمات. يضاف إلى ذلك أن قصر كاباو أفضل تصميماً. وفيما عدا ذلك، فقصر نالوت أكبر حجماً ويبدو أنّ قصر كاباو أفضل تحصيناً. وأنّ أهله أكثر اعتناء بترميمه.

تنومايت:

تقع قرية تنومايت القديمة، إلى الغرب من كاباو بحوالي 32كم، ولقد تعارف الناس في تلك المنطقة على الإشارة إليها باسم (الخربة) (أنظر شكل 18،) أما موتيلنسكي، الذي يشير إليها بهذا الاسم فيقول : يوجد بقصر الخربة، الذي يقع إلى الغرب من تيركت [178]، اثنتي عشر أسرة أباضية فقط . وأبنيتها تتراءى على هضبة، يحدها من الجنوب جرف يتزود منه السكان بحاجتهم من الماء. وزراعتهم التين والزيتون[179].

ولا يوجد اليوم مبنى واحد قائم بتنومايت. ولا يرى بهذا الموقع إلا بقايا الأطلال المتصدعة، ومسجدها المحفور في باطن الأرض. كما يشاهد المرء على

---

[175] موندادوري ، نفس المصدر ، ص 64 .

[179] ليفسكي ، نفس المصدر ، ص 64 .

[177] موتيلتسكي ، نفس المصدر ، ص 106 .

[178] تيركت قرية قديمة مهجورة ، تغطي معظم أنقاضها الرمال اليوم وتبعد حوالي 7كم ، إلى الغرب من قرية تنومايت .

[179] موتيلتيسكي ،نفس المصدر ، ص 106 .

بعد حوالي 700متر إلى الغرب من المسجد، كومة كبيرة من الأحجار، يرجح أنّها بقايا قصر التخزين بالقرية .

مسجد تنومايت:

إنّ هذا المسجد، الذي يشغل مكاناً وسطاً بين أثار وأطلال تنومايت، يسمى أيضاً بمسجد سيدي امحمد[180]. وما يتميز به من دقة التخطيط وجمال الزخرفة، يجعله أحد المساجد المتميزة ، بمنطقة جبل نفوسة، ولقد أشار على معمر إلى هذا المسجد على أنّه أحد المساجد المهمة بمنطقة الجبل. وكان رأيه مبنياً على ما شاهده من الكتابة الأثرية والزخرفة الرائعة، على كل من المحراب وسقف المسجد [181]. والكتابة ذات الأهمية هي التي على مدخل المسجد[182] .

ويميل مخطط هذا المسجد إلى شكل شبه مستطيل.(أنظر شكل، 19) وتوجد به حجرة تأخذ نفس الشكل، وتقع ملاصقة للجدار الشمالي الغربي . ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 7.20م، والجدار الشمالي الشرقي حوالي 6.30م، أما المدخل الموجود بالجدار الشمالي الغربي فيقدر عرضه بحوالي 80سم، وارتفاعه 1.10م تقريباً .

ولقد حفر هذا المسجد في باطن تلة صغيرة، وسقفه عبارة عن قبو واحد، يغطي الأروقة الأربعة بقاعة الصلاة . ويستند السقف على تسعة أعمدة. (أنظر شكل19،20،21) وأهم ما يلفت النظر في هذا المبنى عناصره المعمارية المتناسقة، حيث نرى بقاعة الصلاة أربعة صفوف من الأعمدة. وفي كل صف عمودان يشبه أحدهما الآخر. كما أنّ الجدار الشمالي الشرقي يتطابق مع الجدار الجنوبي الغربي. والتطابق سمة بارزة في تصميم هذا المسجد. وعلى سبيل المثال، فكل حنية صغيرة من الحائط يوجد لها مثيل في الحائط المقابل (أنظر شكل 24). وينطبق هذا القول أيضاً على وضعية الوحدات الزخرفية، وتفاصيل عناصرها النباتية والهندسية . ويضاف إلى ذلك الكتابة الأثرية، التي يبدو أنّها قد أضافت جمالا إلى روعة الزخرفة أكثر من إشارتها إلى ما يرمز إلى معنى يفيد أنّها مقصودة لذاتها.

ويتكون محراب المسجد من تجويف بسيط في الحائط، على هيئة شبه مستطيل. ويعلوه عقد نصف دائري، وتكتنفه حنيتان مجوفتان على الجدار واحدة

---

[180] لا توجد معلومات تاريخية ليؤسس عليها المرء ما يتعلق بهذا المسجد . ولا يعرف سكان المنطقة شيئا عن سيدي امحمد سوى أنه كان أحد العلماء ، وكان له صلة بالتعليم والصلاة في هذا المسجد .

[181] على معمر ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص 177 .

[182] أنظر صفحة، 43.

من كل جانب. والظاهر أنّهما كانتا مستعملتان - كما هي بقية الحنيات المجوفة لوضع قناديل الزيت، الخاصة بتوفير الإضاءة داخل المسجد (أنظر شكل 20، 22) ويبلغ عمق المحراب حوالي 1.20م، ارتفاعه 1.20م، كما يبلغ طول الحجرة القريبة من المدخل حوالي 5م، وعرضها حوالي 2.8م. وأمّا مدخلها، الذي يقدر عرضه بحوالي 80سم، فيتكون من عقد نصف دائري يستند على عمودين صغيرين. ويشاهد عمود آخر وسط الحجرة لدعم السقف. كما يلاحظ على يمين الداخل فتحة في الجدار تطل على قاعة الصلاة. هذا بالإضافة إلى وجود حنيتان مجوفتان في الجدار المقابل للمدخل (أنظر شكل، 25) ومن المستبعد أن تكون هذه الحجرة قد خصصت للتعليم أو لصلاة النساء. والراجح أنّها كانت خاصة بالمخطوطات والأشياء التابعة للمسجد. ولا يتوافق سقف الحجرة مع سقف المسجد، إذ لا تظهر عليه كتابات أو زخارف. ولا جدال حول عدم نسبة بناء هذه الحجرة إلى المسجد الأصلي، والأرجح وفقاً لما يظهر من آثار الترميم أنّها قد أضيفت إلى المسجد في فترة لاحقة .

ويتميز سقف المسجد، وكذلك العقود بقاعة الصلاة بزخارفها الجصية. وتتكون هذه الزخارف من أشكال هندسية، وعناصر نباتية متنوعة (أنظر شكل 26، 27) أمّا التعريقات النباتية فهي الغالبة في العناصر الزخرفية. كما تظهر أحيانا على شكل حبيبات متتابعة. ويبدو كذلك أن شكل النجمة شائع في موضوع الزخرفة، التي تغطي كامل السقف. واللافت للنظر أشكال الحلي، التي نراها لأول مرة في زخرفة المساجد (أنظر شكل 28، 29) .

وإضافة إلى ذلك، نرى أشكالا متكررة للنجمة السداسية والثمانية. (أنظر شكل،30) كما نشاهد ظهور الأقواس المتتابعة ذات الشكل نصف الدائري. ولا يفوتنا التعليق على وجود السيقان المتعرجة، التي استعيرت من الفن الساساني. وشكلت فيما بعد بداية تطور الزخرفة التي عرفت في أوج تطورها بفن الأرابسك (أنظر شكل، 31) ولا تخلو الزخرفة أيضاً من حضور الورقة النخيلية، التي يغلب ظهورها في زخرفة الأقواس، أكثر مما تظهر في المواضيع الزخرفية، التي تملأ سقف المسجد، (أنظر شكل، 32) ويتخلل الزخرفة النباتية عدد قليل من الزهرات ذات الأربعة فصوص (أنظر شكل ، 33). وعلى العموم فمجمل الزخرفة عبارة عن وحدات زخرفية تتكرر في المسجد بكامله .

ويوجد على مدخل المسجد من الخارج حجر على شكل نصف دائري، يبلغ طول قاعدته حوالي 95سم، وارتفاعه 50سم، تقريباً (أنظر شكل ،34) ويحمل هذا الحجر سبعة أسطر من الكتابة العربية تقرأ على النحو التالي :

1- " إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .
2- أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .
3- وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وأجعل .
4- لي من لدنك وليا واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً .
5- بنيت في شهر الله رمضان في سنة أربعة وخمسين وأربع
6- ماية وبناها من أراد ثوابه في الدنيا والآخرة .
7- كتبه عبد الملك بن يعقوب النفوسي ".

السطر الأول، الآية الكريمة رقم 18 من سورة التوبة، والسطر الثاني، الآيتان 1، 2 من سورة المؤمنين. والسطران الثالث والرابع، الآية رقم 80 من سورة الإسراء .

وتعد هذه الكتابة - إلى حد الآن- أقدم كتابة مؤرخة عثر عليها بجبل نفوسة. وهي بالتالي تضيف إلى مسجد تنومايت أهمية كبيرة، فنحن الآن نملك مثلاً قائماً لمسجد محفور في باطن الأرض بجبل نفوسة، يعود تاريخه إلى سنة 454هـ - 1062م. ولذا سيكون تصميم هذا المسجد بالإضافة إلى نمط الزخرفة ومواضيعها مقياسا لدراسة المباني الأثرية بهذه المنطقة. وأما فيما يتعلق وأسلوب الكتابة، وكذلك مناقشة مواضيع الزخرفة، فسنأتي عليه، مع اضطراد الكتابة في هذا البحث .

ويوجد إلى الشمال الشرقي من تنومايت، بحوالي 8 كم، قرية صغيرة أخرى تدعى (قصر سيدي حامد)[183] وهي تقع على جبل يطل على سهل الجفارة، وأهم ما يلفت الانتباه في هذه القرية قصر التخزين المتميز، الذي تحيط به الدور المتصدعة. ويحده من الجنوب خندق، يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة تبلغ حوالي 40 متراً. ويبلغ متوسط عمق الخندق حوالي ثمانية أمتار، بعرض ثلاثة أمتار. (أنظر شكل 36، 37) ولا يستطيع الزائر الوصول إلى القرية أو إلى قصر التخزين إلا عن طريق هذا الخندق. ويتحتم عليه النزول إليه، ثم التسلق أو الصعود إلى الجهة الأخرى. وما تبقى من آثار أمام مدخل قصر التخزين، يشير إلى وجود قنطرة في الماضي، كانت تستخدم كمعبر للوصول إلى قصر التخزين، وتربطه في ذات الوقت بالقرية القديمة على الضفة الأخرى من الخندق. ولم نر هذه الظاهرة في منطقة الجبل، إلا بقصر آخر، يعرف بقصر فرسيط. وينسب المكان إلى قبيلة بني زمور. ويبدو الفاصل هنا عبارة عن أخدود طبيعي عميق .

---

[183] يسكن اليوم بقصر (قرية) سيدي امحمد مجموعة من العرب .

ويبدو أنّ الخندق في القصر الأول لم يكن سوى جرف طبيعي . ولقد تمكن الناس من تحويره بعض الشيء ليكون وسيلة دفاعية لتحصين القرية ومستودع مئونتهم. ويتطابق قصر التخزين في هذه القرية مع القصر الموجود بكاباو، ولكن حجرات الأول تعد أجود تصميما من مثيلاتها بقصر كاباو (أنظر شكل 38، 39) ونتيجة لهجرة الناس لهذه القرية، وعدم الحاجة إلى قصر التخزين هذا، تصدعت أغلب المباني بهذا الموقع .. ولم يبق من القصر غير طابقين .

أبناين:

تقع قرية أبناين القديمة على سفح جبل يطل على وادي أكراين ، وتبعد حوالي 12 كم، إلى الغرب من كاباو . وأبناين اليوم عبارة عن أطلال يقف في أنقاضها مسجدان (أنظر شكل 40، 41) وأحد المسجدين يحظى بتقدير واحترام بالغين من قبل أهالي نفوسة. ويبدو أن حالته الجيدة، واستمرار العناية بترميمه ترجع إلى هذا الأمر. ومن المعروف أنّ هذه القرية قد نالت شهرة في القرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي، بعد أن اتخذها حاكم الجبل أبو هارون مقراً لإقامته .

ويقرر ليفسكي اعتماداً على أعمال الباروني والشماخي، أن هذه القرية لها أهمية خاصة . ذلك لأنها مرتبطة بأبي موسى بن هارون، الذي بنى بها مسجدٌ في القرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي. وهي لازالت قرية عامرة عندما زارها الفرسطى[184] . ويجزم ليفسكي بأن المسجد القائم بأبناين هو مسجد بى هارون، كما أنه يضيف، بأن أبناين تتكون من كلمتين . كلمة عربية وتعني (بن) ولأسم هذه القرية علاقة ب (Tabuinati) أو (Thabunati) وهي مكان ذكر في بعض الكتب أنه بين مدينة لبدة وثلاثي (Thalati). ولكن ليفسكي يقترح أن هذا المكان يقع بجهة ما في المنطقة الشرقية من الجبل. ويسترسل قائلا: (أن اسم تبوناتي (Thebunati) اسم ليبي أنثوي. وهو نفس الاسم الذي أطلق على قرية أبناين في صيغته الذكورية إبان العصور الوسطى)[185].

ويصف علي معمر وادي اكراين، بأنه واد يمتد من عين الماء التي تستقي منها قرية كاباو، إلى أبناين. وهذه القرية هي وطن أبى هارون وابنه أبى الربيع. كما أنّها موطن لكثير من الشخصيات البارزة بجبل نفوسة. وهي محاطة ببعض القرى ذات الصلة بأبناين[186]. وهذا مما يعني أن أبناين القديمة لم تكن فقط هذه القرية الصغيرة، وهو ما يتفق واتخاذها مركزاً للحكم .

---

(184) ليفسكي ، نفس المصدر ، ص 73- 4 .

(185) المصدر السابق ، ص 74.

(186) علي معمر ، موكب ، الجزء الثالث ، ص 176 .

وأبناين اليوم عبارة عن قرية مهجورة. ولا يسع المرء عند مشاهدته لبقايا أطلالها، إلا أن يرجح بأنّها كانت على قدر من الاتساع، وما يتبع ذلك من كثرة السكان (أنظر شكل 42) ويلاحظ بقايا لسور بالجهة الغربية من القرية. ولا يستبعد أن يكون هذا السور قد أحاط بالقرية كلها في وقت ما. ذلك أنّ موقعها يختلف عن تلك القرى المقامة على سفوح الجبال، مما يوفر لها تحصيناً طبيعياً. (أنظر شكل 43) ويبلغ متوسط سمك بقية هذا السور حوالي متر واحد. وثمة مؤشرات تدعونا إلى القول بأن هذا السور كان يمتد باتجاه الوادي. ذلك أنّ أجزاء من بقاياه لازالت منظورة وممتدة حتى حرم المسجد. ونرى على الطرف الآخر من القرية، في الجهة الشمالية، مسجد آخر. وتوجد أيضاً بقايا أطلال لقرية قديمة في الجهة الشمالية الشرقية، حيث يقف في وسط الأنقاض مسجد بسيط بحالة جيدة.

مسجد أبناين :

يشير الشماخي إلى هذا المسجد، ويطلق عليه مسجد أبي هارون[187]، ولكن لا يحدد مكانه[188]، ولا يهتم الشماخي أصلا - في سيره - بالجوانب المعمارية والفنية، قدر اهتمامه بالرجال والجوانب العلمية. وكذلك بالوصفات التاريخية، التي لا يستعين فيها بغير المصادر الأباضية .

ويقع مسجد أبناين على سفح منحدر صغير وسط أطلال القرية القديمة، ويطل على وادي أكراين في جهته الجنوبية الغربية. وله شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ جدار القبلة فيه حوالي 10.5م، بينما يبلغ طول الجدار الشمالي الغربي حوالي 7.25م . ويتكون المسجد من أربعة أروقة، مغطاة بأقبية برميلية. ولهذا المسجد مدخلان، أحدهما وهو الرئيسي ويقع في الجدار الشمالي الغربي، ويبلغ ارتفاعه 1.63م، وعرضه 85سم . والثاني ويقع قبالة المدخل الأول، ويبلغ عرضه حوالي 70سم، وارتفاعه 1.75سم تقريبا، (أنظر شكل ،45). والراجح أنّ المدخل الأصغر كان مخصصا لأستعمال النساء في فترة ما، إذ أنّ هذا المدخل يقود إلى أحد قسمي المسجد، الذي تشكل بفعل وجود الجدار الفاصل بقاعة الصلاة. وبالإضافة إلى هذين المدخلين لا يتوفر شيء من الضوء والتهوية، إلا عن طريق أربع فتحات صغيرة متقابلة. ويوجد درج بداخل المسجد، في الركن الشمالي الشرقي يقود إلى السطح، (أنظر شكل ، 46)، وعلى الرغم من إغلاق الكوة بأعلى الدرج، فهذا دليل آخر على استعمال السطح لإقامة الآذان، (أنظر شكل، 47)، وكنا

---

[187] أنظر أعلاه ، ص 44 .

[188] الشماخي ، السير ، ص 536 .

قد أشرنا إلى أن المئذنة لم تكن من مكونات المسجد الأباضي القديم .

ويتكون محراب المسجد من تجويف في جدار القبلة، يعلوه عقد شبه نصف دائري. ويبلغ عمقه حوالي 1.35م، وارتفاعه 2.27م. تقريباً، وعرضه 82سم. وهذا المحراب الملبس، على واجهته بأحجار جيدة القطع، بمعية الكتابة، يعتبر مثلاً متفرداً في كل أنحاء جبل نفوسة، (أنظر شكل، 48) .

وتنحصر الكتابة والزخرفة بهذا المسجد على الأحجار الثمانية، التي تكتنف جانبي المحراب، حيث تظهر أربعة منها على كل جانب، مرتبة فوق بعضها بشكل رأسي. وسنتبع في وصفها هذا الترتيب والتسلسل .

1-الحجر الأول : بالنظر إلى المحراب وعلى اليمين، نرى وحدة زخرفية تتشكل من ثلاثة دوائر متداخلة. وتحتوي على نجمة سداسية مكونة من مثلثين متقابلين ومتداخلين، والدائرة الخارجية تضم أقراصاً صغيرة، وبداخل كل منها حبيبة، وفي الدائرة الداخلية الصغرى، وكذلك في المساحات بين أطراف النجمة، نرى عناصر زخرفية نباتية تشبه صدف المحار.

2- الحجر الثاني : يتكون التصميم هنا من أربعة دوائر تحيط ببعضها البعض، وتزينها الأزهار ذات الثمانية فصوص. وتصحبها تعريقات نباتية تشبه الشوك. وتحتوي الدائرتان الخارجيتان على كتابة كوفية مورقة. وتقرأ على النحو التالي :

شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو. (قرآن كريم، سورة 3، آية 18) .

وفي الدائرتين الآخرتين نرى الحبيبات المتتابعة، التي تشبه شكل المسبحة، وتتميز الدائرة الداخلية منهما بوجود أقراص صغيرة. ويظهر بداخل كل منها حبيبة في المركز. وهذا العنصر الزخرفي رأيناه في الحجر الأول (أنظر شكل 50) .

3- الحجر الثالث : تتكون الزخرفة، مرة أخرى، من أربعة دوائر، تحيط كل منها بالأخرى. وتظهر في الوسط زهرة ذات ثمانية فصوص، ولقد تعرضت الزخرفة داخل الدائرتين الداخليتين للتلف. أمّا الدائرة الخارجية فتحتوي على ورقة نباتية ذات أربعة تفريعات، تتكرر في فراغ محيط الدائرة خمس مرات .

4- الحجر الرابع : تشبه الزخرفة هنا في الأغلب الأعم ما رأيناه على الحجر الأول ويتمثل الفرق الوحيد في الدائرة الخارجية، التي تملأها الأقراص الصغيرة، والواضح أن الفنان لم يكمل نحت محيط الدائرة. كما يلاحظ ظهور

قرص صغير في كل ركن من أركان هذا الحجر. والنجمة التي تتوسط الوحدة الزخرفية على هذا الحجر ، تتكون من اثنتي عشر فصاً، (أنظر شكل، 52) .

وبالنظر إلى المحراب، وإلى اليسار، توجد أيضاً أربعة أحجار، ملبسة على المحراب بشكل رأسي. وسنتبع في وصفها ذات النسق المستخدم في وصف الأحجار السابقة وتسلسلها.

الحجر الأول : تتماثل الزخرفة هنا مع ما رأيناه على الحجر الأول في الجهة الأخرى من المحراب، والفرق الوحيد أن النجمة هنا تتكون من ثمانية فصوص .

الحجر الثاني : يتشكل التصميم هنا من دائرتين ، تحيط إحداهما بالأخرى. ويظهر شكل يشبه الصليب في وسط الداخلية منهما. ولقد أدى هذا العنصر الهندسي إلى تقسيم الدائرة إلى أربعة أجزاء، حيث تبدو الزخرفة في كل جزء متطابقة مع الجزء المقابل. فنرى في جزئين ظهور الورقة النخيلية، بينما تزين الجزئين الآخرين عناصر زخرفية نباتية، ويتميز أحدهما عن الآخر بوجود عنصر هندسي عن شكل معين (أنظر شكل، 54). أما في الدائرة الخارجية فتظهر كتابة متميزة بالخط الكوفي البسيط . وتقرأ على النحو التالي :

(نعمة سابغة، بركة كاملة، بركة من الله لمن أمن بأمان الله، وليه) وفي هذه العبارة إشارة إلى أن من أمر ببناء المسجد رجل تميز بالعلم. وهذا ما يرجع نسبته إلى أبى هارون .

الحجر الثالث : تتشكل الوحدة الزخرفية هنا من خمس دوائر تحيط كل منها بالأخرى. ويظهر في الوسط زهرة ذات ثمانية فصوص. ويظهر في معينتها العنصر النباتي الشوكي. وفي هذه الوحدة نرى شكلا جديداً في التصميم، إذ يظهر شكل هندسي على هيئة معين متصلا بالدوائر المحتوية على الوحدة الزخرفية. ونرى تتابع الأقراص الصغيرة داخل محيط الدائرة الخارجية. وفي وسط كل قرص تظهر حبيبة (أنظر شكل ، 55) .

الحجر الرابع : تتكون الوحدة الزخرفية هنا من ثلاثة دوائر. وهي تتبع نفس النسق الذي رأيناه في الأحجار السابقة. ويشغل وسط هذه الوحدة الزخرفية نجمة سداسية. ويبدو أنها قد تشكلت بفعل المثلثين المقلوبين، اللذين يظهران على شكل معين. والزخرفة في مجملها متطابقة مع ما رأيناه على الحجر الأول، في الجهة الأخرى من المحراب (أنظر شكل، 56) .

والحقيقة أننا على علم بأنّ أبا موسى التملوشايتي، حاكم جبل نفوسة[189]، قد اتخذ أبناين مقراً لإقامته، في القرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي. كما أننا على علم أيضاً، بأنّه كان أحد العلماء المتميزين بالجبل . وطبقاً

---

[189] تملوشايت إحدى قرى الجبل القديمة ، وتبعد حوالي 30كم ، إلى الشرق من كاباو .

للمعلومات التاريخية فهو الرجل الذي بنى مسجداً بقرية أبناين[190]. وبالإضافة إلى ذلك، فالمصادر التاريخية تدعم هذه المقولة. وتجاوزاً لما سوف يطرح في موضوع الزخرفة، فأسلوب الكتابة الكوفية والمستوى الراقي المتمثل في الزخرفة، يرجحان نسبة هذا المسجد إلى فترة أبي هارون، وهذا المسجد أيضا، كما هو مسجد تنومايت، يظل مثلاً جيداً لدراسة المساجد القديمة بالجبل .

ولقد وردت إشارات، في الصفحات السابقة ن إلى بعض المظاهر المعمارية والفنية. ولقد تعمدنا مجانبة الخوض فيها، لأننا بحاجة إلى أمثلة أخرى تساعدنا على تكوين فكرة بشأن وجودها في جبل نفوسة. وفيما يلي مختصر لأهم هذه المظاهر .

لقد اتضح لنا أنّ أكثر المساجد، التي أشير إليها فيما سبق، قد بنيت على مستوى أقل من مستوى سطح الأرض المقامة عليها، كما يلاحظ أن مسجد تنومايت محفور بكامله في باطن التلة الصغيرة. ويتضح أيضاً شيوع تغطية هذه الأبنية بالأقبية البرميلية. والسؤال يتمحور حول تفسير هذه الظاهرة .

ومن المعروف أن صلاة الجمعة تتضمن ركناً أساسياً ، ألا وهو الخطبة، وهذا الركن يحتاج إلى وجود المنبر لتنفيذه. ولقد رأينا غياب هذا المظهر في المساجد الأنفة الذكر، وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي :
كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة في المساجد القديمة بجبل نفوسة ؟! .

ولقد تبين لنا أيضاً وجود فتحة بأعلى الجدار في مسجد نالوت، وكذلك الحال بالنسبة لمسجد تنومايت. ويلاحظ أنّه في الأول قد تم سد جزء كبير من الفتحة، أمّا في الثاني فلقد تم إغلاق الفتحة بالكامل، وبقي الدرج الذي لا تعرف له وظيفة. فهل لهذه الفتحات المستغنى عنها في مساجد الجبل، وكذلك الدرج، علاقة بالنداء للصلاة (الآذان) في وقت ما ؟ .

ولقد ظهرت المئذنة في العمارة الإسلامية في وقت مبكر، وبالتحديد في القرن الأول الهجري - السابع مسيحي . ولقد رأينا في مساجد الجبل غياب هذا العنصر المعماري، فلماذا تفتقر مساجد الجبل إلى هذا المظهر المحبب، مع الأخذ في الاعتبار عدم ضرورة وجود المئذنة في السنوات الأولى لظهور الإسلام ؟ وكذلك ما هو التعريف الحقيقي لكلمة (الصمعة) في جبل نفوسة، وما هي الوظيفة الحقيقية للصمعة ؟ .

وإنّ وجود المحراب في أي مسجد هو في حقيقة الأمر تحديد الاتجاه نحو الكعبة المشرفة بمكة، ولقد حرص المعماريون والفنانون المسلمون على الاهتمام والتركيز على هذا العنصر المعماري. ونحن قد رأينا محاريب المساجد في جبل

---

[190] الشماخي ، السير ، ص 341 .

نفوسة متصفة بالبساطة والخلو من الزخرفة والكتابة. هذا إذا استثنينا محراب مسجد ابناين، فهل يمكن لنا أن نعتبر هذه الظاهرة من خصوصيات المسجد الأباضي بالجبل ؟

وثمة أسئلة أخرى يطرحها الحديث عن الكتابة في مسجدي أبناين وتنومايت وغيرهما. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل السادس، حيث يتم مناقشة الكتابات الأثرية، التي عثر عليها بجبل نفوسة. أمّا ما يتعلق بالزخرفة وأساليبها، فسنتعرض له مع تقدم البحث .

وعلى الرغم من القصد الذي تبناه هذا المبحث، والمتمثل في عدم التوسع في دراسة ومناقشة قصور التخزين، إلاّ أنّ التعرض لذكرها والإشارة إليها، ربما يساعدنا في رسم الصورة الكاملة للمدينة، أو القرية الأباضية بالجبل، إبان القرون الإسلامية الأولى. ومن البديهي أن تتشكل بعض المحاور ذات الأهمية من خلال متابعتنا لدراسة المزيد من المباني الأثرية بهذه المنطقة .

الفصل الثالث
فرسطه ـ تملوشايت ـ تندميره

فرسطه - تملوشايت - تندميره

عندما يمعن المرء النظر في القرى القديمة المتناثرة بجبل نفوسة، يميل إلى الاعتقاد بأنّ أعداد غفيرة من الناس قد استوطنت هذه الأنحاء عبر تاريخها الطويل. وعلى الرغم من الدمار والخراب والهجرة التي شهدتها هذه القرى القديمة، فهي لازالت تحتفظ بقدر من الأهمية. ومن الجدير القول بأنّ هناك تماثلاً واضحاً بين أغلب هذه القرى، ولكن بعضاً منها يتميز بمواصفات خاصة. فمقرات الحكام والمباني المخصصة للتعليم والأسواق، في بعض هذه القرى، تزودنا بمعلومات تساهم في إلقاء المزيد من الضوء على الجوانب التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لهذه المنطقة .

قرية فرسطه :

تبدو آثار فرسطه القديمة على بعد 8كم إلى الشمال الغربي من قرية كاباو. ويظهر أنّها مكونة من قريتين. والأقدم منهما لم يتبق بها إلاّ بقايا المسجد، الذي يعتقد بأنّه كان كنسية في أول الأمر[191]. ويوجد إلى الشرق من هذا الموقع، وعلى بعد حوالي 2كم، قرية فرسطه الكبيرة، التي تحتل مركز الاهتمام. وهي تقع على سفح جبل يطل على سهل الجفارة في الجهة الشمالية، بينما يمتد وادي طمزين في الأسفل، من الناحية الجنوبية الشرقية. وعلى الرغم من هجرة السكان لهذه القرية، إلاّ أنّ بعض الأهالي لازال يستغل أبنيتها من آن لآخر[192] .

ويصف موتيلنسكي فرسطه كالتالي : " يستطيع المرء أن يرى على جبل صغير الآثار القيمة لقرية فرسطه، ويتوسط المسجد بقايا الآثار القديمة، ويوجد قصر التخزين باتجاه الجنوب من هذه الأطلال. ويقع بين هذه القرية و (طمزين) واد كبير مليء بأشجار النخيل، ويحتوي الوادي على منخفض به عين ماء، وهي العين التي يتزود منها الأهالي بحاجتهم من الماء. ويوجد أيضاً بئر ماء أمام القرية. وينتمي السكان جميعهم إلى المذهب الأباضي. وتضم قرية فرسطه قصراً للتخزين، حيث يحتفظ الأهالي بالقمح والشعير والزيت والصوف، ويتولى حراسة هذا القصر رجل من أهالي المنطقة نفسها " [193].

---

[191] ديسبو ، نفس المصدر ، ص 265 .

[192] لازال الأهالي الذين يقطنون بقرب الموقع يأتون من آن لآخر ، لاستعمال معصرة الزيتون . ولازال قصر التخزين بحالة جيدة .

[193] موتيلنسكى ، نفس المصدر، ص 104-5 .

ويعيد (باسي) نفس المعلومات التي ذكرها موتيلنسكي ولكنه يضيف ، بأنّ المسجد، الذي يقع في وسط القرية، ربما كان في سابق عهده كنيسة مسيحية[194].
كما أنه يشير إلى العلاقة التجارية التي ربطت جبل نفوسة بالسودان (النيجر، نيجريا، تشاد، مالي)، في القرن الثالث الهجري -التاسع مسيحي- والحقيقة أنّ باسي يؤسس لهذه المعلومة على القصة التي أوردها الشماخي عن العالم المعروف أبى يحيى، ورحلته إلى بلاد السودان[195]. وإذا ما رجعنا إلى الدراسات المتعلقة بتجارة القوافل، رأينا ما تشكله منطقة الجبل من أهمية في هذه التجارة. ولكن لا يوجد حتى الآن، ما يؤكد على أنّ أهالي نفوسة قد امتهنوا التجارة، بقدر ما توجد من إشارات تؤيد مصاحبتهم للقوافل بقصد نشر العلم والمذهب الأباضي[196].

ويصف ليفسكي فرسطه على النحو التالي : (فرسطه - حقيقة - قرية لها أهمية كبرى. إنها تقع ضمن منطقة الحرابة، في الجزء الغربي من جبل نفوسة، وليس بعيداً عن كاباو. والواقع أنّ وصف بقايا أطلالها جاء عن طريق ديسبوا (Despois). وتعد فرسطه من القرى القديمة بالجبل. وهي موجودة قبل الفتح العربي بوقت طويل. ومن المتعارف عليه أنّ ثمة كنسية مسيحية بهذه القرية. وكانت قد حولت إلى مسجد بعد اعتناق الأهالي للدين الإسلامي. ولذا فكلمة فرسطه ذاتها دليل على قدم هذا الموقع الذي يعود إلى العهد الرومانني).

ويضيف، (ومن الممكن أن نتبين أن كلمة فرسطة كلمة لاتينية أفريقية. وهي ترتبط بكلمة فورسار (Forsar). وترتبط أيضا بالكاتالونية (Catalonian) وبالكلمة البرتغالية فولكار (Folcar)، والكلمة الأسبانية فورزار (Forzar)، والكلمة الإيطالية اللاتينية فورسير (Forcerr)[197].

ويسترسل ليفسكي فيقول: (إن أقدم المصادر العربية التي تحدثت عن فرسطه، هو كتاب أبي سعيد الفرسطائي . ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن الثالث الهجري - التاسع المسيحي).

ولازالت مباني فرسطه القديمة بحالة جيدة. وتدلل دورها القائمة والمتلاصقة ببعضها أنّ هجرة سكانها قد تمت قبل فترة ليست بالطويلة (أنظر شكل، 57). ومن الممكن أن يلحظ المرء بسهولة التماثل بينها وبين قرية نالوت. كما أنّ تخطيطها الأصلي يذكرنا بمدن المزاب في جنوب الجزائر[198].

---

(194) يقصد باسي بعبارته المسجد القائم بفرسطة القديمة .

(195) باسي ، نفس المصدر ، ص 444 .

(196) الشماخي ، السير ، ص 312 .

(197) ليفسكي ، نفس المصدر ، ص 71-2 .

(198) M. Roche, le M'ZAB, PARIS, 1970, PP.29-30.

ويتوسط قصر التخزين أطلال هذه القرية الكبيرة. وهو يشبه إلى حد كبير القصر الموجود بقرية نالوت القديمة. ويمتاز قصر فرسطه بوجود برج به (أنظر شكل، 58). وهذا البرج المتصدع بعض الشيء يقوم دليلاً على استعمال القصر لأغراض دفاعية. ووفقاً للمصادر التاريخية ففرسطه كانت قائمة إبان القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي[199]. وإذا سلمنا بوجود القصر في المخطط الأصلي للقرية، وهو الأرجح، فلدينا الآن مثل يمكننا من القول بأنّ قصور التخزين كانت قائمة في قرى الجبل في هذا التاريخ .

وتشبه بيوت فرسطه إلى حد كبير، تلك التي رأيناها بنالوت. ونتيجة لاتصال بعضها بالآخر،تشكل جدران البيوت التي تقع على حافة القرية، في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، ما يشبه السور (أنظر شكل، 59). أمّا شوارع القرية وأزقتها المتعرجة، التي لا تفارقها الظلال، فهي ظاهرة تتميز بها أغلب المدن والقرى الصحراوية . وأفضل الأمثلة لهذه الظاهرة في ليبيا مدينة غدامس القديمة الواقعة في الجنوب الغربي من الجبل (أنظر شكل ،60) .

مسجد أبي يحيى :

يقع هذا المسجد في وسط سفح الجبل، الذي تقوم عليه القرية. ولازال المسجد يحاط بالتقدير والزيارة من قبل الأهالي في المنطقة. ويميل مخطط المسجد إلى الشكل المربع (أنظر شكل 61). وتتكون قاعة الصلاة من أربعة أروقة مغطاة بأقبية برميلية. ويبدو جلياً أن ثمة رواق آخر باتجاه الشمال الشرقي اعتماداً على بقايا الأساسات البادية للعيان.

ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 11.75م، بينما يبلغ طول الجدار الشمالي الشرقي حوالي 12.80م، والجدار الجنوبي الغربي حوالي 12.30م. ويقدر اتجاه المحراب بحوالي 160درجة، بينما يبلغ عمقه 90سم تقريباً (أنظر شكل، 63). كما يوجد تجويف آخر في الجدار الشمالي الشرقي، على خط مستقيم مع محراب المسجد. وبما أنّه لا يؤدي أي وظيفة بالمسجد الآن، فالأرجح أنّه كان مدخلاً. ولقد أغلق أثناء إحدى عمليات الترميم التي جرت بهذا المسجد. وربما كان المدخل خاصاً بالنساء (أنظر شكل، 64)، ومن المؤكد أنّ الأعمدة التي يستند عليها سقف المسجد قد جلبت من مبنى روماني أقدم عهداً. وليس مستبعداً أن تكون من بقايا الكنسية التي أشار إليها بعض الباحثين. وهذا ما يحملنا على القول بأنّ

---

[199] والحقيقة أن هذه الظاهرة لا تقتصر على هذا المكان ، فنحن نراها في المدن الواقعة على الساحل الشمالي ، أنظر ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، القاهرة ، 1970، المجلد الأول ، ص 643- 48. وللاطلاع على أول إشارة إلى فرسطه أنظر ليفسكي ، نفس المصدر ، ص 72 .

الحفريات الأثرية في هذا الموقع ستلقى بالضوء على كثير من التساؤلات، وربما تؤكد لنا أنّ المسجد قد بنى على أنقاض الكنسة ذاتها .

ويوجد بفناء المسجد حجرة ملاصقة للجدار الجنوبي الغربي وتبلغ مساحتها حوالي 7.20 متر مربع. وهي تذكرنا بالحجرة التي وجدت بمسجد تنومايت. وبالإضافة إلى العثور على كمية كبيرة من أوراق المخطوطات، فإن المصادر التاريخية تؤكد على دور هذا المسجد في مجال التعليم[200]، وهذا ما يجعلنا نميل إلى القول بأن هذه الحجرة قد أستعملت لحفظ المخطوطات (أنظر شكل، 65). ويعتقد أن بعضاً من هذه المخطوطات القيمة، التي كان يشتهر بها هذا المسجد، لا تزال بحوزة مجموعة من الناس .وكما هي العادة - جهلاً- لازال الناس يتكتمون عليها .

ويوجد مدخلان لقاعة الصلاة. أحدهما في الجدار الجنوبي الغربي، ويبلغ عرضه حوالي 55سم ، وارتفاعه حوالي 95سم . أمّا المدخل الآخر فيقع بالجدار الشمالي الشرقي . ويبلغ عرضه 80سم، وارتفاعه 1.15م، وللمدخل الأخير أربع درجات تقود إلى قاعة الصلاة (أنظر شكل 67 ، 68 ، 69) .

ويميل شكل الفناء إلى ما يشبه المثلث غير المتساوي الأضلاع، ويحده من الجهة الشمالية ثلاث حجرات محفورة في باطن الجبل. ويبدو أنّ هذه الحجرات، حديثة العهد، أنشئت لإيواء الزوار. وثمة صهريجان للماء محفوران بهذا الفناء (أنظر شكل ، 70)، أمّا الدرج الموجود بالفناء ، قريباً من قاعة الصلاة، فهو يقود إلى سطح المسجد، وكذلك إلى خارج المسجد (أنظر شكل 70). ويغلب الظن على أنّ الأصل في هذا الدرج يعود إلى استعماله للوصول إلى السطح لإقامة الأذان، نظراً لوجود الكثير من الدور على مستوى أعلى من المسجد .

ولقد أشرنا سابقاً إلى أن المئذنة، أو الصومعة قد غابت عن عمارة المساجد الأباضية السالفة الذكر، وفي مسجد نالوت رأينا ذلك العنصر المعماري، الذي يطلق عليه (الصمعة).كما أشرنا إلى أن (الصمعة) في الجبل لم تستخدم لأداء وظيفة غير وظيفة تحديد مكان المسجد. والصومعة في العربية تطلق على المئذنة . وتحريفها إلى كلمة (الصمعة) شائع في بلدان الشمال الأفريقي. والصومعة تعني أيضاً دير الرهبان، الذي عادة ما يكون في الأماكن العالية والمنقطعة .

ولا تفوتنا الإشارة إلى أننا نشهد تلازما بين (الصمعة) والمسجد الأباضي في جبل نفوسة. ويجب أن نستبعد هذا عن علاقته بالأذان. فالأذان كما يبدو من الأمثلة العديدة، كان يقام في الأغلب الأعم من فوق سطح المسجد. والدرج الذي شاهدناه في هذه الأمثلة يؤكد وجاهة هذا الرأي. وهذه الظاهرة نجدها منتشرة في

---

[200] على معمر ، نفس المصدر ، ص 82 .

المساجد القديمة بطرابلس، وغيرها من مناطق الشمال الأفريقي. وتظهر بجامع الناقة مترافقة مع وجود المئذنة، ويعود تاريخه إلى القرن الرابع الهجري[201]. ويقود الدرج في جامع الناقة مباشرة إلى المئذنة ذات الشكل المربع.وثمة درج آخر يقود إلى السطح .

وإذا عدنا إلى السنوات الأولى للإسلام وجدنا أنّ إقامة الأذان كانت تتم من على سطح مجاور لمسجد المدينة. وأن أول أذان أقيم بمكة كان من على سطح الكعبة. ومن المعروف أن المسلمين لم يستخدموا المئذنة إلا بعد الفتح الإسلامي للشام[202]. وكانت أول المآذن التي عرفت في الإسلام هي الأبراج المربعة بالجامع الأموي بدمشق. وهذا النمط من المآذن انتشر فيما بعد، في بلدان الشمال الأفريقي والأندلس [203]. ولكن الحال يختلف في جبل نفوسة، حيث غابت المئذنة عن معمار المسجد الأباضي، وهذا الغياب ربما يعزى إلى أمرين. الأول أنّ الأباضيين بجبل نفوسة عرفوا بتمسكهم الشديد بتعاليم الدين الإسلامي. وكذلك ثبت أنهم لم يكونوا على وفاق مع الأمويين، ويبدو أنّهم كانوا ينظرون إلى المئذنة على أنّها أموية. والثاني أنّ معظم مساجد الجبل قد احتلت أعلى الأمكنة في المدن والقرى. ولذا لم تكن ثمة ضرورة لبناء المآذن. والحقيقة أنّ هذا الأمر لا علاقة له بالدين، بقدر ماله علاقة بظروف وضعية المسجد من جهة . ومن جهة ثانية نراه قد ارتبط بإعزاز أماكن العبادة الإسلامية. واستجابة لروح التنافس ، التي أملاها على المسلمين منذ البداية ما وجدوه من إحتفاء بدور العبادة في الأديان الأخرى .

ولقد رأينا أنّ المظهر الشائع في جبل نفوسة هو الدرج الذي يقود إلى سطح المسجد. ويذكر شاخت (J.Schacht) أن هذه الظاهرة قد وجدت بجامع الفسطاط بمصر، وكذلك في المنازل بسوريا ، قبل الإسلام. وأنها ظاهرة منتشرة بالمساجد الأباضية، ومن ضمن ذلك مساجد جربة والجنوب التونسي، ويختم شاخف مقالته بالإشارة إلى نيجيريا. فيقول أنّ وجود هذه الظاهرة ببعض مساجدها كانت نتيجة للتواصل مع مدن المزاب بالجنوب الجزائري[204].

ونحن إذ نميل إلى الاتفاق مع شاخت فيما يتعلق ووجود هذه الظاهرة بنيجيريا، وجب أن نبين وجودها في أنحاء متفرقة من ليبيا. أمّا وجودها في جبل نفوسة فيقدم دليلاً آخر على دعم نظرية شاخت. وكما أشرنا سابقا فقد وجدت هذه الظاهرة المعمارية بمسجدي أبناين وأبي يحيى بفرسطة. وبناء على الأدلة

---

(201) التيجاني ، رحلة ، ص 145، الزاوي ، معجم ، ص 94 .

(202) أنظر كريزوال ، نفس المصدر ، المجلد 1، ص 11 وقارن ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، مجلد 1، 637-640.

(203) كرزويل ، نفس المصدر ، ص 38-9 ، وقارن فريد شافعي ، نفس المصدر ، ص 635 -6 7 .

(204) أنظر ، l,institute de recherches (Tomxi) Alger, 1954 , pp . 14-5 , 19

التاريخية، يمكننا إرجاع تاريخهما إلى المنتصف الأول من القرن الر بع الهجري - العاشر مسيحي. ومن المعروف أن أول مدينة بنيت في منطقة المزاب، يعود تاريخها إلى المنتصف الأول للقرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي. ولذلك فإن المسجدين بجبل نفوسة هما أقدم عهداً من مدن المزاب، ووفقا للأدلة التاريخية أيضا نستطيع القول بأن هذه الظاهرة قد انتقلت إلى الغرب عن طريق جبل نفوسة. وثمة احتمال يقضي بأنها انتقلت أيضا إلى الجنوب. ومما يدل على ذلك إشارة المصادر التاريخية إلى العلاقة التجارية بين نفوسة وبلاد السودان، إبان القرن الثالث الهجري التاسع مسيحي. وهي معلومة شائعة الانتشار[205].

والحقيقة أننا لا نملك حتى الآن دليلا أثريا نعتمده لنؤرخ بالتحديد لمسجد أبى يحيى بفرسطه. ولكننا بالاعتماد على المعلومات التاريخية، نستطيع الوصول إلى تاريخ تقريبي. والنص التاريخي يذكر بأن رجلين باسم أبى يحيى ينسبان إلى فرسطه، أحدهما هو أبو ذر صدوق، الذي قتل في معركة مانو 288هـ ، 896م[206].والآخر هو ابن القاسم الذي كان معاصراً لأبي ذر. ويبدو أنّ الأخير هو الأقرب للارتباط بهذا المسجد. ذلك لأنّه قد وصف بتبحره في العلم . وكان ذا صيت رفيع بين علماء نفوسة . ولقد كان لفترة ما مستشاراً لحاكم الجبل أبى زكريا[207]. ووفقا لهذا النص يمكننا القول بأن هذا المسجد كان قائماً في المنتصف الأول من القرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي، والاحتمال أيضاً قائم بعودة بناء المسجد إلى تاريخ أقدم عهداً .

ويبدو أنّ قرية فرسطه كانت مزدهرة إبان عهد أبى يحيى . ويبدو كذلك أن هذا الازدهار قد استمر لفترة طويلة من الزمن. فالمعلومات تؤكد على أنّ قرية فرسطه كانت إبان القرن الثامن الهجري الرابع عشر مسيحي، تضج بالنشاط والحركة، وربما يعود إلى هذا الأمر استقرار عالم الجبل الكبير، أبو طاهر الجيطالي، بهذه القرية، وقيامه بالتدريس فيها[208]. واعتماداً على ما يرويه سكان المنطقة. فقرية فرسطه لم تزل عامرة بالناس إبان القرن الرابع عشر الهجري - القرن العشرون مسيحي. ولم يهجرها السكان إلا في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين .

---

[205] روسي ، نفس المصدر ، ص 29، عبد الرحمن الجيلاني ، تاريخ الجزيرة العام ، بيروت ، 1965، الجزء الأول ، ص 237، أنظر أيضا ، شاخت نفس المصدر ، ص 21-2. والشماخي ، السير ، ص 312-437 .

[206] الشماخي ، السير ، ص 268-9 .

[207] المصدر السابق ، 310-1-320،2 .

[208] المصدر السابق ، ص 558. مونيلنسكي ، نفس المصدر ، ص 104 .

ولقد تم العثور على بعض اللقيات من القطع الفخارية بفرسطه . وجد أغلبها حول مسجد أبى يحيى. ولا جدال حول نسبة هذه القطع الفخارية إلى فرسطه. ذلك أن أثاراً لفرن قديم للفخار لازال ظاهراً لعيان. ولا يبعد عن المسجد إلاّ أمتار قليلة (أنظر شكل، 72) .

وهذا مما يزيد من أهمية قرية فرسطة. فالاحتمال أنها كانت أحد المراكز لتصنيع الفخار بجبل نفوسة.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن القطع الفخارية التي وجدت بفرسطة تتميز بطابعها الإسلامي، وعلى الرغم من ذلك، فهي لا تكفي لأن تكون موضوعاً للمناقشة. ولكن إذا قدر أن تكون حفريات ، في يوم من الأيام، بهذا الموقع، فلا يستبعد أن تزودنا بما يسلط مزيداً من الضوء على هذا الجانب من الفن الإسلامي بجبل نفوسة .

تملوشايت:

تقع قرية تملوشايت على بعد عشرين كم، تقريباً، إلى الشرق من كاباو، ومبانيها تنتصب على قمة جبل يطل في الغرب على واد صغير، ويمتد هذا الوادي، باتجاه الشمال، ليتصل بسهل الجفارة. وبالإمكان أن يرى المرء قريتي طمزين[209]، وفرسطة على الضفة المقابلة للوادي .

ولم يكتب إلا القليل عن قرية تملوشايت. وكتب الأقل عن مسجدها، الذي يعرف بمسجد أبى نصر. ليفسكي، مثلاً، يصف تملوشايت على أنّها قرية تبعد عن كاباو بحوالي 12كم، وطبقاً لما نقله عن ديسبوا، والذي اعتمد بدوره على رواية محلية، يرجع بناء مسجد تملوشايت العتيق إلى القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي . ولذا يضيف ليفسكي : (إذا كان هذا صحيحاً، فالقرية كانت عامرة في القرن الثاني، الثالث الهجري- الثامن، التاسع مسيحي)[210]. أمّا المصادر التاريخية فتؤكد على وجودها في القرن الرابع الهجري - العاشر مسيحي .

ويذكر باسَي بأن المسجد بتملوشايت يعرف باسم بوزارزارت، (Buzarzart) وأن شهرة تملوشايت تعود إلى العلماء الذين ينتسبون إليها. ويذكر أن من هؤلاء النفر، أبو هارون التملوشايتي، تلميذ محمد بن خصيب. ويشير باسي إشارة عابرة إلى مسجد أبى نصر[211] .

ويرى المرء على بعد حوالي 1كم. إلى الشرق من قرية تملوشايت بقايا لمسجد قديم وسط الركام لدور متصدعة. وبقايا هذه الأطلال تشير إلى مدى اتساع

---

[209] تخزين إحدى القرى القديمة بجبل نفوسة ، وتبعد حوالي 10كم ، عن فرسطه .

[210] ليفسكي ، نفس المصدر ، ص 59- 60 ، الشماخي ، السير ، ص 301 .

[211] باسَي ، نفس المصدر ، ص 451-2 .

رقعة هذه القرية. وسيراً إلى الشرق من هذا الموقع، وعلى مسافة قريبة، يوجد مسجد أبى نصر المتوحد، حيث لا يرى شيئاً حوله (أنظر شكل، 73) .

وتدل بقايا الآثار حول مسجد أبى نصر على اتساعه، مقارنة بمساجد الجبل القديمة. وتبلغ مساحته حوالي 144 متر مربع (أنظر شكل،74)، ولم يعد في الوقت الحالي قائماً من هذا المسجد إلا رواق القبلة، المغطى بقبو برميلي. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 12.20م . ويخلو المحراب، الذي يبرز خارج جدار القبلة، من الكتابة والزخرفة، ويبلغ عمقه حوالي 1.50م تقريباً (أنظر شكل 73، 74). ويقع مدخل الرواق المتبقي في الجانب الشمالي الغربي. ويبلغ عرضه حوالي 62سم، وارتفاعه حوالي 90سم. ويبدو أنّ هذا المدخل قد أحدث عندما أغلقت الأقواس المتبقية من المسجد القديم. ويوجد عمود ملقى، على بعد مترين، خلف الجدار باتجاه الشمالي الغربي. ويرجح أنّه كان من ضمن الأعمدة، التي استخدمت في باقي الأروقة .

ولقد بنى المسجد من الأحجار غير المستوية والطين. وإلى جانب المسجد، في الركن الشمالي الشرقي يوجد صهريج للماء، محفور في الأرض (أنظر شكل، 77)، وهذا الصهريج، كما هو الحال بالنسبة للصهاريج الموجودة بالجبل، يميل إلى الشكل الدائري. وينسب المسجد إلى أبى نصر فتح بن نوح الملوشاي. وهو أحد علماء جبل نفوسة المعروفين في القرن السابع الهجري - الثالث عشر مسيحي[212]، وهذا المسجد، حقيقة، لا يمثل قيمة فنية أو معمارية، بقدر ما تمثل نسبته إلى أبى نصر من أهمية. فهو الذي صاغ للأباضيين أعمالاً فريدة [213]. ومن جهة أخرى، فهو مثال لمسجد أباضي يعود تاريخه إلى القرن السابع الهجري - الثالث عشر مسيحي. وهذا مما يدل على أنّ الإباضيين، حتى هذا الوقت، لا يعيرون اهتماماً للشكل، بقدر ما يهتمون بالمضمون، ولعله بعد كل هذا يقدم لنا مثلا لمسجد بدون محراب، إذ أن المحراب الحالي مستحدث في ترميم لاحق لبناء المسجد. وهذه الظاهرة ستتعرض لها بتفصيل عند التطرق إلى مناقشة الجانب المعماري لأكبر مساجد جبل نفوسة، الموجود بقرية شروس القديمة .

تندميرة :

تقع قرية تندميرة على بعد حوالي 7كم، في الاتجاه الشرقي من قرية تملوشايت. وتربض مبانيها على مرتفع ينحدر نحو الشرق ليتصل بوادي شروس .

---

(212) الشماخي ، السير ، ص 348 .

(213) المصدر السابق ، ص 549، أنظر أيضاً ، مونيلنسكي ، نفس المصدر ص 103 .

وتنتشر أطلال هذه القرية على رقعة واسعة من الأرض. والمرء لا يملك إلا التحسر عند رؤية الحالة المزرية التي عليها بقايا هذه الأطلال. ذلك أنّ هذه القرية قد لعبت دوراً في تاريخ جبل نفوسة. وكانت مقراً لأحد أشهر حكام الجبل. وبطبيعة الحال فسكان هذه القرية قد هجروها منذ زمن طويل. ويبدو أن مبانيها قد تصدعت ماعدا المسجد المعروف بمسجد أبى منصور إلياس. ويعيش أهل تندميرة اليوم في منازل حديثة لا تبعد كثيراً عن هذا المسجد. ولكن أهم ما يشغل اهتمامهم عند النظر إلى قريتهم القديمة، هو مسجد أبى منصور، الذي عانى وكسب في ذات الوقت من أعمال الترميم .

ويتعرض موتيلنسكي إلى ذكر قرية تندميرة. ويصفها على النحو التالي: (يوجد الكثير من أشجار الزيتون إلى الغرب من قصر تندميرة. ويمتلك أهالي القصر عدداً هائلاً من أشجار النخيل، وأمام هذه القرية يوجد صهريج للماء. وإلى الأسفل من هذا الصهريج يمتد الوادي المليء بأشجار النخيل والزيتون. ويفصل هذا الوادي قرية تندميرة عن قرية طمزين)[214].

وأمّا ليفسكي فيقول: (أنّ تندميرة تعتبر مسقط رأس أبى منصور إلياس، الذي حكم جبل نفوسة في العهد الرستمي، إبان المنتصف الأخير من القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي). كما أنه يضيف بأن مسجد أبى منصور إلياس لازال قائما، ويحظى بالتقدير والزيارة من قبل الأباضيين القاطنين بالجبل [215].

ولا يتبع الشماخي هذا النسق في وصف القرى الأباضية بالجبل. فهو يتعرض للقرى عندما يضطره السياق التاريخي للإشارة إليها. ولذا تتوزع أخباره عنها في كتابه التاريخي (السير). فهو، مثلاً، يشير إلى تندميرة على أنها إحدى أهم ثلاثة قرى بجبل نفوسة.كما أنه يكثر من مدح هذه القرى، بسبب بعض رجالاتها الذين ساهموا بشكل إيجابي في تاريخ المنطقة [216].

والحقيقة ليس ثمة شيء يجذب المرء إلى آثار تندميرة عدا مسجدها المعروف، بمسجد أبى منصور إلياس (أنظر شكل، 78)، وهو يقع على تلة صغيرة تشرف في الجهة الشرقية على وادي شروس، محاطا بأكوام من الأنقاض.

لقد سبقت الإشارة بتوسع إلى أبى منصور إلياس، الذي حكم جبل نفوسة، في القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي. وكان ذلك في عهد الأماميين الرستميين، اليقظان وأبى حاتم[217]. ونحن على علم بأنّ إمامة اليقظان قد دامت

---

[214] موتيلنسكي ، نفس المصدر ، ص 103-4 .

[215] ليفسكي ، نفس المصدر ، ص 59-60 .

[216] الشماخي ، السير، ص، 301، 307، 315،- 6 .

[217] الشماخي ، السير ، ص ، 301 ، 307 ، 315 – 6 .

لمدة أربعين عاماً (241-281هـ). ولكن الذي لا نعلمه هي السنة التي عين فيها أبو منصور حاكما للجبل. وعلى أية حال، فبإمكاننا تحديد تاريخ تقريبي لبناء مسجد أبى منصور. وهذا التحديد سيعتمد على حدثين كبيرين، فالأول يتعلق بهزيمة العباس بن طولوب على يد أبى منصور الياس في سنة 267هـ-881م. والحدث التاريخي الآخر هو معركة مانو، التي هزم فيها الأغالبة أهالي نفوسة، بقيادة العباس بن أفلح، خليفة أبى منصور إلياس، في عام (283هـ-296م) [218].

ووفقاً لهذه الحقائق التاريخية يصبح بإمكاننا القول، أن مسجد أبى منصور قد أسس في الفترة ما بين 267هـ، و282هـ. ويترتب على هذه النتيجة معرفتنا لأقدم مسجد قائم بمنطقة جبل نفوسة، على الرغم من تصدع جزء من بنائه الأصلي.

ولازال رواق القبلة بحالة جيدة . أمّا بقية المسجد فيمكن تتبع أسسه الأصلية بسهولة، نتيجة لبقايا أطلاله المتصدعة الظاهرة للعيان. ومخطط المسجد الأصلي يقترب من الشكل المربع. ويبلغ طول جدار القبلة فيه حوالي 19.30م. أمّا الجدار المقابل لحائط القبلة فيبلغ حوالي 19.10م. ويقدر طول الجدار الشمالي الشرقي بحوالي 18.10م. كما يبلغ سمك الجدار حوالي متر واحد. ومثل ما هو في مسجد أبى نصر، فثمة عمود ملقى خلف الرواق الثاني (أنظر شكل،79). وعند تتبع أساسات المسجد الأصلي، تبين أنّه كان يتكون من خمسة، وربما من ستة أروقة، اعتمادا على عرض المسافة في الرواقين القائمين حالياً. وللمسجد بوضعه الراهن مدخلان، أحدهما في الجدار الشمالي الشرقي، ويبلغ عرضه 72سم، ويقدر ارتفاعه بحوالي متر واحد. والآخر يقع في الجدار الشمالي الغربي . ويظهر أنّه قد استحدث خلال ترميم أجرى على المسجد. ولقد شمل الترميم أيضاً سد الأقواس في الرواق الثاني . (أنظر شكل، 81 - 82) .

ونرى على سطح المسجد، وفوق المحراب مباشرة، العنصر المعماري الذي يطلق عليه (الصمعة). وهي تتكون هنا من قاعدة صغيرة مربعة. ويبلغ طول كل ضلع فيها حوالي 90سم. وبعلو هذه القاعدة بناء اسطواني الشكل. ويقدر ارتفاعه بحوالي 90سم .ومن البديهي أن يذكرنا هذا العنصر المعماري بما رأيناه في مسجد نالوت، إلاّ أنّه في مسجد أبى منصور أكثر اتقاناً. وكذلك أكثر دلالة على تحديد موقع المسجد (أنظر شكل 83، 84، 85، 86) وأمّا الفتحة التي نراها في هذه (الصمعة) فهي تعبر عن فكرة لطيفة تتعلق بالتهوية وإدخال قدر ضئيل من الضوء إلى داخل قاعة الصلاة .

---

(218) المصدر السابق ، ص 224 .

ونشاهد أيضاً خلف أساسات المسجد الأصلي، في الجهة الشمالية الغربية، بقايا لآثار تشير إلى وجود فناء ملتصق بقاعة الصلاة. ويلاحظ أن جزء من جدار القبلة في هذا الفناء،لازال ظاهراً للعيان. ويبلغ طوله حوالي 17.3م ، بينما يبلغ سمكه حوالي 1.30م . ونرى بهذا الجدار محراباً ذا عمق يبلغ حوالي 1.20م . ووجود هذا الفناء في مسجد أبى منصور يذكرنا بالفناء الموجود بمسجد أبى يحيى في فرسطه. ويطلق على هذه الأفنية في منطقة جبل نفوسة (مصلى)[219] والأصل في هذه التسمية في الغالب مرتبطة بالصلاة على الموتى بهذه الأمكنة. ويوجد خلف الفناء بمسجد أبى منصور، كما هو الحال في مسجد أبى يحيى بفرسطه، حجرات متصدعة. واعتماداً على رواية الأهالي، فهي تعود إلى وقت متأخر جداً. ولقد بنيت أصلاً بغرض إيواء الزوار. (أنظر شكل، 87) .

والنظر إلى المسجد بتندميرة من الخارج ، يوحي بأنه بناء بسيط . ولكن النظر من الداخل للرواقين القائمين يحتفظان بأهمية كبيرة من الناحية المعمارية والفنية . ولذا يتوجب علينا الخوض في بعض التفاصيل .

ويبدو واضحاً أن ترميمات عدة قد أجريت على هذا المسجد ووثقت واحدة منها بكتابة على الحجر. فعند مواجهة المحراب يرى على جدار القبلة، إلى الجهة اليسرى، وعلى ارتفاع قدره حوالي 1.40م. كتابة محفورة على حجر . وهي تتكون من تسعة أسطر. وتقرأ على النحو التالي :

" بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على نبينا محمد وآل (ه) وصحبه وسلم تسليما. أسس هذا المسجد في شهر الله المبارك المحرم عام خمس وسبعين سنة بعد ثمن مائة في القرن التاسع وكتب سعيد بن مصباح ابن إبراهيم رحمه الله برحمته " . (أنظر شكل، 88).

ونرى هنا أنّ الكتابة تشير إلى تأسيس المسجد في عام 875هـ ، ويظهر أن الكاتب قد قسم مساحة الحجر إلى خمسة أقسام أفقية، وصولاً إلى كتابة سطرين في كل قسم منها. وكما يظهر فإنه لم ينجح في كتابة السطر الثاني في القسم الثاني. ذلك لأنّه كتب السطر الأول بميل نحو الجهة اليسرى. ولذا لم تكن المساحة المتبقية كافية للكتابة.كما يبدو أن السطر السادس قد أضيف إلى الكتابة الأصلية في فترة لاحقة . ذلك لأنّ الكتابة هنا لا تتلاءم ولا تنسجم مع بقية الكتابة .

ولا يجب أن نغفل عن كلمة (أسس) في السطر الأول ، حيث أنها تعطي انطباعا وفهما بأن هذا المسجد قد بني في التاريخ المذكور بالكتابة. وكان الصحيح

---

[219] المصلى مكان يستعمل للصلاة وقت الحاجة . وغالبا ما يبدو بسيط البناء . وكان أول مصلى عرف في الإسلام ذلك الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة .أنظر ، كرزويل ، نفس المصدر ، المجلد الثاني، ص 598- 9 .

أن تكتب كلمة جدد أو رمم أو أصلح ، وما إلى ذلك. فبناء المسجد وتأسيسه قد وثقته المصادر التاريخية، كما أشرنا آنفاً .

ولا يفوتنا أيضا أن نذكر أنّ كلمة (ابن) التي جاءت في السطر انثاني وجب أن تكتب بدون ألف، وفقا للقاعدة اللغوية. ولكن المرء يجد العذر للكاتب، الذي من المؤكد أنه كان من المتحمسين للمحافظة على هذا المسجد. والعمل الذي تقوده العاطفة عادة ما يختلف عن العمل الذي يتحكم به التخصص. وهذا ما يراه المرء في أغلب المساجد، التي خضعت إلى الترميمات بمنطقة جبل نفوسة .

وعلى الرغم من وجود هذه الملاحظات حول هذه الكتابة بمسجد أبى منصور ، فهي تعد ذات قيمة أثرية وتاريخية، وسنتطرق إلى أسلوب الخط بهذه الكتابة وغيرها في الفصل المخصص لهذا الغرض .

وبالنظر ثانية إلى المحراب ، والى يسار هذه الكتابة، توجد فتحة صغيرة بجدار القبلة. وهي على شكل نافذة مغلقة ذات تجويف.ويحيط بهذا التجويف إطار مزخرف. ولقد تم تنفيذه على قطعة واحدة من الحجر ذي القطع الجيد. وهذا الحجر تم نحته على هيئة ثلاثة أقواس متلاصقة، وتستند هذه الأقواس على عمودين . أحدهما مفقود الآن ، وتبلغ قاعدة هذا الحجر حوالي 28سم طولاً، وحوالي 33سم ارتفاعاً . (أنظر شكل، 89، 90). وهذه الزخرفة تذكرنا بما رأيناه في مسجد أبناين. وهذا العنصر الزخرفي شائع في العمارة الفاطمية. كما أنه عنصر محبب للفنان المسلم، الذي استخدمه في زخرفة بعض العمائر الأندلسية، والراجح أن أول ظهور له في الفن الإسلامي كان بالجامع الأموي بدمشق، كما يلاحظ وجوده على واجهة القاعة الكبرى بقصر الأخيضر .

وجب أن نلفت النظر إلى أن المحراب بمسجد أبى منصور إلياس قد تأثر كثيراً بفعل الترميمات التي أجريت بالمسجد. وعلى الرغم من ذلك يظل واحداً من أجمل المحاريب بمساجد ليبيا[220]. (أنظر شكل 91) وهذا المحراب ذو شكل شبه مستطيل ويبلغ عمقه حوالي 1.50م، ومن المعروف أن هذا النوع من المحاريب قد ظهر في العراق وإيران منذ فترة مبكرة في العهود الإسلامية. إننا نراه بقصر الأخيضر، وفي مسجد تاريخ خانة. ويعتقد أن كلاهما قد أسس في اقرن

---

[220] لا يوجد حتى الآن في المدن الإسلامية الأثرية ، التي تمت بها الحفريات ، مثل اجدابيا ، سلطان ، وزويلة ، محراب يضاهي محراب مسجد أبى منصور وهذه المقولة لا تشمل المساجد التي أنشئت في العهد العثماني في ليبيا ، وأغلبها في مدينة طرابلس . وللاطلاع على روعة التصميم والزخرفة في الأخيرة أنظر ، G. Messana, L'Architecture Musulmane Libyenne, Tripoli, Tunisie, 1977,pp.161, 173

الثاني الهجري - الثامن مسيحي، ولقد وجد أيضاً في جامع سامراء بمسجد أبى دلف بالعراق .

وكل هذه المحاريب ومحراب الجوسق الخاقاني المماثل، وكذلك المحراب التي عثر عليه حديثا بسامراء ، يعود تاريخها إلى المنتصف الأول من القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي[221]. وإضافة إلى هذا وجب أن نشير إلى أنّه وجد في منطقة المزاب، وكذلك في شمال نيجيريا[222]، والذي لا نعرفه بالتفصيل هو كيفية توظيفه في المساجد بغرب العالم الإسلامي. وعلى أية حال، فإنّ شاخت (Schacht) يزعم أنّ أهل المزاب لم يكن ليستعيروا هذا النمط من نيجيريا. ولكن العكس هو الصحيح[223]. ونحن لا نعارض هذا الزعم. ولكن عندما رأينا هذا الشكل من المحاريب بمسجد أبى منصور إلياس، نستطيع أن نحدد الرابط الموضوعي بين جبل نفوسة وبين المزاب وشمال نيجيريا. وبذلك نضيف بعداً جديداً لنظرية شاخت .

والحقيقة أن أقدم المدن في منطقة المزاب يعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي[224]. وبهذا يتبين أن مسجد أبى منصور أقدم بكثير من هذا التاريخ. واعتماداً على الأدلة التاريخية والأثرية نستطيع القول بيسر أن المحاريب المماثلة لمحراب مسجد أبى منصور بمنطقة المزاب قد تأثرت بجبل نفوسة . ويؤيد هذا أيضاً التواصل بين المنطقتين. وثمة احتمال أيضا بانتقاله إلى الجنوب حتى نيجيريا من الجبل ذاته. وطبقاً للمصادر التاريخية، فإن أهالي نفوسة كانوا على صلة بتاهرت وورقلة منذ القرن الثاني الهجري - الثامن مسيحي. وكذلك ثمة ما يؤكد صلتهم ببلاد السودان في القرن الثالث والرابع هـ - التاسع والعاشر م[225] .

ولقد لبس المحراب بمسجد أبى منصور بأحجار جيدة القطع. وهي مزخرفة بالعناصر الهندسية والنباتية، وعلى مستوى عال من الجودة. وهذه الأحجار المنمقة تكتنف المحراب أيضاً على جانبيه. ويبلغ مستوى ارتفاعها عن الأرضية حوالي 1.30م، ونراها تتراص فوق بعضها لتصل إلى مستوى العقد، الذي يعلو المحراب. وبدلا عن العمودين اللذين يسندان هذا العقد، نجد أحجاراً ذات شكل مستطيل تحيط بتجويف المحراب. ولكن للأسف - فأن عددا من الأحجار العليا مفقودة .

---

[221] كرزويل ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، ص 258، أنظر أيضا ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، ص 624-5 .

[222] شاخت ، نفس المصدر ، ص 15، 18 .

[223] المصدر السابق ، ص 19 .

[224] روشي ، نفس المصدر ، ص 29، الجيلاني ، نفس المصدر ، ص 237 .

[225] الشماخي ، السير ، ص 154- 5 ، 214 ، 312 .

وتنقسم هذه الأحجار رأسياً إلى قسمين، الجزء الخارجي منها، وهو الموجود على جانبي المحراب. وتتكون الزخرفة به من وحدات تملأها الشرطات المتكسرة. وبالنظر إلى المحراب، فالجزء الآخر للأحجار، على اليسار، يظهر عناصر نباتية تشبه الورقة النخلية، ونرى في المساحة المتبقية عناصر هندسية تتكون من معينات محاطة بأشكال مثلثات، وداخل كل منها تبدو ورقة بثلاث تفريعات. (أنظر شكل، 91، 92، 93)، وعلى الرغم من أنّ قدراً كبيراً من الزخرفة قد مال للتلاشي، نتيجة لعدم العناية والإهمال، فإنّ بعضها لازال بحالة جيدة. واللافت للتفكير أن هذا المستوى الراقي للزخرفة وتنفيذها، قد وجد في جبل نفوسة. ويعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي، ونضيف أيضا أن الزخرفة، التي تكتنف المحراب، تتكون من وحدتين زخرفيتين مكررة مرات ومرات على جهتي المحراب (أنظر شكل ، 94) .

فالوحدة الأولى تظهر ثلاثة أنواع من الدوائر المختلفة الأحجام، فالصغرى منها تحتوي على زهرة ذات ثمانية فصوص. والوسطى تحصر بداخلها زهرة ذات اثنتي عشر فصاً. أما الأكبر منها فتحتوي على ثلاثة أقراص. والقرص الداخلي توجد به زهرة ذات ستة عشر فصاً. أما القرصان الخارجيان فتملأهما وحدة زخرفية تتمثل على هيئة تعريقات. وتظهر أيضاً الورقة النخيلية متخللة موضوع الزخرفة .

وتتكون الوحدة الزخرفية الثانية من دائرة في الوسط، وتظهر بداخلها الزهرة المتفتحة. وهي محاطة بأربع زهرات، لكل منها ثمانية فصوص، وتشغل المساحة بين فصوص الزهرات زخرفة نباتية، تظهر بها أشكالاً لورقة الزيتون والورقة النخيلية، ويحيط بهذه الوحدة الزخرفية دائرة كبيرة،(أنظر شكل 94،95).

وعند النظر إلى المحراب، نرى إنتهاء الأحجار الملبسة على جدار القبلة، بأحجار أخرى تقترب من الشكل المستطيل. وترتفع حتى بداية تشكل العقد، وتنقسم هذه الأحجار رأسياً أيضاً إلى جزئين. الأول إلى جهة اليسار، حيث نرى عناصر هندسية للزخرفة على شكل معينات متصلة، وبداخل كل منها زخارف نباتية. ويحتوي الجزء الآخر على زخرفة تمثل مربعات متراصة (أنظر شكل، 96)، ونرى على الجانب الآخر من المحراب تماثل الزخرفة مع الجانب الأول، إلاّ أنّ في الأسفل يظهر شكل لعمود (أنظر شكل، 97).

ويبدو أنّ التجويف الداخلي للمحراب قد تعرض لترميم كبير، الأمر الذي أدى إلى ضياع بعض الأحجار المزخرفة. كما تعرض البعض الآخر للتغطية والتلف. وتظهر الزخرفة هنا منسقة بشكل رأسي. وتتكون من حزم نباتية. وتبدو بالأسفل الدوائر المحتوية على الأزهار المختلفة الفصوص. وهي تتنوع من ثمانية

إلـى عشرين فصاً. وهذه الوحدة الزخرفيـة رأينـا أمثلـة لهـا بـالقيروان. وهـي التـي تقترب منها تاريخا. كما رأيناها في زخارف مدينة سدراته، وهي التـي تتـأخر عنهـا تاريخا. ولكن في مسجد أبى منصور تغلب علـى الزخرفـة المنفذة بيـن هذه الـدوائر العناصر الورقية ذات الثلاثة تفريعات (أنظر شكل، 98، 99، 100) .

وعلى الرغم من تعرض أحجار تجويف المحراب لتلف كبير، إلا أنه لحسن الحظ ، لاتـزال النقـوش علـى الحجـر تبـدو متماثلـة مـع الأحجـار الأخـرى بـداخل المحراب. ولذا سنتعرض إلى وصفها بالتفصيل. فالزخرفة تتكون من أربعـة دوائـر تحـيط كـل منهـا بـالأخرى.ويحيطهـا جميعـا عنـصر هندسـي علـى شـكل مربـع (أنظر شكل، 101) وفيما يلي وصـف لها بالتسلسل ابتداء من الدائرة الداخلية :

1- تبـدو التعريقـات النباتيـة متعرجـة فـي مركـز الـدائرة، ومقسمة لهـا إلـى ثمانيـة أجزاء. ويظهر في كل جزء زخرفة تتماثل مع الجزء المقابل له. وفيمـا يلـي وصـف لما يحتويه كل جزء، بداية بالإطار الأعلى، واتفاقا مع سير عقارب الساعة :

أ- يظهر في هذا الجزء نصفا دائرتين وفي كل منهمـا شق لزهرة، بينمـا يظهـر فـي وسـط الإطـار زهـرة كاملـة ذات ثمانيـة فـصوص. ويـصاحبها ورقـة ذات ثلاثـة تفريعات بين فصوصها. وفي الفضاء المتبقي عناصر نباتية مزهرة.

ب- يظهر في هذا الجزء نصفا الدائرتين خاليا من الزخارف. ويرى حولهـا زخرفـة نباتية تمثل الورقة النخيلية .

ج- يملأ نصفا الـدائرتين فـي هذا الجـزء عناصـر نباتيـة لورقـة ذات ثلاثـة تفريعـات (أوراق الزيتون). ويزين نهاياتها عناصـر وردية .

د- تتطابق الزخرفة هنا مع الجزء (ب).

2- تتكون الوحدة الزخرفية هنا من إحدى عشر نصف دائرة، ويظهر فـي كل منهـا شق لزهرة. ويملأ الفراغ، بين فصوصها، تفريعات نباتية (أنظر شكل،101).

3- تخلو هذه الدائرة من الزخارف تماماً (أنظر شكل، 101) .

4- تتشابه الوحدة الزخرفية هنا مع رقم (2) ويتمثل الاختلاف الوحيد فـي صـغر الأقراص (أنصاف الدوائر). ويتكون شق الزهرة هنا من أربعـة فصوص بـدلا من ستة. كمـا أن عدد أنـصاف الـدوائر فـي هذه الوحدة أكثـر، إذ تبلـغ واحداً وعـشرين (أنظر شكل، 101) .

ولقد أنتجت إحاطـة هذه الـدوائر بـالشكل المربـع أربعـة زوايـا، ملأهـا الفنـان بوحدات زخرفية متماثلة. فالركن الأعلى، على اليسار، مقسم إلـى فـضاءات، نقش فـي كـل منهـا زخـارف متماثلـة، وهـي تتكـون فـي كـل فـضاء مـن شـق لزهـرة. ويصاحبهما زخرفة نباتية مع الورقة ذات الثلاثة تفريعات. وفي الأعلى سطر واحد

لكتابة كوفية، تقرأ : عبد . ويبدو أنّ كلمة (عبد) قد أضيفت إلى الكلمة الأصل (الله) وذلك واضح من اختلاف أسلوب الخط (أنظر شكل، 101، 102).

ويظهر أيضاً في أعلى تجويف الجدار، وحدة زخرفية كاملة، قدر لها أن تنجو من التلف، ويتكون موضوعها الزخرفي من أربعة دوائر، تحيط كل منها بالأخرى. وتنقسم الدائرة الداخلية إلى أربعة أجزاء بواسطة خطين متقاطعين، ويظهر شكل لمربع في وسط الدائرة. ولكن أحد الأضلاع لم يكتمل نحته. كما نرى نحتاً على هيئة قوس في كل ركن من أركان المربع. وهذه الأقواس مقسمة رأسياً إلى جزئين بواسطة خط عمودي، ونلاحظ أنّ جزءاً من الزخرفة لم يتم نحته. كما تبدو الخطوط جميعها على هيئة تعريقات نباتية، إضافة إلى العناصر الوردية بين هذه التعريقات. أما الدائرتان المتبقيتان فلا توجد بهما زخرفة. وتبدو الخارجية منهما ذات تعريقات مائلة ومتعرجة، (أنظر شكل،103).

ولا يفوتنا أن نذكر أن حجرين مدببي الرأس قد وجدا مثبتان بجدار القبلة، أحدهما مغروس في الجدار فوق عقد المحراب، والآخر إلى الجهة اليسرى منه (أنظر شكل 104). وبما أنّ أحجاراً مماثلة لهما قد وجدت في مسجد شروس، فلذلك سنقوم لاحقاً بإيجاد تفسير موضوعي لوضعهما الأصلي ووظيفتهما، عند التعرض للمسجد المذكور .

ومما يدعو إلى التساؤل أن بعض الأحجار المزخرفة قد وجدت متناثرة على الجدران، وفي سقف المسجد، ولا جدال حول عدم انتمائها إلى المواضع الموجودة بها في الوقت الحالي. (أنظر شكل 105، 106). ومن المؤكد أنّ هذا الوضع كان نتيجة لأعمال الترميم، التي جرت بهذا المسجد. وواحد من هذه الأحجار يقترب من الشكل المستطيل، ويحتوي على وحدة زخرفية، تتكون من أنصاف دوائر. وتصاحبها أنصاف لأزهار متفتحة وتعريقات نباتية. ويبدو أنّ هذا الحجر قد صمم ليلبس على حافة جدار أو تجويف. وربما يكون من ضمن الأحجار التي استغنى عنها الفنان لعدم جودة زخرفتها (أنظر شكل،107).

ولقد أحدثت الترميمات التي أجريت بالرواقين القائمين خطأ آخر، فهي على الرغم من بعض محاسنها، تسببت في غمر الأعمدة الأصلية للمسجد وسط الدعامات المستحدثة. ولم يفلت من هذا العمل إلا عمود واحد فقط . وهو موجود بالجهة الشمالية الشرقية من المسجد، ولقد بات شاهداً ودليلاً على بقية الأعمدة المختفية داخل الدعامات. ويزين تاج هذا العمود زخارف نباتية (أنظر شكل،108) .

ولا يغيب عن البال إعلان الأباضيين تمسكهم الشديد بالمحافظة على التقاليد الإسلامية الأولى عبر تاريخهم الطويل. ولم يكن هذا محصوراً على الجانب

الديني، بل انعكس ذلك على مجال العمارة والفنون . ويدلل على هذا في جبل نفوسة، أن بقايا الآثار للقرى القديمة لا تظهر ميلا إلى الاعتناء بهذا الجانب على العموم. ولذا يجد المرء نفسه مندهشاً،بل مستغربا لوجود مسجد يحتوي على زخارف ذات مستوى عال من الجودة والإتقان، وربما نستوعب هذا الأمر بعض الشيء إذا عدنا إلى الفترة التاريخية، التي شيد فيها مسجد أبى منصور .

فلقد أدى الاتفاق الذي عقد بين الإمام عبد الوهاب والأغالبة، إلى انحسار سيطرتهم عن الأراضي الليبية. ولم يبق بيدهم إلا مدينة اطرابلس والساحل البحري، أما بقية ممتلكات الأغالبة فقد ذهبت إلى الدولة الرستمية.

وكان الأمر أن أصبحت المنطقة من جنوب قابس حتى خليج سرت في الشرق، تحت سيطرة حاكم جبل نفوسة، المعين من قبل الإمام الرستمي[226]. وكان أبو منصور هو الذي حكم هذه الأراضي الشاسعة في أواخر القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي، ولقد تمتعت تاهرت عاصمة الرستميين في هذه الفترة بأزهى عهودها الفنية والمعمارية، نتيجة لما أحاط الدولة من سلام ورخاء[227]. والراجح أن أبا منصور، صاحب هذا المركز المرموق، قد تأثر بما يحدث في الوسط الأباضي من تحولات، فأمر بأن يكون مسجده بتندميرة متلائما والمعطيات الجديدة. ولم يكن استجلاب الفنانين في مثل هذا الوضع بالأمر الصعب. ويحتمل أنهم قد قصدوا حاكم الجبل، لعرض ما لديهم من مواهب في مجالي الفنون والعمارة. وهذه عادة درج عليها الحكام، أي استقدام الفنانين لتشييد العمائر وزخرفتها. ولكن شخصية أبى منصور تجعل هذا الأمر صعب القبول .

ولقد أشرنا إلى أن بعض الزخارف لم يتم نحتها، وأن تنفيذ جزء منها لم يكن بالجودة التي عليها أغلب الزخارف بالمسجد. وربما يكون التفسير الموضوعي لهذا الأمر أن الأيدي الفنية قد تعددت بهذا العمل. ولا يستبعد أن يكون من قام بهذا العمل فنانون قدموا من أفريقية (تونس)، ويرجح أيضاً أن من السكان المحليين من شارك في هذا العمل الفني. ومن الطبيعي أن تتفوق الموهبة والخبرة.

وجب علينا أن نعرج على بعض التفاصيل. وذلك بغرض تصنيف هذه الزخارف. ومن جهة أخرى معرفة الكيفية التي وجدت بها في جبل نفوسة. ولا يسعنا إلا القول بأن الفن الإسلامي قد تأثر بالفنون التي سبقته. ويعد الفن الهيلينستي والفارسي من أهمها تأثيراً. ويكفي هنا أن نشير إلى أنّ زخارف قبة الصخرة بالقدس، قصر المشتى، المسجد الأقصى، ومباني إسلامية أخرى، تظهر

---

[226] الشماخي ، السير ، ص 154- 5، 214، 312 .

[227] أبو دبوز ، نفس المصدر ، ص 544- 5 .

بدرجة كبيرة صحة هذه المقولة [228]. كما أنه من المعروف أن مميزات الطابع الإسلامي الفني قد وجدت في سامراء بالعراق. ولقد بنيت هذه المدينة في عام221هـ - 836م. ومن قبيل الإجماع أن هذا النمط الفني الإسلامي انتشر منها إلى بقاع متعددة[229]. وكان أن كشفت الحفائر في سامراء عن قدر كبير من الزخارف الجصية، ولقد تجلى أسلوبها ومواضيعها في جامع ابن طولون بمصر، الذي بني في سنة 263هجري- 876- 71مسيحي. ومميزات الفن الإسلامي بسامراء تعني أهم مكونات الطابع الفني ، الذي أصبح لا تخطئه العين في نسبته للفنان المسلم، بعد أن امتزج بما سبق من الفنون . ومميزات سامراء الفنية نراها أيضاً على الأواني الخزفية والتحف الخشبية ، التي ترجع إلى المنتصف الثاني من القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي[230].

وعندما نقارن زخارف سامراء وجامع ابن طولون بالموجودة في مسجد أبي منصور بجبل نفوسة، يتبين لنا الصلة الوثيقة بينهما. وإنه لمن اليسير أن نلحظ التماثل الكبير في أسلوب وضعية الزخارف النباتية المتوردة. وكذلك الأزهار المفصصة داخل دوائر أو مربعات، وبروز الورقة النخيلية في مواضيع الزخرفة. ويضاف إلى هذا غياب الرسوم الأدمية، وعدم ترك الفراغ في الوحدة الزخرفية، والأخير هو ما يعرف (بالخوف من الفراغ). (أنظر شكل 49، 50، 51، 52، 53) .

ربما يكون هذا كافياً لتوضيح التأثير القادم من شرق العالم الإسلامي. وعلى الرغم من هذا الاعتقاد، فالمحتمل أن ثمة ما شكل نقطة الوصل لوجود هذا المستوى الراقي من الزخرفة في جبل نفوسة. وربما تكمن حقيقة ذلك في أفريقية (تونس) في العصور الوسطى. ونحن عندما نتمعن في زخارف مسجدي القيروان الزيتونة، وكذلك تلك الموجودة في سدراته بجنوب الجزائر، نستطيع مشاهدة تأثير الفن الإسلامي في الشرق على جميع هذه الأمثلة[231]. وحال مقارنة زخارف مسجد أبى منصور بالتي عثر عليها في الأماكن والمباني السابقة الذكر، تبدو الصلة أكثر وضوحاً، ولكي نبين بشكل أدق حقيقة هذه الصلة، وجب أن نعود إلى المصادر التاريخية. فمسجد القيروان بني في القرن الأول الهجري - السابع مسيحي على يد

---

[228] كرزويل ، نفس المصدر ، مجلد 1 ، ص 87 – 8 ، أنظر أيضاً بيرشام في كتاب كرزويل ، نفس المصدر ، مجلد 1 ،ص227-8، وقارن ، شافعي ، نفس المصدر ، ص 227 .

[229] كرزويل ، منحصر للعمارة الإسلامية ، ص 259، 289- 90، وأنظر فريد شافعي ، نفس المصدر ، ص 265-6، 399، 401، 417، 419، 421 .

[230] فريد شافعي ، نفس المصدر ، ص 421، 425، 463- 4 .

[231] مارسي. G- Marcais, Notes et documents, v111, Coupole et plafonds de la grand Mosquee de kairouan, paris, 1925, p-26.

أنظر أيضا مارسي ، في كتاب كرزويل ، مجلد 11، ص 253 .

عقبة بن نافع . ولكنه جدد فيما بعد. والذي يهمنا في هذا المسجد ، هي الزخارف ، التي وجدت على حائط القبلة والمنبر. ووفقاً للمعلومات التاريخية والأدلة الأثرية . فهذه الزخارف يعود تاريخها إلى سنة 248هـ 862مسيحي[232]. (أنظر شكل 54، 55، 56)، كما أنّ مسجد سوسة، الذي يعتقد أنّه بني في عام 236هجري - 580- 81م[233]، والزخارف التي وجدت بهذا المسجد، ترتبط بتلك الموجودة في مسجد القيروان (أنظر شكل، 57، 58). ومن المعروف أنّ هذه الزخارف بالمسجدين أقدم عهداً من تلك، التي عثر عليها بمسجد أبى منصور. وبمقارنة هذه الزخارف ببعضها في المواقع الثلاثة، يتضح قدر التماثل في مواضيعها وأساليبها .

ويمكن للمرء أن يلحظ نسق الزخرفة المتمثل في رسوم الدوائر وكذلك في عنصر الزهرة ذات الثمانية فصوص. وبإمكانه أيضا مشاهدة الورقة ذات الثلاثة تفريعات والورقة النخيلية. هذا بالإضافة إلى غياب الزخرفة المورقة، التي أطلق عليها مصطلح (الأرابسك). كما يبدو التصميم الأسطواني للعناصر النباتية جلي في مسجد أبى منصور والقيروان . وكذلك وجود المربع المحاط بأشكال العقود. والاختلاف يكمن في أن الموجود بجبل نفوسة داخل دائرة بدلا من الشكل المربع.

ويؤكد مارسي (G.Marcais) على تأثر زخارف القيروان بطابع الفن الإسلامي في الشرق، ولكن يضيف بأنها تملك أيضا مسحة أفريقية رومانية[234].وقبل الوصول إلى نتيجة نهائية بهذا الشأن ، يتحتم علينا التطرق إلى زخارف سدراته بجنوب الجزائر. ومن المعروف أن الدولة الرستمية قامت عام 160هـ - 777م . وانهارت في سنة 296هـ - 909م .

ومن المؤسف أن تاهرت لم تحظى بإجراء حفريات فيها حتى الآن. ولكن لحسن الحظ وصلنا الكتاب التاريخي لابن الصغير . ولقد عاش المؤلف بمدينة تاهرت قبل سقوط الدولة الرستمية. ويذكر ابن الصغير أن تاهرت كانت مدينة مزدهرة، ذات كثافة سكانية عالية. ولقد اعتنق سكانها ديانات متعددة. فإلى جانب المسلمين عاش اليهود والنصارى. وكان من بين المسلمين من ينتمي إلى أصول فارسية . ولكنهم جميعاً يتمذهبون بالأباضية . ومعظمهم جاء من أفريقية (تونس)

---

[232] أنظر. P. Sepag the great Mosque of kairouan, by, R- Howard, paris 1965pp.39-40 ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، ص 633- 4 .

[233] كرزويل ، مختصر للعمارة الإسلامية ، ص 272 .

[234] مارسي ، في كتاب كرزويل ، نفس المصدر ، ص 253 .

ومن جبل نفوسة . وكانت تاهرت مقسمة إلى أحياء تسكنها هذه المجموعات المختلفة[235].

ويبدو أنّ أهالي نفوسة قد شكلوا العمود الفقري للدولة الرستمية. ويدلل على ذلك توليهم للمناصب الكبيرة. فهم قد تولوا مهمة الإشراف على بيت المال[236] وغيره من المواقع الحساسة. وشكل جبل نفوسة ذاته جزءاً مهماً من مقاطعات الدولة الرستمية .

ولقد كانت تاهرت معروفة بازدهارها وثرائها، في المنتصف الأخير من القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي. ويرجع هذا الثراء إلى موقعها المتميز بين البلدان الأفريقية في الجنوب، وبين الدولة الأغلبية في الشمال الأفريقي. هذا بالإضافة إلى الأدارسة والأمويين في الشمال الغربي[237]. ولقد نشأ عن هذا الثراء والاستقرار ميل لدى أهالي تاهرت إلى بناء الدور والأبنية المنمقة[238]. وهي حالة تتشابه مع حالة الأمويين في الشام ، إبان فترة أقدم عهداً .

ونحن على ضوء هذه المعلومات التاريخية نستطيع القول بأن هذه الدور والأبنية قد حليت بالزخارف والمبتكرات المعمارية. ولابد أن تكون قد تأثرت بطابع الفن الإسلامي السائد في الشرق. ولكن تأثير أفريقية لا جدال أنه كان قوياً على الطابع الفني لمدينة تاهرت، ومما يدعو إلى هذا القول مواضيع الزخرفة وأسلوبها، الذي كشفت عنه حفريات سدراته .

وتقع هذه المدينة على بعد حوالي 800كم، إلى الجنوب من العاصمة الجزائرية. ولا تبعد عن قرية ورقلة إلا بمقدار 14كم تقريباً، وتعد مدينة سدراته العاصمة الثانية للأباضية بعد تاهرت. ولقد أسست إبان القرن الرابع الهجري - الحادي عشر مسيحي. وهجرت في القرن السابع الهجري - الثالث عشر مسيحي[239]. ولقد ظلت مدفونة تحت الرمال حتى القرن الثاني عشر الهجري - التاسع عشر مسيحي. وأجريت الحفريات في هذه الفترة، ثم تمت أحدث الحفريات بها تحت إشراف بير شام (M.Van Bercham) في سنة 1951م. وكانت هذه الحفريات محصورة حول مبنى واحد عرف بمقر المحكمة. ولقد

---

[235] ابن الصغير المالكي ، سيرة الأئمة الرستمية ، باريس 1907، ص 7، 8، 13، 26. أنظر أيضا ، الجيلاني ، نفس المصدر ، ص 231، والشماخي ، السير ، ص 158 .

[236] ابن الصغير ، نفس المصدر ، ص 27، 31، والشماخي ، السير ، ص 221 .

[237] ابن الصغير نفس المصدر ، ص 13. أبو دبوز ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص 544 -5 .

[238] ابن الصغير ، نفس المصدر ، ص 12، 26 – 7 ، والجيلاني ، نفس المصدر ص 231. وأبو دبوز ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص 544-5-6 .

[239] فان برشام ، M.V Berchem, Sedrata, Studies in Islamic art and architecture in honour of prof. Creswell, cairo, 1965, p-8 .
أنظر أيضا أبو دبوز ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص 546 .

أظهرت الزخارف الجصية، التي عثر عليها بهذه الحفريات، التشابه بينها وبين ما وجد بجبل نفوسة[240]. ونرى في زخارف سدراته نفس الوحدات الزخرفية المتمثلة في الدوائر. وبالإضافة إلى ذلك نجد الزهرات ذات الثمانية فصوص، ووحدات الشكل المعين الحاصر للعناصر الزخرفية النباتية (أنظر شكل 59،60،61،62،63،64).

وعلى الرغم من اكتشاف هذا الدليل الأثري، فنحن لا نميل إلى القول، بأن الزخارف في كل من تاهرت وسدراته، كان لها تأثير على جبل نفوسة، بل نعتقد أن العكس هو الصحيح. وإذا أخذنا في الاعتبار التاريخ وحده كمعيار لحل الإشكالية، فلا يسعنا إلا دعم الرأي الأول. ولكن لغياب الدليل الأثري الذي ينسب إلى تاهرت خاصة، فزخارف مسجد أبى منصور إلياس ستظل الأقدم عهداً.

ويمكننا القول الآن أن العناصر الزخرفية بمسجد أبى منصور التي تتكون من الأشكال الأسطوانية للعنصر النباتي، وكذلك الوحدات الهندسية، هي في الحقيقة ابتكار إسلامي. وأن تأثير القيروان، الذي تأثر بطابع الفن الإسلامي في الشرق، يبدو جلياً على زخارف جبل نفوسة. ونحن لا ننفي تأثرها بالصبغة الأفريقية الرومانية، فالتأثيرات المحلية مكانة في كل أرض حل بها الفن الإسلامي. وهذا ما يعبر عنه بالتأثيرات المحلية في إطار الفنون بمختلف أنواعها. فالفنان في كل مكان يوظف بوعي أو بدونه، ما تختزنه ذاكرته التراثية في رموزه الفنية .

ووفقا لهذه المقولة يمكن أن نقرر بأن الفنان الذي نفذ الزخارف في مسجد أبناين، كان يحاكي ما وجد بمسجد أبى منصور الياس، ذلك أننا نرى أنه من بين الثمانية دوائر، التي تكتنف المحراب، تحتوي ثلاثة منها على الزهرة ذات الثمانية فصوص. وهذه الوحدة الزخرفية هي الغالبة على الزخارف في مسجد أبى منصور. ولا ننسى تأثير القيروان على أبناين، فأربعة من الدوائر تحتوي على أشكال نجوم. وهذه الوحدة الزخرفية غابت عن زخارف مسجد أبى منصور، ولكنها جلية بالقيروان. أما الدائرة الباقية بمسجد أبناين والتي تحصر بداخلها شكلاً على هيئة صليب، بالإضافة إلى وحدتها الزخرفية النباتية، رأيناها ماثلة في مسجد القيروان .

نخلص إلى القول بأن زخارف أبناين دعمت نظرية التأثير القادم من الشمال الأفريقي. وهذا ما يضعف نظرية تأثر جبل نفوسة بمنطقة جنوب الجزائر. كما أننا بمناقشة موضوع الزخرفة في كل من أبناين وتندميرة، يمكننا القول، بأن الزخارف التي وجدت بسقف مسجد تنومايت، ما هي إلا محاكاة لما

---

[240] التأثير الإسلامي الشرقي على سدرانة أوضحه بير شام ، أنظر إلى نفس المقال المشار إليه سابقا ، ص 27.

عثر عليه في مسجدي أبى منصور وأبناين، وربما أماكن أخرى في الجبل. وأخيراً فهذه النماذج الزخرفية التي عثر عليها بالجبل، تشكل القاعدة العامة التي تبناها الأباضيون فيما يتعلق بمجال الفن المتلازم مع العناصر المعمارية .

الفصل الرابع

شروس - ويغو

الفصل الرابع
شروس - ويغو

تقع قرية شروس القديمة - فيما يعرف إدارياً - بمنطقة الحرابة. وتبعد عن قرية تندميرة، إلى الجنوب الشرقي، بحوالي 8 / كم . ولم يبق اليوم قائماً في أطلالها سوى المسجد العتيق. و بما أنّ قرية شروس كانت تعتبر بمثابة مركز جبل نفوسة، فلقد تعرض لذكرها المؤرخون و الجغرافيون. وتحدثوا عنها كما لم يتحدثوا عن غيرها من قرى المنطقة. وعلى رغم ما زودتنا به المصادر من معلومات، فهي - في الحقيقة - غير كافية لتكوين صورة مرضية عن هذه القرية المميزة .

فالجغرافي ابن حوقل - مثلاً - يقول :

جبل نفوسة جبل عظيم. و يبلغ طوله مسيرة ثلاثة أيام. و له منبران باثنتين من المدن. إحداهما مدينة شروس ، و تقع في وسط جبل نفوسة. و تحتوي على عيون عذبة، بالإضافة إلى أشجار العنب و التين. و يعد الشعير المحصول الرئيسي، الذي يتخذ منه السكان طعاماً أساسياً [241].

وأمّا ياقوت البغدادي، وهو الأوحد ، الذي يحاول إيجاد معنى لاسم شروس، فيقول عنها : شروس من الممكن أن تعني عقيم. ويحتمل أن تنطق بحرف الشين في أولها. و هي مدينة عظيمة بجبل نفوسة، باتجاه أفريقية (تونس). وتمتد مبانيها على رقعة واسعة. وتمتاز بكثافة في السكان. وهي حاضرة الجبل، وسكانها من الخوارج الأباضيين. ولا يوجد بها أو بالقرى التي تحيطها، وتبلغ حوالي 300 قرية، جامع. وأهلها لا يتفقون على إمام يقدمونه للصلاة. وإنّ المسافة بينها وبين طرابلس تبلغ مسيرة خمسة أيام" [242].

وينقل البكري معلوماته بخصوص شروس عن محمد بن يوسف الوراق، ويؤكد على أهمية شروس كمدينة رئيسية بجبل نفوسة. وهو أيضاً ينفي وجود أي جامع بها أو بأي قرية من حولها. كما يشير إلى أن عمرو بن العاص كان أول فاتح لمدينة شروس في العهد الإسلامي، حيث كان المسيحيون يستوطنونها. ويذكر أن عمرو قد غادرها اثر تسلمه رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب [243].

وأمّا كتاب الاستبصار، الذي يعتبر مجهول المؤلف، فيكرر شيئاً من المعلومات السالفة الذكر. و يشير إلى شروس على أنها مدينة قديمة و عظيمة.

---

[241] ابن حوقل ، نفس المصدر ، ص . 94 – 5 .

[242] الشيخ ياقوت البغدادي ، معجم البلدان ، القاهرة ، 1906 ، المجلد الثامن ، ص 78 .

[243] البكري ، نفس المصدر ، ص . 9 .

ويعيد ذكر غياب الجامع، ذلك لأنّ أهلها لا يؤدون صلاة الجمعة. ويرجع هذا إلى تعاليم المذهب الأباضي الذي يعتنقه السكان. ويختم الحديث عنها، بأنّ جبل نفوسة مليء بعديد من الأمم ذات الأفكار والمعتقدات المختلفة. ولكن معظم الأهالي يعتنقون الأباضية [244].

ولا يتعامل الشماخي مع شروس كموضوع مستقل ، بل يشير إليها عندما يتعرض لذكر أحداث تتعلق بهذه القرية. واللافت للنظر أنّ الشماخي لا يعيد أي من المعلومات التي جاء ذكرها في أي من هذه المصادر السابقة. ومن المستبعد أن نعتقد أنّه لم يطلع على أي من هذه المصادر. ولكنه كأباضي يؤرخ للأباضيين يعتمد كثيراً على التراث الأباضي. ولا يهتم بهذه الشذرات المتفرقة التي لا تشكل مثار اهتمام لنهجه التاريخي، وهو يركز بالدرجة الأولى على سير المشاهير من علماء نفوسة. و لكننا نراه يؤكد على عبارة أنّ شروس أم لقرى جبل نفوسة [245].

وإذا تجاوزنا الكتاب السابقين، الذين يكررون نفس المعلومات تقريباً، فالكتاب المحدثون لم يقدموا لنا الكثير عن هذا الموقع الأثري المميز. فباسي (R- Basset) مثلاً، يعيد نفس المعلومات، التي ذكرها ابن حوقل والبكري والشماخي. ولكنه يضيف بأنّ شروس عبارة عن أطلال ولا يقوم بها إلا المسجد المعروف بأبي معروف [246].

ويصف ليفسكي شروس بمثل ما ذكر في المصادر السابقة. و يعتمد على الشماخي في القول بأنّ شروس كانت مركزاً للقوافل [247]. وعلى الرغم من المعلومات المتكررة، يضيف شيئاً جديداً، عندما يذكر أنّ أطلال قرية شروس قد عرفت باسم أبى معروف، الرجل العالم الذي ينتمي إلى القرية ذاتها. ويشير إلى أنّها تقع في واد عريض يعرف بوادي شروس. و تدّل الآثار المنتشرة على رقعتها الواسعة، على أنّها كانت من الأهمية بمكان. و يقف في وسط هذا الموقع المسجد الذي يحتوي على خمسة أروقة. و الارتفاع الكبير الذي يتميز به يدّل على ماضيه الزاهر [248]. و يسترسل قائلاً : و يقع القصر إلى جانب المسجد ، بينما يوجد إلى الشرق منه ، السوق الملاصق للحي اليهودي .

---

(244) م . نجم العبار ، ليبيا في كتب التاريخ و الرحلات ، بنغازي ، 1968 ، ص . 58 – 9 .

(245) الشماخى ، السير ، ص . 273 .

(246) باسي ، نفس المصدر ، ص . 455 _ 6 .

(247) ليفسكي ، نفس المصدر ، ص . 43 _ 4 .

(248) المصدر السابق ، ص . 44 .

و أمّا موتيلنسكي (Motylinski) فلا يذكر الشيء الكثير عن قرية شروس. و لكنّه يؤكد على أهميتها في جبل نفوسة. و أغلب حديثه يدور حول مشائخها العلماء [249]. ويعتمد في ذلك على كتاب (السير) للشماخي .

لقد أسست قرية شروس القديمة على تلة صغيرة. تكتنفها الجبال من الجهة الشمالية الشرقية و الشمالية الجنوبية. و تطل في الجهة الغربية على وادي شروس. (أنظر شكل 109) و ليس ثمة من طريق يصل إلى هذا الموقع. ولكن الزائر إلى هذه القرية، عليه السير في طريق ضيق ينحدر إليها من أعلى الجبال. وثمة وسيلة أخرى تتمثل في القدوم إليها عبر الوادي. ولكن هي الأخرى تفتقد الطريق الممهد. وهذا ربما لا يشكل صعوبة على الزائر العادي المعافى. ولكنّه يخلق إشكالية عويصة بالنسبة للباحث الذي يحتاج إلى المعدات، بالإضافة إلى مولد للكهرباء، للحاجة إليه في التقاط الصور ورسم المقاطع الهندسية داخل المسجد. وهذا ممّا يجعل المرء مقدرا لعمل الدواب .

وحقيقة أنّ هذا الموقع ليجذب الانتباه إذا ما قورن بأغلب مواقع القرى القديمة بجبل نفوسة . فالقرى التي أشرنا إليها سابقاً - مثلاً - لم يؤسّس أي منها على منخفض من الأرض. وإذا عرفنا أنّ ما جعل تلك القرى تبنى في مواقع مرتفعة هو المنعة من العدوان، فشروس قد توفر لها هذا الوضع بموقعها الحالي. و لقد أشرنا سلفاً إلى حملات عسكرية لم تستطع الاستيلاء على شروس. و كان عمرو بن العاص بدعا في هذه القاعدة. ولم تزودنا المعلومات التاريخية بمثل واحد يخالف هذه المقولة. ويبدو أنّ تفسير الأمر غاية في البساطة . فموقع شروس في وسط الجبل يحتّم على من يود الاستيلاء عليها التغلب على كثير من القرى المحصنة قبل الوصول إليها. و لقائل أن يقول، أنّه من السهولة الوصول إليها عبر اختراق وادي شروس، عن طريق سهل الجفارة. وربّما يكون هذا صحيحاً من الناحية النظرية. ولكن هذا الطريق - في الحقيقة - مع سهولته يحتوي على شرك مميت . فوجود الجيش المهاجم في الوادي يجعله عرضة لكثير من الأخطار المتمثلة في القرى المطلة على الوادي قبل الوصول إلى قرية شروس [250] .

وربما يعود الفضل إلى هذا الموقع في تمتع شروس بالسلام والاستقرار لفترة طويلة من الزمن. ولا تشكل مصادر المياه إشكالية لهذه القرية، إذ أنّ عين الماء الرئيسية تتموضع بشرق القرية. و إضافة إلى ذلك ثمة عينان للماء في الجهة الغربية للقرية .

---

[249] موتيلنكسي ، نفس المصدر ، ص . 100 .

[250] الشماخي ، السير ، ص . 243 _ 4 ، 54 . أنظر أيضاً ، علي معمر . نفس المصدر ، الجزء الثاني ،ص . 181 .

وتنتشر اليوم بقايا الآثار بقرية شروس على مساحة واسعة. ولا تزال أجزاء من مبانيها القديمة ماثلة للعيان. كما يرى إلى الشمال الشرقي من المسجد، الذي يتوسط الموقع، ما ينبئ بوجود مبنى كبير في الماضي. ومع غياب الحفريات في هذه المنطقة، لا يزال الوقت مبكراً كي يزعم المرء أنّه قصر للتخزين [251]. أنظر (الشكل 110) ويشار إلى شرقي هذا المكان بسوق القرية. ويقع الحي اليهودي في الطرف الشمالي الشرقي من القرية. ولقد وجدت بهذا المكان بعض شواهد القبور العبرية [252]. ويشاهد على قمة الجبل المطل على القرية من الجهة الشمالية الشرقية مبنى كبير يعرف بمكتبة أهل نفوسة، وفقاً للرواية التاريخية (أنظر شكل 111).

وأهم ما يلفت النظر اليوم في شروس هو المسجد القائم بين الأنقاض. وترجع حالته الجيدة، مقارنة ببقية المباني إلى الترميمات التي زاولها الأهالي جيلاً بعد جيل. وعلى الرغم من هجرة الناس لهذه القرية منذ فترة طويلة، فزيارة المسجد والاعتناء به لم يتوقفا طوال هذا الزمن [253]. ويشير الأهالي إلى قرية شروس باسم (خربة أبي معروف) أمّا فيما يتعلق بالمسجد فلا ينسبونه إلى غير هذا الرجل، الذي حكم شروس لفترة ما [254].

وعلى الرغم من أهمية هذا الموقع ومسجده القديم، فلقد رأينا كيف تجاوز الكتاب السالفي الذكر الحديث عنهما بإسهاب. ولذا سيكون همنا في الصفحات التالية القيام بمحاولة لسدّ هذه الفجوة. وربما تكون هذه المحاولة إسهاماً في إلقاء المزيد من الضوء على أشهر قرية في تاريخ جبل نفوسة .

ويقع مسجد شروس على تلة صغيرة، في الجهة الغربية من القرية القديمة. ويطل في الجهة الجنوبية الغربية على وادي شروس (أنظر شكل 112) ويميل مخططه الأرضي إلى شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ طول جداره الشمالي الشرقي بحوالي 15.30 م. ويقدر طول الجدار الجنوبي الشرقي حوالي 12.90 م. كما يبلغ طول الجدار الجنوبي الغربي حوالي 15.30، والجدار الشمالي الغربي 14 م تقريباً، بينما يبلغ سمك الجدران متر واحد (أنظر شكل 113).

---

(251) لينسكي، نفس المصدر، ص . 44 .

(252) هذه الكتابة سيتم العودة إليها في هذا الفصل .

(253) إنها لعادة قديمة في هذه المنطقة . فالقرى التي تحيط بشروس ملتزمة بالحفاظ على مسجد قرية شروس . وكل قرية مسئولة عن إصلاح جزء معين بالمسجد، و المحافظة عليه. و لا تزال هذه العادة جارية إلى اليوم .

(254) لا زال الكثير من الناس في منطقة الجبل و المزاب يحرصون على زيارة مسجد شروس . و بالإضفة إلى ذلك فأهل قرية مرقس ، التي تبعد حوالي 8 كم . إلى الشرق من قرية شروس ، لازالوا يخصصون يومـ كاملا في السنة . لزيارة هذا الموقع .

يتراءى هذا المسجد للناظر، من الخارج، كقصر للتخزين، إلاّ أنّه مختلف شكلاً وأصغر حجماً (أنظر شكل 114). وأعمال الترميم، التي أجريت على هذا المعلم بالإمكان ملاحظتها، ليس فيما يخص الجدران و حسب، بل هي أكثر وضوحاً في الدعامات الساندة لجدار القبلة (أنظر شكل 115). ويمكن رؤية (الصمعة)، التي تقع على سطح المسجد وفوق المحراب مباشرةً، من مسافة بعيدة (أنظر شكل 116) وإنّها لتذكرنا بمثيلتها في مسجد تندميرة .

ولقد بني هذا المسجد من الحجر والطين. ويبدو أن يداً لم تلمسه بطلاء أبداً. ولذا يصعب على المرء تمييز المسجد عند الاقتراب من الموقع. وتلعب الصمعة هنا دوراً في تحديد مكان المسجد (أنظر شكل 117) وللمسجد مدخلان، أحدهما في الجدار الشمالي الشرقي، ويبلغ عرضه حوالي 70 سم. وارتفاعه حوالي 1.5 م . و المدخل الآخر يقع قبالة الأول، في الجدار الجنوبي الغربي. ويبلغ عرضه حوالي 70 سم. وارتفاعه حوالي 1.10م. والأخير مغطى بحجر على هيئة عقد نصف دائري. وهو يذكرنا بمدخل مسجد تنومايت. والاختلاف بينهما منحصر في الكتابة، إذ تظهر في تنومايت غائرة في الحجر، بينما هي بارزة عن الحجر في شروس. و تقرأ كالتالي :

" لا إلـه إلاّ الله وحـده لا شريك لـه
محمد رسول الله أرسله بالهدي و دين الحق ليظهره
(علـى الدين كله و لو كره المشركـون) "

ويبدو مسجد شروس، بالنظر إلى مظهره الخارجي، أكبر مساحة من المساجد القديمة بجبل نفوسة. ولكن المرء لا يلبث أن تصيبه الدهشة، عند الدخول إليه و مشاهدة ما هوعليه من ضخامة قاعة الصلاة و ارتفاع السقف. و هذه الدهشة لا تلبث أن تتبدد عندما يعرف المرء أنّ نصف المسجد تقريباً مدفون في باطن الأرض. و هذه الظاهرة شائعة في مساجد ومباني الجبل، إلاّ أنّها في مسجد شروس تبدو أكثر حضوراً وجذباً للانتباه .

وتتكون قاعة الصلاة من خمسة أروقة، مغطاة بأقبية برميلية. و لقد أدّت عمليات الإصلاح والترميم إلى اختفاء الأعمدة الأصلية، داخل الدعامات المستحدثة. وتبدو الترميمات أكثر وضوحاً في السقف، حيث يعتقد أنّ هذا الجزء من المسجد كان أكثر الجهات المتضررة. وعلى الرغم من كثرة أعمال الترميم. لازال المسجد لحسن الحظ محتفظاً بمعالمه الأصلية.

ولعلّ ما يلفت الانتباه في قاعة الصلاة ، ذلك الحاجز الحجري، الذي يمتد من الجدار الجنوبي الغربي باتجاه الحائط المقابل. و لكنّه يتوقف على مسافة تبلغ

حوالي 2.14 م، قبل الاتصال به [255]. و لقد تسبب هذا الجدار في إغلاق أربعة عقود في الرواق الثالث. ولكنّه لا يرتفع ليبلغ قمة العقود و السقف. و يبلغ طول هذا الحاجز حوالي 8.5 م . بينما يبلغ سمكه 40 سم تقريباً .

ولقد أدّى هذا الحاجز إلى تقسيم المسجد إلى قسمين. أحدهما يتكون من ثلاثة أروقة ويخص الرجال. وهو الجزء الذي يوجد به محراب المسجد. والآخر، الذي يرجح أنّه مخصوص بالنساء، يتكون من رواقين. ونلاحظ أنّ القسم الأول متميز بكتاباته الأثرية وأشكاله الزخرفية ومعالمه المعمارية. ولذا سنتناول بتفصيل دقيق كلاً من القسمين. ولكي يكون الأمر أكثر يسراً للاستيعاب، وأسهل لمتابعة الوصف والمناقشة، رأينا أن نرقم الأروقة بالتسلسل، إبتداءاً برواق القبلة. وهو الذي يمتدّ من الجدار الشمالي الغربي إلى الجدار الجنوبي الشرقي، موازياً لحائط القبلة (أنظر شكل 113) .

الرواق الأول : لقد تسببت الترميمات في هذا الرواق إلى طمس معالم المحراب الأصلي (أنظر شكل 119). و لكن سيظل محراب مسجد تندميرة أمام أعيننا لإعادة رسم صورة لمحراب مسجد شروس. وذلك لما يبدو من تماثل يوحّد المحرابين. و يبلغ عرض المحراب الحالي حوالي 80 سم. ويقدر عمقه بحوالي 1.25 م. و يكتنف المحراب عمودان صغيران، كما هو الحال في محراب تندميرة. وبالنظر إلى المحراب، يوجد حجر ذو شكل شبه مستطيل ملتصقاً بقمة العمود (أنظر شكل 120). ويحتوي على سبعة أسطر من الكتابة. هي على النحو التالي :

سالم بن إبراهيم التمزيني
الصانع هذا الكـــمـــور
المبارك سليمان بن يـــو
سف العنقر التمزينـــي
سنة ثلاثة و (ا) ربعين
وميتان ألف صـــالح
بن عمر البـــاروني

ويشبه هذا الحجر وكتاباته ما عثر عليه قرب المحراب بمسجد أبي منصور بتندميرة. والأخير مثبت على جدار القبلة مباشرة فوق المحراب. ويتماثل تعليقنا على حجر شروس بما جاء في التعليق حول حجر تندميرة [256]. ولذا لا حاجة

---

[255] ظاهرة الجدار الفاصل في المسجد نراها في كثير من مساجد الجبل. و لقد لاحظنا- فيما يتعلق بهذا البحث - وجودها في كل من، نالوت، فرسطة، و أبناين .

[256] أنظر أعلاه ، الفصل الثالث ، ص . 61 .

للتكرار. وما يضاف هنا أنّ الحجرين هما من أحجار المسجد الأصلية. ولقد استعملهما المرممون للكتابة. ويلاحظ أنّ أسلوب الخط في كل منهما يختلف عن الخطوط الكوفية في كل من المسجدين. وهذا ما سنتعرض إليه بتفصيل أدق في الفصل المخصص للكتابات الأثرية التي عثر عليها بمنطقة جبل نفوسة.

ويوجد أيضاً حجران آخران مثبتان على جدار القبلة. والحجر الذي على يمين الناظر إلى المحراب، تقرأ الكتابة التي عليه على النحو التالي :

" رحم الله
.... عبدا
الله .... "

و الحجر الآخر يحتوي على كتابة ، تتكون من سبعة أسطر. و تقرأ :

" رب اجعلني مقيم الصلاة و من
ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا
اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة"

ومن الواضح أنّ الحجرين بغير موضعهما الأصلي، إذ أنّ وضعهما الحالي على جدار القبلة جاء نتيجة لأعمال الترميم، و نتساءل عن اختيار هذا النص القرآني. و هل كان المقصود من كتابته مجرد الكتابة و التقليد لأمثلة أقدم عهداً، أم أنّ الأمر يرمز إلى قضية وجب التنبيه عليها في المجتمع الشروسي. و نحن نطرح هذا التساؤل مبكراً لما سيقابلنا من نصوص أخرى وجب أن نضعها في إطارها الاجتماعي. و سنحاول في الصفحات التالية الاجتهاد و الوصول إلى تفسير منطقي بشأنها. وذلك وفقاً للمعطيات التي تطرحها التركيبة الاجتماعية لقرية شروس القديمة .

ويلاحظ في هذا الرواق - نتيجه للترميمات المتلاحقة - أنّ بعض الدعامات قد بولغ في حجمها. لدرجة أنّها أدّت إلى تضيق مساحة الرواق. ويشمل هذا إحداث دعامات ملاصقة لجدار القبلة (أنظر شكل 123) ويبدو أنّ هذه الإضافة يقصد من ورائها دعم العقود المتقاطعة مع امتداد العقود في كل المسجد [(257)]. (أنظر شكل 124). وهذه العقود هي الأخرى تبدو مستحدثة على عمارة المسجد الأصلية .

[(257)] إنّ بعض أهالي تندميرة الذين شاركوا في ترميم مسجد شروس ، ذكروا لنا أنّ هذه العقود موجودة بالمسجد طوال حياتهم ، التي قاربت 70 عاماً .

وإنّه لمن المناسب ألا نتجاوز رواق القبلة قبل إثارة مسألة غياب المنبر في هذا المسجد، الموجود بأهم قرية في جبل نفوسة . فلقد أشرنا إلى عبارة ابن حوقل، التي يفهم منها أنّ المنبر موجود بمدينتين في جبل نفوسة. ولقد أوضح أنّ إحداهما هي مدينة شروس [258].

ولكن البكري و ياقوت البغدادي ينفيان وجود المسجد الجامع في كل أنحاء جبل نفوسة [259]. ويفسّر كتاب الاستبصار مقولتهما، بأنّ الأباضيين بجبل نفوسة لا يصلون الجمعة. وهذا ما يجعله متفقاً معهما في عدم وجود المنبر بالجبل [260].

ويبدو أنّ ما قاله البكري قد أسيئ فهمه من قبل الشيخ الطاهر الزاوي. فهو إذ يحصر المسألة في إطار التوفيق الفقهي، غابت عنه وجهة النظر المعمارية. فالزاوي كان يعلم على أية حال برأي الأباضيين حول شروط إقامة صلاة الجمعة. وهي قاعدة يؤسّس عليها المذهب الأباضي وجوب إقامة صلاة الجمعة. و يتلخص حكم إقامتها وجود الإمام العادل (أمير المؤمنين). وعلى الرغم من هذا، فهو قد حاول أن يقول لنا أنّ زيارة البكري قد توافقت مع غياب الإمام. و لذلك كتب البكري ما لاحظه، دون أن يسعى إلى معرفة سبب عدم إقامة صلاة الجمعة. و في النهاية حاول الشيخ الزاوي شرح عبارة البكري : "ولا يوجد بها جامع بالقول أنّ المسجد الجامع غير موجود بها [261]، إذ أنّه ليس من المعقول القول بأنّ المساجد لا توجد بجبل نفوسة ".

والحقيقة أنّ عبارة البكري واضحة جداً. وهو يعني أنّ صلاة الجمعة لم تقم بشروس. ولذلك لا ضرورة لوجود (منبر). والواقع أنّ مسجد شروس لا يوجد به منبر. ولا وجود لأثر يدّل على وجود منبر في الزمن الماضي. والأمر الآخر أنّ البكري لم يزر قرية شروس[262]، بل كان ينقل حديثه حول شروس عن ابن الوارق [263]. و حتى مع افتراضنا جدلاً، أنّ البكري قد زار شروس، فزيارته لا تتوافق مع غياب الإمام .فالحقيقة أنّ الإمامة المعترف بها في جبل نفوسة انتهت في أواخر القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي. وهذا ما يجعل غياب الإمام في قول الشيخ غير منطقي [264].

---

(258) ابن حوقل ، نفس المصدر ، ص . 94 .
(259) أنظر أعلاه ، ص . 74 .
(260) المصدر السابق ، ص . 74- 5 .
(261) الزاوي ، معجم ، ص . 190 ، 206 - 7 - 8 .
(262) البكري ، نفس المصدر ، ص . 9 .
(263) معلومات ينقلها البكري ، عن محمد الوارق . أنظر البكري ، نفس المصدر ، ص . 292 ، 263 .
(264) بوس وورث ، نفس ، المصدر ، ص . 22 - 3 . و أنظر أيضاً ، أبو دبوز ، نفس المصدر ، اجزء الثالث ، ص . 616 – 7 –8.

وإذا حصرنا الأمر في المنبر و علاقته بالأباضيين ، فيجدر بنا أن نشير إلى أماكن أباضية أخرى، خارج جبل نفوسة. فنحن نعلم أنّ المنبر غاب عن عمارة المسجد الأباضي في جربة . و كذلك لم تكشف الحفريات عن وجود منبر بمنطقة المزاب . و هذا كله غير مستغرب بعد علمنا بالقاعدة الفقهية، التي يتبناها المذهب الأباضي . و لكن المستغرب هو ما ذكره شاخت (J . Schacth) عن أهالي منطقة البولز (Peuls) الذين لا يقيمون صلاة الجمعة، مع أنهم ليسوا أباضيين [265]. وإذا نحن سلمنا بصحة هذه المعلومة، وجب علينا الاستغراق في التفاصيل لحل هذه الإشكالية. وعلى الرغم من أنّ الحفريات الأثرية بسدراته لازالت في مراحلها الأولى [266]، فالجزم بعدم اكتشاف منبر بمساجدها لازال مبكراً [267]. والحقيقة أنّ المعلومات التاريخية تؤيد هذا الجزم. ذلك لأنّ سدراته أسست بعد سقوط الدولة الرستمية [268]. وبكلمات أخرى، فلا ضرورة لوجود المنبر في الفقه الأباضي مع غياب الإمام. ومع أنّ التراث الأباضي يقول بالإمام المكتوم في فترات الاضطراب والفتن، فلا يوجد في المصادر التاريخية، التي بأيدينا، ما يشير إلى هذا الزعم .

ومن المحتمل العثور على منبر بمدينة تاهرت. ذلك لأنّها كانت مقراً للأئمة الأباضيين. وللأسف فالحفريات بهذه المدينة لم تبدأ بعد. رغم أهميتها التاريخية والأثرية. وعلى العموم فالتاريخ يشير تلميحاً إلى وجود منبر بتاهرت. فكتاب ابن الصغير يأتي فيه ذكر المسجد الجامع بتاهرت، أثناء حديثه عن الإمام عبد الرحمن [269]. و اعتماداً على الفكر الديني الأباضي، فالإمام هو الشرط الأساسي في إقامة صلاة الجمعة. و لذا يرجح وجود المنبر بمدينة تاهرت .

لقد ذهب شاخت إلى منتصف الطريق لحل هذا الإشكال. فهو يقول أنّ غياب المنبر بمنطقة البولس (Peuls) يعود إلى التأثير الأباضي على السكان [270]. و نحن لا نود الاختلاف مع شاخت حول هذه النقطة. ولكننا نتساءل، أي المناطق الأباضية كانت مسئولة عن هذا التأثير؟ .

ويبدو لنا أنّ الأمر لا يتعلق بالمناطق الأباضية في الجزائر، التي عناها شاخت. فالمنبر لا يظهر بالمساجد الأباضية الأولى في جبل نفوسة. و نحن نرى العودة إلى هذه المنطقة لإكمال الطريق ، الذي سار فيه شاخت.

---

(265) شاخت ، نفس المصدر ، ص . 15 .

(266) أنظر أعلاه ، ص . 110 .

(267) فان بيرشام ، سدراته ، ص . 8 ، 27 ، أنظر أيضاً أبو دبوز ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص . 546 .

(268) المصدر السابق ، ص . 546 .

(269) ابن الصغير ، نفس المصدر ، ص . 12 ، 14 .

(270) شاخت ، نفس المصدر ، ص . 16 .

ونحن نعلم أنّ القوافل التجارية كانت تربط بين الجبل ومدينة تاهرت. وبالإضافة إلى ذلك، فالعلماء من نفوسة كانوا يزورون تاهرت منذ بداية تأسيسها. وبعد سقوط الدولة الرستمية، تركز الفكر الأباضي بجبل نفوسة. و هذا ما يجعلنا نرجح التأثير الذي ذكره شاخت إلى الأباضيين بجبل نفوسة.

الرواق الثاني : يلاحظ المرء في هذا الرواق الاختفاء الكامل للأعمدة داخل الدعامات المستحدثة. ونتيجة لهذا الأمر اختلف عرض الرواق من جهة إلى أخرى. وتبدو العقود المضافة هنا على شكل العقد المثلث (أنظر شكل 125) ويظهر هذا النوع من العقود في الجبل بكل من نالوت، الجزيرة [271]، وقصر الحاج بسهل الجفارة. وفي نهاية هذا الرواق يوجد درج يقود إلى سطح المسجد (أنظر شكل 126) ووجود هذا الدرج، الذي ينتهي إلى فتحة مسدودة رأيناه في المساجد الأخرى. وربما يكون هذا الموجود بمسجد شروس أقدمها عهداً.

ويرى في نهاية هذا الرواق، قبالة الدرج [272]، تجويف عميق في الجدار؛ يبلغ عرضه حوالي 50 سم، و ارتفاعه 83 سم تقريباً. وأحد الجانبين لهذا التجويف مغطى بوحدة زخرفية (أنظر شكل 128).

وتتكون الزخرفة من ثلاثة أشرطة أفقية. ويبدو الأوسط منهما أعرض من الشريطين الآخرين. ويظهر على الشريط الأول تعريق نباتي يتكون من غصنين مع أقراص صغيرة. وبكل منهما في آخره حبيبة. وأمّا على الشريط الأسفل فتظهر الأقراص الصغيرة. وهذا العنصر الزخرفي رأيناه بكثرة في نماذج من الفن الإسلامي المبكر. وهو عنصر مستعار من الفن الساساني. وظهوره في جبل نفوسة يعيدنا إلى ما ذكرناه، عند مناقشة موضوع الزخرفة في مسجد أبى منصور الياس بتندميرة. وهذا ممّا يؤكد القول بتأثير الفن الإسلامي في الشرق على مناطق الغرب الإسلامي. وكذلك بتأثير القيروان و سوسة على جبل نفوسة.

ونحن لسنا بحاجة إلى القول بأنّ الحجر لا ينتمي بوضعه هذا إلى مكانه الأصلي. ولكننا بحاجة ماسة إلى جمع كل الأحجار بهذا المسجد، والتركيز على دراستها وصولاً إلى إرجاعها إلى مواضعها الأصلية. و هذا الأمر يستلزم دراسة جادة حول مسجد شروس. ويتطلب أيضاً كثيراً من الوقت والجهد. وعلى العموم

---

[271] يقع قصر الجزيرة على بعد 6 كم . إلى الشمال من قرية شروس . أما قصر الحاج فهو قصر للتخزين في قرية صغيرة ، و تقع على بعد حوالي 151 كم . إلى الجنوب الغربي من مدينة أطرابلس . أنظر ، الفن و العمارة الإسلامية في ليبيا ، نفس المصدر ، ص . 38 - 9 - 40 .

[272] أنظر أعلاه ، ص . 54 ، الجزء الثالث .

فهذا التجويف ذو الإطار المزخرف يحتمل أن يكون في يوم ما نافذة بالمسجد [273].
ويستبعد أن يكون من التجويفات التي تستعمل لوضع مصابيح الزيت .

الرواق الثالث : يعتبر هذا الرواق الأهم بين جميع الأروقة. ذلك لأنّه يحتوي على كتابات أثرية، زخارف، وعناصر معمارية لافتة. وما يجب التوقف عنده هو العقد الصغير، الموجود بمنتصف الجدار الفاصل بقاعة الصلاة. (أنظر شكل 129) ولا تتمحور أهميته على قيمته الفنية وحسب، بل لما يطرحه من أسئلة تتعلق بموضعه الأصلي في المسجد. ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع يتعين علينا وصفاً تفصيلياً أكثر لهذا العقد .

ويتكون العقد من أحجار جيدة القطع. ويظهر على الحجر، الذي يشكّل مفتاح العقد كتابة كوفية بارزة (أنظر شكل 130) وتحتوي هذه الكتابة على ثلاثة أسطر. وهي تمثل الآية الكريمة (136، من سورة آل عمران. وتقرأ : "(قولوا) آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل (وإسحاق) ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من (ربهم) لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ") .

إنّ أسلوب الخط هنا و قيمته الفنية ليطرح العديد من التساؤلات. وهذا الأمر يبرز من آن لآخر في بعض مساجد جبل نفوسة. ولعل الأمثلة تتجلى، بالإضافة إلى هذا المسجد، في أبناين ومسجد أبي منصور بتندميرة. والحقيقة أنّ المتجول في منطقة جبل نفوسة اعتماداً على المظهر العام لا يتوقع وجود ما يشكل قيمة في مجال الفن الإسلامي. ولذا رأينا تركيزاً على هذا الموضوع تخصيص فصل بكامله يتعلق بهذا الشأن.

وتظهر فوق الكتابة الآنفة الذكر وحدات زخرفية (أنظر شكل 130) ويتكون مركز الوحدة الزخرفية من دائرتين تحيط إحداهما بالأخرى. ويشاهد في الدائرة الداخلية زهرة ذات ستة عشر فصاً، بينما تركت الأخرى خالية من الزخرفة ، إلاّ من أقراص صغيرة تتوزع داخل محيط الدائرة. ونرى بكل قرص منها حبيبة في الوسط . و يكتنف الزهرة بمركز الوحدة الزخرفية، زهرتان مفصصتان أصغر حجماً. ويحيط بكل منهما دائرة مملوءة بعناصر نباتية تشبه صدفة المحار. و يحصر كل هذه الوحدة الزخرفية، ما عدا الجزء العلوي، أشكال هندسية على هيئة العقود. ويتكون إطار هذه الوحدة الزخرفية من شكل معين. وأمّا الحجر الرأسي، الذي يدعم العقد و يتوسطه، فقد زخرف بتعريقات نباتية.

---

[273] المصدر السابق ، ص . 68 .

(أنظر شكل 129) وهذه الوحدة الزخرفية تتماثل مع ما عثر عليه في ابناين وتندميرة.

وعند مواجهة هذه الأحجار المزخرفة، نرى على اليمين، حجر مدبب مغروس في الجدار . (أنظر شكل 131) و لقد رأينا مثلين لهذا الحجر بمسجد أبي منصور الياس [274]. وسنتطرق إليها فيما بعد عند مناقشة وجود اليهود بقرية شروس. وهذه الأحجار الثلاثة تحتوي على زخرفة تمثل عقوداً متلاصقة. ويتميز حجر شروس بكتابة لا تبدو ميسرة للقرأة (أنظر شكل 132 ، 133). والظاهر أنّ لا علاقة لها بالمسجد . ولكن الذين قاموا بأعمال الترميمات ، يبدو أنّ لديهم الحس بالمحافظة على جميع الأحجار الجيدة القطع والأحجار المزخرفة، دون فهم لوظيفتها الأصلية أو مواضعها الأصلية .

وجدير بالقول أنّ الأحجار المكونة للعقد الصغير في الجدار الحاجز بمسجد شروس، تذكرنا بحائط القبلة في مسجد تندميرة [275]. وذلك للتماثل الزخرفي ونوعية الحجر المستخدم. ووجود هذه الأمثلة في شروس، لا يغير شيئاً من النتائج التي توصلنا إليها عند مناقشة موضوع الزخرفة في جبل نفوسة، بل يؤكد و يدعم ما ذهبنا إليه من تفسيرات [276]. وهذه المقارنة - لا شك - أنّها ستساعدنا، بالإضافة إلى أسلوب الخط في كتابة شروس، على تحديد التاريخ التقريبي لمسجد أبي معروف بشروس .

وأنّه لمن الواضح أن الأحجار التي بني بها هذا العقد لا تنسجم و الأحجار المستعملة في بناء الجدار الحاجز. ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحاً عند النظر إلى هذا الجدار من داخل القسم المخصص للنساء (أنظر شكل 134). ومن البديهي أن يعتقد المرء أنّ هذا العقد بأحجاره المزخرفة، لا يمت بصلة إلى هذا الجدار. ويدلل على ذلك أنّ وضعيته بهذا الشكل لا يناسب النظر إلى ما يحتويه من زخرفة وكتابة. والوضع الملائم لهذا الأمر، والأكثر موضوعية وجوده على جدار القبلة، قياساً على ما وجد بمسجد أبي منصور الياس وابناين. ووجود هذا العقد في هذا الموضع من مساوئ الترميمات. والمحافظة عليه ولو بهذا الشكل من محاسنها.

وفي كل الأحوال، فالسؤال الذي طرح في البداية يتعلق بالموضع الأصلي لهذا العقد والأحجار المحيطة به . فوضعيته على جدار القبلة لا شك أنّها أكثر موضوعية. ولكن الأمر لا يزال مكتنفاً بالغموض. فالمسجد لم يكن يوماً متحفاً للمعروضات. ونحن - لحسن الحظ - لدينا مثل آخر بجبل نفوسة يوفر لنا مقياساً

---

(274) أنظر الفصل الثالث ، ص . 66 .

(275) أنظر الفصل الثالث أعلاه ، ص . 64- 5 .

(276) المصدر السابق ، ص . 68 - 9 .

أكثر مصداقية ، ألا وهو مسجد أبي منصور الياس في تندميرة [277]. وبمقارنة المسجدين معماراً وزخرفة وكتابة يظهر لنا هذا التماثل الكبير بين المسجدين. ووفقاً لهذه الحقيقة، يمكننا القول أنّ هذا العقد و الأحجار المحيطة به، كانت على الأرجح من الأحجار الملبسة على جانبي المحراب و بداخل تجويفه، كما هو الحال في مسجد تندميرة .

ونلاحظ أيضاً أنّ فوق هذا العقد الصغير عقداً آخر أكبر حجماً. ولا جدال حول نسبة هذا العقد إلى الترميمات التي أجريت على المسجد. و من المحتمل أنّ الجدار الحاجز بكامله، بل أغلب أعمال الترميم الشديدة الوضوح بكل المسجد تعود إلى القرن الرابع عشر الهجري - العشرين مسيحي. وهو ما يتفق مع الكتابة المؤرخة التي وجدت على حائط القبلة. وهي توضح القيام بأعمال الترميم في هذه الفترة .

ولقد تسبب العقد الكبير العلوي في وجود فراغ بينه و بين السقف. ولذا عمل المرمم على سدّ هذا الفراغ من جهة، ومن جهة توصل بعمله هذا إلى دعم السقف. وبقيت فتحة صغيرة قسمها عمود صغير إلى قسمين .

ويظهر على أربعة من أحجار العقد كتابات . سنقرئها بالتسلسل من اليسار إلى اليمين، بالنظر إلى جدار القبلة .

الحجر الأول :

" سبحان الله / العظيم " .

الحجر الثاني :

" وقالوا (ا) لحمد / لله الذي صد / قنا وعده و أو (ر) ثنا / الأرض نتبوأ من الجنّة " .

الحجر الثالث :

" (أشهد) أ (ن) لا / إله إلا الله و / أن محمد (ا) عبد (ه) / و رسوله " .

الحجر الرابع :

" (حسبي الله و هو) / الله و هو السميع / العليم " .

هذه الأحجار هي الأخرى ليست بموضعها الأصلي . و يبدو من خلال النظر إلى هذه الأحجار، التي وضعت في هذه الأماكن - كيف ما كان - أن المسجد قد تعرض في فترة ما إلى تصدع كبير . و أنّ الترميمات التي أجريت عليه ، لم تكن إلا في وقت متأخر جداً . وهذا ما جعل القائمين بإصلاحه غير قادرين على إعادة هذه الأحجار إلى أماكنها الأصلية . هذا بالإضافة إلى غياب الحس العلمي لترميم المعالم الأثرية .

---

[277] المصدر السابق ، ص. 64 - 5 .

و ثمة كتابة أخرى على حجر مثبت قرب منطلق العقد ، الذي يقطع الرواق الثالث . (أنظر شكل 139) . و الكتابة تقرأ كالتالي :
" الله (أ) كبر / كبيراً و الحمد / لله ربّ العالمين " .

الرواق الرابع : إنّ ما يلاحظه المرء عند دخوله إلى قسم النساء هذه الظلمة ، التي تملأه حتى في أيام الصيف الشديدة الإضاءة . و على الرغم من سقوط جزء من السقف في هذا القسم في الجهة الشمالية الشرقية ، فأعمال الإصلاحات تعد الأكبر في هذا الجزء من المسجد .

وأهمية هذا الرواق تعود إلى الكتابات الأثرية . و هي موجودة على عقدين في وسط الرواق . (أنظر شكل 140 ، 142) و سنتبع في قراءتها نفس النسق الذي أستخدم في القراءات السابقة .

الحجر الأول :

" قل هو الله / الله الصمد / لم يلد و لم (يولد) " .

و يلاحظ أنّ ثمة كلمة ناقصة من النص القرآني في السطر الأول . و نقصان السورة يشير إلى ضياع حجرين على الأقل . لأنّ الراجح أنها قد كتبت كاملة ليتم المعنى . و نحن إذ نذهب إلى هذا الرأي ، نتساءل كم من الأحجار المكتوبة والمزخرفة ، التي ضاعت في هذا المسجد ؟ و نحن إذ لا نستبعد نقلها من الموقع . لنقترح وجود بعض منها في الدعامات المستحدثة ، وربما تكون مدفونة في الأكوام والتربة حول المسجد . وهذا ما يشير إلى أهمية وضرورة الحفريات بهذا الموقع .

الحجر الثاني :

" أشهد أن لا إله / إلا الله و أن محمد / اعبده و رسوله و ما جاء به حق " .

هذه شهادة التوحيد . وهي من قواعد الإيمان و الإسلام . ولها دلالتها في مجتمع اختلفت فيه الأديان .

الحجر الثالث :

" يا (أ) يها الذين آمنو / ا أصبروا و صا / بروا و رابطو / ا و اتقوا الله / نعلكم تفلحون ".

إنّ التأمل في معنى هذه الآية ربما يدفعنا إلى التساؤل حول وجودها بالمسجد، ومدى ارتباطها بالظروف التاريخية لجبل نفوسة. ولعل هذا التساؤل سيكون مثار جدل عند مناقشتنا لما يتعلق بالكتابات الأثرية التي عثر عليها بجبل نفوسة.

الحجر الرابع :

" رضينا بالله الذي ليس / كمثله ربا و بالإسلام / الذي لا يقبل غيره دينا "

و هذه العبارة جزء من حديث شريف . و هي الأخرى إذا تأملنا في معانيها ، لابد وأن تثير في أذهاننا تساؤلات حول علاقتها بالظرف الاجتماعي . وكذلك في الأسباب التي دعت إلى انتقاء هذا النص و غيره . و لا شكّ أنّ المعلومات التاريخية ستلقى بشيء من الضوء على هذا الموضوع .

الرواق الخامس :

ليس ثمة الكثير ليوصف به هذا الرواق ، إلاّ أنّ هذا القليل وجب الإشارة إليه ، إثراء للمواضيع المطروقة و توثيقاً لما يمكن أن يستفيد منه الباحثون على مختلف الصعد .

فبالإضافة إلى الأحجار التي أسلفنا الحديث عنها ، يوجد حجر مزخرف في هذا الرواق ، على الجدار الجنوبي الغربي ، و على ارتفاع حوالي 30 سم . عن مستوى الأرض. و تتكون زخرفته من دائرة ، و بوسطها نجمة ثمانية (أنظر شكل 144) . و لقد رأينا هذه الوحدة الزخرفية في مسجد أبناين . و غيره من الأماكن في جبل نفوسة [278] .

ولازالت آثار عقد مسدود مرئية للناظر ، في الجدار الشمالي الغربي . وتبدو أكثر وضوحاً من خارج المسجد (أنظر شكل 145) . و من المرجح أنّ هذا العقد كان يشكل فتحة المدخل لقسم النساء ، أو ربما كان أحد مداخل المسجد ، قبل إحداث الجدار الفاصل . و هذه الظاهرة شبيهة بما وجد في مسجد أبي يحي بفرسطه [279] .

وتقع في هذا الرواق ، في الركن الشمالي الغربي ، حجرة صغيرة ذات شكل مربع . وهي متماثلة مع ما وجد في تنومايت و فرسطه [280] . و توجد كتابة على حجر بالجدار الجنوبي الشرقي لهذه الحجرة . و تقرأ :

(الإسلام ديننا / و محمد نبينا / والقرآن إمامنا / والسنة طريقنا . أنظر شكل ، 146) . وهنا إشارة إلى ركائز الاعتقاد في المذهب الأباضي .

إنّ مسجد شروس يعد الأغنى بالكتابات الأثرية ، التي عثر عليها حتى الآن، بمنطقة جبل نفوسة . و مناقشة أساليب هذه الكتابات و مواضيعها ، و كذلك مقارنتها بكتابات عثر عليها في أماكن إسلامية أخرى ، سيلقى المزيد من الضوء

---

(278) أنظر أعلاه ، الفصل الثاني ، ص . 46 .

(279) المصدر السابق ، ص . 54 .

(280) المصدر السابق ، ص . 41 ،54 - 84 .

على الحياة الاجتماعية في شروس ، إبان القرون الإسلامية الأولى . هذا بالإضافة إلى توضيح قيمتها الفنية والأثرية ، التي ستساعد في تحديد تواريخها .

ويبدو أنّ شروس في القرون الإسلامية الأولى ، قد تماثلت في حالة الاستقرار مع مدينة تاهرت ، حاضرة الدولة الرستمية . و جدير بالذكر أنّ طائفة يهودية عاشت في قرية شروس ، و ربما بعض القرى الأخرى بجبل نفوسة [281] . و كذلك لا يستبعد وجود المسيحيين ، على الرغم من اعتناق أغلب السكان للدين الإسلامي . وليس بمستغرب أنّ القوافل التجارية قد رافقها أناس من مختلف الملل و النحل [282] . ويرجح أنّ الحوارات حول الدين ومتعلقاته ، قد شكلت جزءاً من الأحاديث المتداولة في ذلك الوقت . و على العموم فالكتابات ، التي عثر عليها بشروس تؤيد هذا الرأي . فنحن نلاحظ أن الكتابات تتمحور حول إبراز العقيدة الإسلامية، و الرسائل الموجهة من خلالها إلى أتباع الديانات الأخرى . و ليس ثمة غموض في هذه الكتابات حول حوارها مع أهل الكتاب . و أهل الكتاب هم اليهود والنصارى .

ولا يفوتنا أيضاً أن نستشف من خلال الكتابات بمسجد شروس ما تعرض إليه أهالي نفوسة من محن، متمثلة في التهديدات والغزو الخارجي [283] . ولذا جاءت بعض النصوص لترفع شعاراً للتصدي والصبر والمصابرة . وفوق كل هذا لم ينس الأباضيون أن يوثقوا قواعد مذهبهم بأهم قرى جبل نفوسة ، ألا وهي قرية شروس .

وإذا تجاوزنا الإشارات التاريخية [284] ، فالدليل الأثري يؤكد على وجود طائفة من اليهود بقرية شروس . فلقد عثر على كتابة عبرية بأنقاض شروس . والأمر يتعلق برجل من أهل تندميرة يحتفظ بحجر يحتوي على هذه الكتابة . ولقد ذكر أنه قد عثر عليها في أطلال قرية شروس . ولم نتمكن من رؤية الحجر وتصويره إلا بعد جهد كبير . (أنظر شكل 147) . وتتكون الكتابة من ستة أسطر . وتقرأ ترجمتها :

" ...... / شهـ (ر) شباط (في) سنة خمسة آلاف / و أربعة و عشرين سنة من بداية الخليقة / الر (حيم) سيجعل موتها غفراناً لكل ذنوبها / و مكانها مع أولئك الذين يرقدون في حبرون / ومع موسى و هارون آمين إلى الأبد صله " .

---

[281] الشماخي ، السير ، ص . 321 .

[282] المصدر السابق ، 273 . .

[283] الشماخي ، نفس المصدر ، ص . 244 .

[284] أنظر أعلاه ، ص . 89 .

و يبدو أنّ السطر المفقود في البداية يحتوي على اسم المرأة المتوفية. والتاريخ يشير إلى شباط 5124. و هذا يعني يناير- فبراير 1364-الثامن الهجري.
ولقد تم العثور على شاهدين لقبرين ، عليهما كتابة عبرية ، إبان العمل الحقلي المتعلق بهذا البحث . و مكان العثور عليهما هو الموقع المعروف بالمقبرة اليهودية [285] . والكتابة على أحدهما قد تأثرت بفعل الزمن ، أمّا الآخر فتقرأ ترجمته على النحو التالي :
" هناك تجمع في الجنة حانوته / ابنة الربي موسى العا (فية) و ال (حياة) للربيين / و لكل الإسرائليين الذين ماتوا / في اليوم التاسع و العشرين شيفان (في) سنة / خمسة ألاف ومائتين / وخمسة وعشرين سنة / إلى بدء الخليقة ال (حيم) سيجعل موتها غفراناً لكل ذنوبها / و يجعل مكانها مع أولئك الذين يرقدون في / حبرون مع موسى و هارون / و (مع أولئك الذين ي) رقدون ب (كل) س (لام) " .
وتؤكد الروايات المحلية على أنّ شروس قد تصدع بنيانها وهجرت في القرن السادس الهجري - الثالث عشر الميلادي . وتربط الروايات هذا الحدث بالحرب التي وقعت بين شروس و قرية ويغو . وأشار بعض الكتاب أيضاً إلى هذه الرواية [286] . ولكن الدليل الأثري الآن يؤكد على أنّ شروس كانت عامرة في بداية المنتصف الثاني للقرن التاسع الهجري - الخامس عشر مسيحي . والهجرة التي يشار إليها - وهي حقيقة - تكون قد تمت بعد هذا التاريخ .
لقد أشرنا إلى أنّ المسجد وكذلك بقية الموقع قد عرف منسوباً إلى أبي معروف، ووفقاً لما ترويه المصادر التاريخية ، أن أبا معروف الشروسي ، كان حاكماً لشروس في القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي [287] . وكان من ضمن أولئك العلماء، الذين يقصدون للاستشارة والفتوى. و هذه المعلومات لا تعني بالضرورة إنشائه للمسجد، بقدر ما تعني اهتمامه به، وربّما تطويره إلى الدرجة التي ضاهى فيها مسجد أبى منصور الياس في تندميره. ومسألة نفي نسبة إنشائه إلى أبي معروف تؤكدها معلومة تاريخية وردت بخصوص المسجد ، في القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي [288] وكان ذلك قبل توليه لمنصب الحكم في قرية شروس .

---

(285) المصدر السابق ، ص . 77 .
(286) ليفسكي ، نفس المصدر ، ص . 44 - 5 .
(287) الشماخي ، ص . 263 - 4 .
(288) المصدر السابق ، ص . 266 ، 298 .

ومن الأحوط الآن أن نؤكد على وجود المسجد في بداية القرن الثالث الهجري . وإذا قدر للحفريات أن تجرى بهذا الموقع ، فالأدلة الأثرية ستلقى المزيد من الضوء على هذا الجانب و غيره .

ولقد تم العثور على الكثير من القطع الفخارية والخزفية حول المسجد، وفي أجزاء أخرى من الموقع . وكذلك وجد بالشمال الشرقي من المسجد، ما يتخلف عادة من أفران صناعة الفخار . والموقع يمثل كثيباً من الطين المحترق . وهذا يذكرنا كثيراً بما عثر عليه في قرية فرسطة [289] . وربّما كانت شروس هي الأخرى مركزاً لتصنيع الفخار في جبل نفوسة . أمّا القطع الفخارية المجمعة من الموقع - فهي كمثيلتها في فرسطه - لا تشكل موضوعاً مستقلاً لدراسة علمية موضوعية .

والمقارنة بين مدينة تاهرت الأباضية و شروس تبدي لنا كثيراً من الأوجه المشتركة . فالنسيج الاجتماعي والموقع الجغرافي أتاحا لكل منهما أن تلعب دوراً في تجارة القوافل [290] . وبما أنّه لا يتوفر لدينا أدلة أثرية بخصوص الازدهار ، الذي تمتعت به مدينة تاهرت ، فالمعلومات التاريخية كافية في الوقت الحالي ، للتدليل على الرفاه الذي عاشته هذه المدينة [291] . ومن المحتمل أنّ شروس قد تذوقت شيئاً من ذلك الازدهار . وهذا ما يدلل عليه المستوى الراقي للزخرفة التي عثر عليها بالمسجد . وكذلك وجود المكتبة العامة لأهالي نفوسة بشروس ، وغيرها من المظاهر الحضارية ، مثل مدرسة ابن ماطوس .

ولا ننسى ونحن نعقد هذه المقارنة أن نشير إلى أنّ شروس أقدم عهداً . ولقد عايشت التسامح الديني قبل أن تظهر مدينة تاهرت للوجود . وإشارات الكتّاب والمؤرخين القدامى إلى شروس على أنّها مدينة عظيمة ، يدعمه ما أبرزه هذا الموقع من شواهد على ذلك . والحقيقة أنّ شروس في تصنيفها الأثري الإسلامي لن تكون أقل قيمة من أجدابيا وسلطان وزويلة ، وغيرها من المواقع الإسلامية [292] .

ويغو :-

تقع قرية ويغو على بعد 7 كم ، في الاتجاه الجنوبي الشرقي ، من شروس . وتنتشر مبانيها على مساحة مسطحة ، تتخللها بعض المنخفضات ، التي ربما

---

(289) أنظر أعلاه ، ص . 57 .

(290) الشماخي ، السير ، ص . 273 .

(291) ابن الصغير ، نفس المصدر ، ص . 12 ، 26 - 7 . أنظر أيضاً ، الجيلاني ، نفس المصدر ، ص . 455 - 6.

(292) Libya Antiqua , vol . VIII , Rome , 1971 , pp . 106 , 113 - 4

تكونت بفعل مياه السيول . وهي اليوم قرية مهجورة . وتقدر مساحة هذا الموقع بحوالي 2 كم مربع (أنظر شكل 149) ولقد تسبب البناء في قرية (مرقس) الحديثة ، إلى المزيد من الدمار لقرية ويغو الأثرية . فلقد نقل أهالي مرقس من هذا الموقع الكثير من الأحجار لبناء دورهم السكنية . و يخشى أن يكون بعض منها ذا قيمة فنية وأثرية ، و على الرغم من هذا الاعتداء على قرية ويغو الأثرية ، لازالت مبانيها شاهدة على التقدم المعماري ، الذي وصلت إليه ويغو . ولا يوجد في قرى الجبل ما يضاهي المستوى المعماري لهذه القرية .

ويبدو أنّ ندرة المعلومات التي وصلتنا عن ويغو ، تعود إلى قربها من حاضرة جبل نفوسة ، قرية شروس [293] . و كل ما كتب عن ويغو في العصر الحديث يعد أقل من القليل. فباسي - مثلاً - (R.Basset) يذكر أنّ ويغو مدينة بنواحي نالوت ، وتعرف بأولاد بن محمود . وهذه معلومة خاطئة . و يضيف بأنّها تحتوي على 150 بيتاً . وسكانها خليط من العرب و البربر [294] . وهذا خطأ آخر .

ولقد تنبه ليفسكي (Lewicki) للخلط ، الذي وقع فيه باسي ، والذي أصلح بواسطة دي بوا (De Pois) كما أنّ ليفسكي اعتمد في حديثه عن ويغو ، على بعض المراجع الأباضية ، التي تهتم بموضوع الرجال والتاريخ . ونقل عنها ما يتعلق بالحرب التي دارت بين قريتي شروس وويغو ، لمدة سبع سنوات . وكانت نهايتها تدمير قرية شروس في القرن الخامس الهجري [295]. وهذا القول بتدمير شروس وهجرة سكانها ، يشوبه شيء من الغموض بعد العثور على شواهد القبور العبرية . وبغض النظر عن هذا ، فليس من المعقول أن تدمر قرية أباضية قرية أخرى ، خاصة عندما تكون القرية المدمرة هي شروس ، بما تعنيه للأباضيين [296].

لقد جاء ذكر قرية ويغو لأول مرة في المصادر التاريخية ، نسبة إلى رجل عاش في القرن الثاني الهجري . و يدعى عبد الله الويغوي [297] . وكان من أبرز الشخصيات العلمية في وقته . ومن العجيب أنّ هذا الرجل كان معروفاً أكثر من قريته وبيوتها الرائعة . ولم يبق من المسجد ، الذي نسب إليه إلا رواق واحد . ويقع

---

(293) كما رأينا فإنّ قرية ويغو و ما حول شروس من القرى لم تذكر بالاسم ، باعتبارها توابع للحاضرة الأباضية. على الرغم من أهمية بعض تلك القرى . و تحولها في فترات ما إلى مقرات لحكم الجبل بكامله .

(294) باسي ، نفس المصدر ، ص . 458 .

(295) ليفسكي ، نفس المصدر ، ص . 458 .

(296) علي يحي معمر ، موكب ، الجزء الثاني ، ص . 181 .

(297) الشماخي ، السير ، ص . 170 .

هذا المسجد في الركن الجنوبي من القرية[298]. ولقد لحقت أعمال الترميم الكبيرة بهذا الرواق اليتيم . (أنظر شكل 150) . وعلى الرغم من ذلك أمكن رفع مخططه الأصلي بالكامل . وتبين أنّ مخطط المسجد يميل إلى الشكل المستطيل . ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 11.60 م . والجدار ، الذي يشكّل الجهة الشمالية الشرقية يبلغ طوله حوالي 14.10 م . ويبلغ سمك الجدران 80 سم تقريباً . كما تبين أنّه كان للمسجد مدخلان ، أحدهما يقع في الجدار الشمالي الشرقي ، والآخر في وسط الجدار المقابل . وثمة احتمال بوجود مدخل ثالث في الجدار الشمالي الغربي .

ورواق القبلة ، المرمم حديثاً ، مغطى بقبو برميلي . ولا يوجد بهذا الرواق ما يستحق الذكر سوى المحراب ، الذي يبلغ عمقه حوالي 1.60 م . (أنظر شكل 153 ، 154) . وأمّا محرابه المعقود بداخل الرواق ، يتميز ما يبرز منه خارج الجدار بشكل اسطواني ، يشبه شكل القبة ، التي تتدرج في انحنائها كلّما اقتربت من الأرض . وهذا النوع من المحاريب منتشر في الشمال الأفريقي .

ويلاحظ أنّ جزءاً من الأقواس التي كانت بقاعة الصلاة لازالت منظورة في رواق القبلة ، إذ أنّ أعمال الترميم لا تغطيها بالكامل . (أنظر شكل 155) . ولقد أمكن بعد تتبع بقايا الآثار للمسجد من وجود رواقين آخرين خلف رواق القبلة (أنظر شكل 156) . ومن المحتمل أنّ المسجد كان يتكون من خمسة أروقة ، بما في ذلك ما هو مخصص لصلاة النساء.

ومن الراجح أنّ دور ويغو في تجارة القوافل ليس بأقل أهمية من دور شروس وتندميره . و ممّا يدلل على ذلك موقعها الجغرافي ، و مستوى بيوتها الراقي ، الذي يشير إلى ثراء هذه القرية في وقت من الأوقات . و أمّا ما يبدو عليه مسجدها من افتقار للقيم الفنية، فهذا عائد إلى تصدع المسجد الأصلي بالكامل .

وممّا يدعو للحيرة أنّ الأحجار الأصلية للمسجد لا ترى بالموقع . وطالما أننا قد أشرنا إلى ما فعله أهالي قرية مرقس بهذه القرية الأثرية ، فيحتمل أنّ هذه الأحجار كانت من ضمن المنقولات . وإذا كان هذا الاحتمال صحيحاً ، فلا يستبعد أنّ بعضاً من الأحجار قد احتوت على زخارف أو كتابات . وهذا الفعل كثيراً ما يحدث في الأماكن ، التي تفتقر إلى الحس الثقافي للمحافظة على التراث .

ونحن على علم بأنّ أبا مهدي الويغوي ، الذي ينسب إليه المسجد ، توفي خارج أسوار أطرابلس ، عندما كان الإمام عبد الوهاب الرستمي يحاصر المدينة

---

[298] يوجد مسجد آخر مشيد في باطن الأرض . و لا يبعد إلا أمتار قليلة عن مسجد أبي ممهدي . و يطلق السكان في هذه المنطقة على هذا المبنى مسجد أبي غزالة . و ربما يكون المسجد المشار إليه باسم مسجد اجلمان ، أو اجلامن . (أنظر ليفسكي ، نفس المصدر ، ص . 47) .

في سنة (190 هـ - 805 ، 6 مسيحي) [299] . ووفقاً لهذه المعلومة تظل ويغو الأقدم ذكراً بين المساجد في جبل نفوسة [300] . وأهميته تتعلق بمخططه الأصلي ، إذ أنّ هذا المخطط الأرضي قد اتخذ نموذجاً لتخطيط المساجد بالجبل لعدّة قرون [301] . و لا يفوتنا أن نذكر أنّ جميع مخططات المساجد التي تطرقنا إليها فيما سبق تتماثل مع ما وجدناه في قرية ويغو . ولذا أضحى من المتيسر معرفة هذه الجزئية من مكونات المسجد الأباضي في جبل نفوسة، في القرون الإسلامية الأولى .

ومن الممكن الآن حصر بعض المواصفات ، التي ميزت المسجد الأباضي ، في الجزء الغربي من جبل نفوسة ، إبان القرون الأولى للإسلام . فبالإضافة إلى الشكل شبه المستطيل ، تميزت المساجد بوجود ثلاثة مداخل . و قد خصص أحدها لاستعمال النساء . ونلاحظ أنّ المسجد الأباضي يفتقر بشكل عام إلى استعمال الزخارف و الكتابات . و ما رأيناه في بعض الأمثلة يعد خروجاً عن القاعدة ، التي تركز على البساطة في ميدان العمارة .

وفي هذا الإطار لا نغفل عن ذكر الجدار الفاصل في المساجد ، الذي يصنف هو الآخر كعلامة مميزة للمسجد الأباضي . و هذه الظاهرة لم نشاهدها في المساجد الإسلامية الأولى ، على الرغم من صلاة النساء في المساجد . كما أنّ غياب المنبر في مساجد الجبل ظاهرة مميزة ، كما أوضحنا عند مناقشة هذه المسألة . و أمّا ما يتعلق بالمئذنة فلم يحسبها الأباضيون من ضرورات المسجد . والعنصر المعماري الذي يسمى (الصمعة) استخدم في المسجد الأباضي لتحديد مكان المسجد . و يبدو أنّها لم تكن محصورة على هذا الأمر . وأخيراً فبناء المساجد وغيرها على مستوى أقل من مستوى الأرض ، أو في باطنها ، فهذا عائد إلى الوقاية من الحرارة التي تتميز بها المنطقة في أشهر الصيف ، و من البرودة في أشهر الشتاء . و أمّا تغطية المباني بالأقبية البرميلية ، فهذا ممّا يجنب الأسقف التأثر بمياه الأمطار ، و تكدس الأتربة فوق الأسطح . و لا يغيب عنا ملاحظة المساحة الصغيرة للمساجد ، مع اعتبار الكثافة السكانية العالية [302] .

وما يواجهنا هنا هو تحديد تاريخ لتبني أهالي نفوسة لهذا النموذج من المساجد . وربما نتساءل حول عدم تطوره لفترة طويلة من الزمن حتى في مناطق

---

[299] الشماخي ، السير ، ص . 158 – 9 . أنظر أيضاً ، أبو دبوز ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص . 510 – 1 .

[300] الشماخي ، السير ، ص . 158 – 9 . و أنظر أيضاً ، أبو دبوز ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص . 500 .

[301] لا يفوتنا أن نلحظ أنّ كل المساجد ، التي أتينا عليها تشترك في شكل مخططها الأرضي .

[302] الشماخي ، السير ، ص . 310 .

إسلامية أخرى . و نحن لا نستطيع القول بعدم وجود من يتفوق في مجال العمارة في جبل نفوسة . لأنّ الأبنية ذات المستوى الراقي و الدور الجميلة بقرية ويغو تفند هذا الزعم .

ويبدو أنّه علينا لإلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع ، النظر إلى شرق العالم الإسلامي ، و بالتحديد إلى العراق . ذلك لأنّ التأثير الأقوى لا يظهر بوضوح في جبل نفوسة. ومن الممكن مناقشة هذا الأمر في مسارين . الأول منهما يتعلق بالمسجد الأباضي ، الذي استعاد مميزاته الأساسية ، من المساجد الإسلامية الأولى في العراق ، مساجد مثل الكوفة والبصرة . ولابد أن نلاحظ أولاً أنّ وجود الخندق حول المسجد في العراق عائد إلى الضرورات الحربية واختلاف الموقع الجغرافي . وأمّا غياب الأفنية في مساجد الجبل فعائد إلى الظروف المناخية . والمسار الثاني ما يتعلق بتعاليم الأباضية نفسها . فالنظرة المحافظة للفكر الأباضي الديني ، جعلت من الأبنية ، و خاصة المساجد ، التمسك بطابع البساطة . ومن الجدير أن نذكر هنا أنّ المساجد الإسلامية اقتصر همها على إقامة العبادة ، في أماكن لا تشغل المصلي عن الصلاة . و لهذا لم يأخذ أهالي نفوسة أفكارهم الدينية ، من شرق العالم الإسلامي وحسب ، بل تأثروا أيضاً بهذه المنطقة في مجال الفنون و العمارة .

منازل ويغو :

عندما يقف المرء بين أطلال قرية ويغو ، يتساءل لما لم يجذب هذا اموقع أنظار المعنيين و المهتمين بالتراث ؟ كما يعتريه نوع من التحسر لما يرى من إهمال للعناية به ، والمحافظة عليه من العبث . ! ولابد له وأن يشعر منذ الوهلة الأولى أنّ هذه القرية قد عاشت في وقت ما فترة مزدهرة . ذلك أنّ مظاهر الفن المعماري الراقي في هذا الموقع يجعله الأروع في أنحاء جبل نفوسة.

والواقع أنّ أطلال الدور بهذه القرية تختلف عن كل ما رأيناه في قرى جبل نفوسة . فهي تتناثر فوق هضبتين ، يفصلهما منخفض صغير ، يبلغ عرضه حوالي 800 م . ويوجد أمام هذه الدور بيوت أخرى محفورة في باطن الأرض . وتتساوى تقريباً أغلب هذه الدور في المساحة والتخطيط . ولا تختلف عن بعضها إلا في تفاصيل دقيقة . ولذا سنحصر التركيز على منزل واحد منها . وسنأتي على ذكر المنازل الأخرى ، إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك .

منزل المحراب :

لا يعرف هذا المنزل بهذا الاسم . و لكننا أطلقنا عليه هذه الصفة ، لكونه المنزل الوحيد ، الذي احتوى على محراب بداخله . و يقع هذا البيت في الجهة الشمالية الغربية للقرية . (أنظر شكل 158) وهو ذو تخطيط شبه مستطيل . و يبلغ طول جداره الجنوبي الشرقي حوالي 9.90 م ، والجنوبي الغربي 5.40 م تقريباً . وتقدر مساحة البيت ، بما في ذلك الفناء الذي بداخله ، بحوالي 52 ، 23 متر مربع (أنظر شكل 159) (أنظر شكل 160) للمقارنة .

ويكتنف هذا الفناء حجرات من الجهة الشمالية الشرقية و الجنوبية الغربية . ويتماثل هذا المنزل بطابقيه في الأعم الأغلب مع سائر المنازل بالموقع . وجميعها مغطى بأقبية برميلية (أنظر شكل 161) . ويتميز بعض منها بأكثر من طابقين (أنظر شكل 162) . ويذكرنا مشهد هذه المنازل ، نظراً إليها من مسافة ، بقصير عمره وحمام الصرخ بالشام[303]. وتبدو هذه البيوت ، مع غياب الفتحات بجدرانها الخارجية ، كمبان صغيرة محصنة . ولا يشذ عن هذا الوضع إلا منزل واحد . ولهذا المنزل نافذتان في الواجهة . ولكن هذه الفتحات تبدو غير أصلية (أنظر شكل 163) .

ويوجد بمنزل المحراب مدخل واحد يتوسط جداره الجنوبي الغربي . ويبلغ عرضه حوالي 1.30م ، وارتفاعه 2.40م . ويبلغ سمك جدرانه حوالي 1.26 م (أنظر شكل 162). ويبدو أنّ هذا المدخل كان يكتنفه عمودان ، كما هو الحال في منزل آخر ، بالشمال الغربي للقرية (أنظر شكل 165) .

ويظهر على يمين الداخل إلى المنزل تجويف في الجدار الجنوبي الشرقي . ووجوده في هذا الموضع يعطيه صفة المحراب [304] . (أنظر شكل 167) . وهذه الظاهرة منفردة في جبل نفوسة . ولقد رأينا أمثلة لها في القصور الأموية ، التي اتخذها الأمراء للاستجمام، وكذلك في قصر الأخيضر [305].

وإذا تجاوزنا مدينة سامراء فيما يتعلق بهذه الظاهرة ، فإننا لا نعثر على منزل بمحراب في المواقع الإسلامية ، التي تعود إلى فترة مبكرة . ويجدر القول أنّ

---

[303] أنظر كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، القاهرة ، 1964 ، أنظر الأشكال ، 16 ، 17 ، 20 .

[304] يبدو هنا أنّ السكان قاموا ، بخلاف الآخرين في مناطق الجبل ، بترميمات حافظت على الطابع الأصلي . و يمكن ملاحظة هذا الأمر في المنازل التي تم إصلاحها ، و المنتشرة بهذا الموقع .

[305] كرزويل ، العمارة الإسلامية المبكرة ، المجلد الثاني ، ص . 106 ، 126 – 7 ، 196 .

المحاريب المسطحة ، التي وجدت بسامراء ، لم تكن إلا للزينة [306] . ولذا فهذا المنزل - حسب علمنا - يظل مثلاً متفرداً في العمارة الإسلامية المبكرة، وربما يعود تاريخه إلى القرن الثاني - الثالث الهجري - الثامن، التاسع مسيحي .

ونرى ، في الفناء أيضاً ، إلى الجهة الشمالية الشرقية حجرة تماثل شكل الإيوان (أنظر شكل 168). ويكتنف مدخلها حنيتان معقودتان، حيث تبلغ قاعدتهما حوالي 30 سم طولاً ، وارتفاعهما حوالي 35 سم . وعند مواجهة مدخل الحجرة ، تبدو الحنية التي على اليمين مغطاة بعقد على هيئة حدوة الفرس (أنظر شكل 168) . وهذا مثل آخر لم نره بعمارة الجبل . وتتكون هذه الحجرة من شكل شبه مستطيل ، حيث يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي حوالي 1.60 م، والجدار الشمالي الشرقي حوالي 2 م . و يتكون سقف الحجرة من قبو برميلي، كما هو الحال في جميع الحجرات . ويكتنف هذه الحجرة حجرتان صغيرتان. وتقدر مساحة الحجرة التي على اليمين ، حال مواجهتهما ، بحوالي 2 متر مربع. والأخرى 1.43 متر مربع تقريباً . ويوجد بالحجرة الأخيرة درج يقود إلى الطابق الثاني من المنزل . ومدخل كل من الحجرتين يقدر عرضه بحوالي 55 سم . وارتفاعه حوالي 95 سم (أنظر شكل 168) .

ويوجد في الشمال الغربي من الفناء حجرة واحدة . و تقدر مساحتها بحوالي 6.30 متر مربع . ويبلغ عرض مدخلها 90 سم ، و ارتفاعه حوالي 1.10 م (أنظر شكل 169) . وثمة سدتان حجريتان في نهاية الحجرة .

ولعل ما يثير الانتباه في هذا الفناء ، تلك الأحجار البارزة عن الجدار الجنوبي الغربي (أنظر شكل 170) وهذه الظاهرة تذكرنا بجذوع الأشجار المثبتة في جدران قصور التخزين . و الأرجح أنّها قد استعملت للوصول إلى الطابق الثاني من هذه الجهة . و يبدو أنّ الطابق الثاني قد استعمل للتخزين . وممّا يدعم هذه الفكرة عدم وجود بقايا آثار لقصر تخزين بالموقع.

وكما أشرنا سابقاً فالمنازل تشترك في التخطيط العام ، و أساسيات البناء المعماري . ولبعض المنازل حجرتان مصممتان على شكل إيوان . والفارق المميز بين هذه الدور ، يكمن في عدد الحنيات المجوفة (أنظر شكل 171) . ولا يفوتنا

---

(306) أنظر ، E.Herzfeld , Die Ausgrabun Von Samorra , I . Der Wandschuck oler Bauten Von Sammara , und Seine Ornamentik , BERLIN , 1923 pp , 181 , 225 , Abb , 259 , 260 , 316 , LXII , C / 281 .
Excavalion at Samarra , 1936 - 39 , Bagdad , 1940 Part I , P .24 , Pl . LVII , also , B . Franeis and it Naqshabandi , AL Maharib al Qadima , Sumer , VII , 1951 , p . 213, pl . 1,2 , cf . C.K. Williams, Bulletin of the Metropolitan , Museam of Art , N.S.II 1944 , PP . 2 , 286 . See F. Shafi , i , op.cit.p.622.

أن نتوقف عند طريقة إنشاء هذه المنازل . فلقد بنيت الجدران أولاً من الطين ، ثمّ لبّست من الخارج بأحجار جيدة القطع (أنظر شكل 172) .

ولا شكّ أنّ هذا الطراز من البيوت ، تتمثل فيه مميزات البيت الإسلامي ، التي رأيناها أكثر ما يكون وضوحاً في قصر المشتى ، و كذلك في قصري الطوبة و الأخيضر . ولكنّها أكبر حجماً و أكثر تفصيلات [307] .

ونحن إذ ننتقي نموذجاً للبيت الإسلامي في جبل نفوسة ، متمثلاً في بيت المحراب بقرية ويغو الأثرية ، لنرمي بالدرجة الأولى ، إلى إثارة الانتباه إلى هذا الموقع الهام . إضافة إلى ما يقتضيه هدف البحث من إبراز للقيم الفنية و المعمارية بهذه المنطقة .

---

[307] كرزويل ، العمارة الإسلامية المبكرة ، المجلد الثاني ، ص . 147 - 8 ، 197 - 8 . أنظر أيضاً ، فريد شافعي ، نفسالمصدر ، ص . 186 - 9 .

الفصل الخامس

الكنيسة ـ أم الطبول

أبو كار

الفصل الخامس
الكنيسة - أم الطبول - أبو كار

تقع منطقة تمزدة على بعد حوالي 6 / كم . إلى الغرب من مدينة جادو . وتشتهر هذه المنطقة - كما هي المناطق المجاورة لها - بسهولها المنبسطة ، وتربتها الخصبة ، وبكثرة أشجار الزيتون فيها . وهي إذ تقع على سطح مرتفع جبلي ، لتختلف عن المنطقة الغربية من جبل نفوسة . وهي أيضاً تختلف في بقايا أطلالها عن بقية القرى التي تطرقنا إليها آنفاً . وتظهر بقايا أطلال تمزدة على ، أو بين الهضاب الصغيرة . ولا نرى حولها ما يدلل ، على أنّها في أي وقت مضى ، قد اتخذت نوعاً من الوسائل الدفاعية لحمايتها. وربما يكون هذا عائداً من جهة ، إلى موقعها في وسط جبل نفوسة . ومن الجهة الأخرى للتحصن الطبيعي المتمثل في سلسلة الجبال ، الممتدة من الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي للمنطقة . ولعل لهذه الجبال الدور الرئيسي في فشل كل المحاولات العسكرية للاستيلاء عليها. وإن كانت أكثر ما حققته هذه المحاولات ، إحراق أشجار الزيتون في أسفل هذه الجبال [308] .

وما يميز هذه المنطقة هو كثرة الأطلال المتناثرة في كل أنحائها . و لقد رأينا التركيز على بعض المعالم الأثرية بها وصولاً إلى إظهار التنوع الفني المعماري في منطقة جبل نفوسة . وبالإضافة إلى ذلك ، إلقاء مزيد من الضوء على الجوانب ، التي كانت مثار نقاش في الصفحات السابقة .

مسجد الكنيسة :

يوجد إلى الغرب من مدينة جادو مفترق طرق ، على بعد حوالي 12 كم منها ، وثمة طريق متجه نحو الشمال الغربي من هذا المفترق . ويقود هذا الطريق إلى تمزدة ، التي تقع على بعد حوالي 3 كم . ويظهر على يمين هذا الطريق المبنى المعروف بالكنيسة .

ولا تمدنا المصادر التاريخية - ومن ضمنها السير - بأي معلومات ، سوى الإشارة إليه ، بأنّه أحد المساجد ، التي تحظى بكل تقدير ، من قبل الأهالي بجبل نفوسة [309] . وربما تكون هذه الندرة في المعلومات لقرب هذا المبنى من جادو ، إحدى المدن المشهورة بمنطقة الجبل [310] .

---

[308] علي يحي معمر ، موكب ، الجزء الثاني ، ص . 205 .
[309] الشماخي ، ص . 599 ، أنظر أيضاً روسي ، نفس المصدر ، ص . 91 .
[310] ابن حوقل ، نفس المصدر ، 94 - 5 .

وهذا المسجد يحتفظ بكثير من عناصره المعمارية الأصلية ، خلافاً لما عليه المساجد القديمة بجبل نفوسة . وربما يعود هذا إلى جودة الحجر المستعمل في البناء ، بالإضافة إلى حجم المبنى ووضعه في باطن الأرض . الأمر الذي صرف الأهالي عن القيام بأعمال الترميم والإصلاح ، كما رأينا في المواقع السابقة .

ويبدو أنّ هذا المبنى قد شيد بالحجر ، بعد حفر موقعه في تلة صغيرة . ولولا واجهته المطلية باللون الأبيض ، وبعض الأحجار الرومانية الظاهرة فوق الكثيب ، لما اهتدت إليه العين بسهولة . ولا يفهم من وجود الأحجار بأعلى هذا المبنى أنّها تقوم مقام (الصمعة) التي أشرنا إليها فيما مضى ، بل هي على ما يعتقد أحجار جلبت من موقع روماني قديم ، ولكنها زادت عن حاجة البناء . فتركت بالموقع . وثمة احتمال بأنّ المبنى الروماني كان في نفس الموقع قبل بناء المسجد (أنظر شكل 173 ، 174) .

ويتكون هذا المسجد (الكنيسة) من مخطط مربع الشكل تقريباً. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 10.25 م . والجدار الشمالي الشرقي حوالي 10.5 م ، بينما يبلغ سمك الجدران 60سم (أنظر شكل 175). وتتكون قاعة الصلاة من أربعة أروقة ، مغطاة بأقبية برميلية . وهي مدعمة بأقواس شبه نصف دائرية ، مقامة على اثنتي عشر عموداً . كما ترى الدعامات الساندة للجدران ، ما عدا في الحائط الجنوبي الشرقي . وتعتبر هذه الأقواس من الناحية المعمارية والفنية الأفضل تنفيذاً في جبل نفوسة . ويلاحظ أنّ بعضاً منها يستقر على تيجان مربعة الشكل . ويبدو واضحاً عدم التوافق بين عناصر المسجد المعمارية . الأمر الذي يدلل على أنّ هذه الأحجار والأعمدة قد أعيد استعمالها لبناء هذا المسجد (أنظر شكل ، 176 ، 177 ، 178).

ويقع محراب المسجد ، بشكل تقريبي ، في منتصف الجدار الجنوبي الشرقي . وهو عبارة عن تجويف نصف دائري . ولا ينسجم مع بقية عمارة المسجد . ولقد أستخدم في بنائه الأحجار الجيدة القطع . والشكل المسطح لخلفية المحراب يذكرنا بالمحراب الموجود بمسجد تندميرة . والفارق أنّ محراب مسجد أبي منصور الياس ، يبرز خارج جدار القبلة . ويبلغ عرض محراب مسجد (الكنيسة) حوالي 60 سم . وعمقه حوالي 50 سم (أنظر شكل 179).

ويبدو أنّ المحراب بشكله البسيط ، وتناقضه مع مستوى بناء بقية المسجد ، متفقاً مع أغلب المحاريب بمساجد جبل نفوسة ، التي تخلو من التنميق ، زخرفة أو كتابة . وعلى الرغم من هذه الظاهرة ، فالمحراب في العمارة الإسلامية ، اكتسب أهميته من خلال دلالته على الاتجاه الصحيح للقبلة . وهذا شرط أساسي في صحة الصلاة . ولهذا السبب ، كان في كثير من الأحيان محط عناية الفنانين المسلمين . ونرى هذا الاهتمام في مساجد الجبل في كل من

أبنـاين ، تنـدميرة ، وشـروس . والـراجح أنّ محـراب مـسجد الكنيـسة الأصـلي كـان متطابقاً والمستوى الجيد لبناء المسجد . أمّا المحراب الحـالي فهو نتيجـة لترميم قد لحق بالمسجد في فترة متأخرة .

وممّا يزيد من مستوى هذا التـرجيح ، وجـود أحجـار مـستطيلة جيدة القطـع أمام المحراب . كما وجد غيرها متنـاثراً فـي بعض أنحـاء المسجد . وإذا افترضنـا انتماء هذه الأحجار إلى المحـراب الأصـلي ، فعددها يزيد بكثرة عما يحتاجـه بنـاء المحـراب . الأمـر الـذي يجعلنـا نظـن بـأنّ أرضـية هـذا المبنـى كانـت مغطـاة بهـذه الأحجـار المـصقولة . وهـذا ممّـا يزيـد مـن احتمـال وجـود مبنـى سـابق علـى بنـاء المسجد . وثمة قصة شائعة بين سكان المنطقة، تتعلق بنفر من المغاربة تمكنوا من العثور على كنز بهذا المبنى. ولم يكتشف الأهالي الدمار، الـذي تـم بالمسجد إلاّ فـي اليـوم التـالي. وهـذا مـا يـذكرنا بقـصة المحـراب المجـصص فـي قونيـة (العهد السلجوقي)، الذي تعرض هو الآخر للتدمير من قبل سكان القريـة، بحثـاً عن كنـز خلـف المحـراب. ولـم تكـن النتيجـة إلا تـدمير المحـراب [311]، والعثـور علـى التراب.

ونجد هذه القصة مرتبطـة بـالكثير من المساجد في منطقة تمزدة . و علـى العموم فوضع محراب مسجد الكنيسة ، و الأحجار المتناثرة بقاعة الصلاة ، توحي بأنّ عملاً تدميرياً متعمداً قد جرى بهذا المكان (أنظر شكل 179) . ولازال بعض النـاس يعتقد بـأنّ الكنـز لازال موجـوداً بـالمبنى ، ومـدفوناً بأحـد جـدران المـسجد . و يعزون وجوده لتحوط الأقدمين بإيجاد المال اللازم لإعادة بنائه في حالة التـصدع أو الانـهيار .

وعلـى الـرغم مـن عـدم وجـود الـدليل الأثـري - حتـى الآن - لحـسم هـذا الأمـر ، فإننـا لا نقطـع بعدم وجـود مـا يطلـق عليـه (الـذخائر) فـي المبـاني القديمـة [312]. و يبـدو أنّ ثمـة مـا يمـت إلـى حقيقـة هذه القـصة ، بـشكل أو بـآخر ، و إلاّ لمـا تنـاقلتها الأجيال ، و أصبحت على هذا المستوى من الـشيوع . و يجـب ألاّ ننـسى أنّ المساجد القديمة فـي جبل نفوسـة قد تعرضـت لكثيـر مـن الترميمـات بعد إهمـال دام لسنين طويلة . و نحن إذ نقول بغياب الحفريـات الأثريـة بهذه المنطقـة ، لنـرى هذه

---

[311] المعلومـات الـشفوية زودنـا بهـا كـل مـن أسـتاذ الآثـار و الفنـون الإسـلامية بجامعـة لنـدن الـدكتور جيـزا فيهرفاري، و كذلك الدكتور م . كياني أستاذ الفنون الإسلامية ، و من الممكن الإطلاع على المصدر التالي :
R . Hillenbrand, Oriental Art , Vol , XVIII , 1972. PP . 1 - 14 . See also , Hillenbrand , Kunst des Orient , X/1-2 , 1976 , PP . 49 47.

[312] في بداية السبعينات وجد رجل جرة مليئة بالعملة الفضية ، بينما كـان يحرث الأرض . و هذه العملة تعود إلـى العهـد الحفصي. وهـي محفوظـة بمـصلحة الآثـار، و لكـن لـم يكتـب عنهـا بعـد. و للإطـلاع علـى مثيلتهـا أنظر، النقود العربية في تونس ، تونس 1968 . ص . 148 .

الظاهرة تمثل إشكالية للدراسات المتعمقة بهذه الأنحاء من جبل نفوسة . وما يجب أن نؤكد عليه هنا أنّ مسجد الكنيسة - كما هي مساجد أخرى بهذه المنطقة - تزودنا بما يشير إلى التدمير المتعمد [313] .

ولمسجد (الكنيسة) مدخل واحد، يقع في الجهة الجنوبية الغربية من جدار القبلة. ويبلغ عرضه حوالي 56 سم، و ارتفاعه 1.43 م تقريباً (أنظر شكل 180). وهنا أيضاً كما هو المحراب نلاحظ عدم التلاؤم بين بنائه وبين عمارة المسجد . وتشمل هذه الملاحظة جدار القبلة، الذي تعرض إلى، ما يبدو، إعادة لبنائه بالكامل. ولا يوجد بقاعة الصلاة إلا فتحتين بالجدار الشمالي الشرقي، للضوء والتهوية (أنظر شكل 181) . ويوجد كذلك في الجدار المقابل لحائط القبلة حنية ذات قوس شبه نصف دائري (أنظر شكل 182). ولا يبدو أنّ هذه الحنية ذات وظيفة عملية في المسجد . ومن المستبعد أيضاً أن تكون مدخلاً مسدوداً، ذلك لأنّها في وسط التلة، التي تعلو على سطح المسجد ذاته، ويرجح أنّ هذه الحنية ذات صلة بالمبنى القديم القائم بهذا الموقع قبل بناء المسجد. وهذا ما يعطي لتسمية المبنى من قبل الأهالي بالكنيسة، معنى يشير إلى الأثر الأقدم عهداً .

ويظهر بقاعة الصلاة، على يمين الناظر إلى هذه الحنية المعقودة قبران (أنظر شكل 183). وعلى الرغم من أنّ هذه الظاهرة شائعة بمناطق جبل نفوسة، إلاّ أنّ ما يثير الانتباه هو وضعية القبرين المتعامدين مع جدار القبلة. وهذا ممّا يتناقض مع وضعية القبور الإسلامية المتوازية مع جدار القبلة. وتجنباً للإسهاب، فهذه إشكالية أخرى تضاف إلى الإشكاليات السابقة المتعلقة بهذا المسجد، و حقيقة أصل هذا المبنى. وهذا ما سنأتي عليه في الصفحات التالية.

ويوجد فناء صغير ملحق بالمسجد في الجهة الجنوبية الشرقية. وهو ذو شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ طول الجدار الشمالي الغربي حوالي 5.30 م، و الجدار الجنوبي الغربي 7.25 م تقريباً (أنظر شكل 175). ويقع مدخل هذا الفناء في الجهة الجنوبية الغربية ، قبالة مدخل المسجد. و يقدر عرضه بحوالي 90 سم (أنظر شكل 174). وتظهر الأحجار الرومانية واضحة بهذا المدخل (أنظر شكل 184). كما توجد حجرة صغيرة ملحقة بالمسجد، في الجهة الشمالية الشرقية. ويبلغ طول جدارها الشمالي الغربي حوالي 3.60 م، بينما يبلغ عرض مدخلها حوالي 60 سم (أنظر شكل 175، 185). ووجود الحجرات بمساجد انجبل ظاهرة منتشرة، و لكننا نراها هنا خارج المسجد. ويظن من خلال تقويم طريقة البناء أنّها تعود إلى فترة متأخرة. و يبدو أنّها قد استعملت لإيواء الزوار .

---

[313] أنظر أعلاه ، ص . 102 .

ويقود كل من مدخل المسجد و مدخل الفناء إلى فناء آخر في الجهة الشمالية الشرقية. وهو ذو شكل شبه مستطيل. وتقدر مساحته بحوالي 50 متر مربع . ويوجد بهذا الفناء صهريج أرضي للماء حيث تظهر على فتحته بعض الأحجار الرومانية ، كما هي ماثلة للعيان في سور الفناء (أنظر شكل 186). وهي أكثر ظهوراً في الجزء الجنوبي الغربي. وبالنظر إلى الكيفية، التي بني بها سور الفناء، حيث وضعت الأحجار فوق بعضها البعض بعيداً عن التنسيق ، والربط فيما بينها، يتبين أنّها ترجع إلى تاريخ قريب . كما وجد صهريج آخر للماء إلى الجنوب الغربي من المسجد . وفتحة هذا الصهريج محاطة أيضاً بالأحجار الرومانية الجيدة القطع . ويظهر على حجر منها زخرفة تمثل شكلاً مستطيلاً محتوياً على دائرتين (أنظر شكل 186 ، 187). كما نرى هذه النوعية من الأحجار ملقاة إلى جانب هذا الصهريج ، وحول المسجد بشكل عام (أنظر شكل 188) .

ويبدو أنّ مسجد (الكنيسة) على الرغم من احتوائه على أهم العناصر المعمارية، التي تصنفه في قائمة واحدة، مع بقية المساجد في الجبل. فهو يختلف عنها في بعض الوجوه. فالمخطط الأرضي المستطيل للمسجد، الذي رأيناه بمنطقة الغرب من جبل نفوسة، ينسبه علماء الفن والعمارة، إلى التأثير الأموي. ولقد رأينا أنّ مخطط مسجد الكنيسة يميل إلى الشكل المربع. وهذه الظاهرة لها علاقة بالمساجد الإسلامية الأولى في العراق[314]. ونحن لا نريد أن نتخذ من هذا المثل دليلاً على تأثير العمارة الإسلامية في العراق على منطقة جبل نفوسة، ولكن يصح القول بأنّ تعدد هذا المثل سيجعل منه موضوعاً جديراً بالاهتمام، خاصة وأنّ المعلومات التاريخية تشير إلى علاقة بين المنطقتين منذ القرن الأول الهجري - السابع مسيحي [315].

وكما أوضحنا سابقاً، فوجود قسم مخصص للنساء يعد أحد مميزات المسجد الأباضي بجبل نفوسة. وهذه الظاهرة لا نراها في مسجد (الكنيسة)، على الرغم من وجود الحنية المعقودة بالجدار الشمالي الغربي، التي تطرح هذا الاحتمال. فالحقيقة أنّ المسجد يخلو من أي أثر لوجود حاجز بالمسجد في أي يوم من الأيام .

وثمة فارق آخر هام بين مسجد (الكنيسة) والمساجد التي أشرنا إليها في المنطقة الغربية من جبل نفوسة. ويتمثل في حسن التخطيط وجودة البناء. ولولا وجود الأحجار الرومانية في هذا المسجد، لتمت نسبة معماره إلى مستوى البناء، الذي رأيناه في عمارة منازل ويغو .

(314) كرزويل ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، ص . 193 .

(315) الشماخي ، السير ، ص . 123 - 4 .

ولابد أن يطرح وجود هذه الأحجار الرومانية بكثرة في هذا الموقع العديد من الأسئلة. ولعل أهمها هو ما يتعلق بوجودها الأصلي. ولا يظهر اليوم للعيان ما يدلل على وجود مبنى روماني قديم بهذا الموقع. وكذلك لا تزودنا المعلومات التاريخية بأي إشارة تساعدنا على تبني هذا الافتراض. ولمزيد من إلقاء الضوء على هذه الإشكالية. وجب تتبع النقاط التي أشرنا إليها فيما يتعلق والتأثير المسيحي على هذه المنطقة .

وقد زودتنا المصادر التاريخية بالكثير عن اضطهاد الدولة الرومانية للمسيحيين حتى القرن الرابع مسيحي. وهو الوقت الذي أصبحت فيه الديانة المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية. ولقد سبب هذا الحدث ارتياحاً في الوسط المسيحي في الشمال الأفريقي. ولكنه قد تسبب أيضاً في خلق إشكالية جديدة. وقد تمخضت هذه المسألة عن تضارب الآراء حول وضعية القسيسين، الذين هجروا المسيحية إبان فترة الإضطهاد، أو قاموا بتسليم الكتب الدينية إلى السلطات بغرض إحراقها. ونتيجة للجدل الذي دار حول الموضوع ظهر ما يعرف بالدوناتيين (Donatists) في شمال أفريقيا .

ولقد استقل الدوناتيون بمذهبهم الجديد، الذي أجبرهم على إقامة كنائسهم الخاصة جنباً إلى جنب مع الكنائس الكاثوليكية. وتتحدث المصادر التاريخية عن انتشار الدوناتية بشكل واسع بين القبائل البربرية. ويشمل هذا الأمر أولئك المقيمين بجبل نفوسة. ويبدو أنّ ظهور هذا المذهب الديني لا يعزى فقط لاختلاف الآراء، بل كانت الدوناتية في جوهرها نزوعاً إلى شكل من أشكال الرفض للحكم الروماني. ذلك لأنّ الكاثوليكيين كانوا أنصاراً للرومان [316]. وربما يعزى إلى هذه الظاهرة عدم استجابة أهالي نفوسة لنجدة الروم بأطرابلس إبان الفتح الإسلامي[317]. وما يهمنا - على أية حال - أنّ هذا الماضي المسيحي قد تم رصده بما تركه من تأثيرات على جبل نفوسة ، فاسم الكنيسة - مثلاً - ليس حاصراً على هذا المسجد في منطقة تمزدة، بل أطلق على مساجد عدّة. وهي لازالت تحتفظ بهذا الاسم حتى يومنا هذا. ونحن لا نستبعد صلة هذه المساجد في القديم بمباني الكنائس الأقدم عهداً، بشكل أو بآخر. كما رأينا مساجد أخرى يشار إليها باسم تغليس. وهذه الكلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Ecclesia). وهي تعني الكنيسة. كما وجدت مساجد أخرى ارتبطت باسم الحواريين [318] . والحواريون هم أصحاب النبي

---

[316] هاتيز ، نفس المصدر ، ص . 55 - 7 . أنظر أيضاً ، ليفسكي ، نفس المصدر ، ص . 39 ، 50 . و أبودبوز ، نفس المصدر ، الجزء الأول ، ص . 406 - 9 .

[317] أنظر أعلاه ، الفصل الأول ، ص. 9 .

[318] الشماخي ، السير ، ص . 598 - 600 . ليفسكي ، نفس المصدر ، ص . 56 . و كذلك باسمي ، نفس المصدر ، ص . 426 .

عيسى عليه السلام. وفي هاتين الكلمتين دلالة واضحة على ارتباط هذه المباني بأصول مسيحية.

ونحن نميل إلى القول بأنّ اعتناق أهالي نفوسة للدين الإسلامي تم بشكل تدريجي، بعد الفتح الإسلامي. وإبان هذا التدرج تعايش أتباع الديانتين في سلام ، لما كان يتصف به الدين الإسلامي من تسامح وعدم إكراه للأخر لاعتناق الإسلام. وما يدعم هذا القول وجود بعض العائلات، التي انتسبت إلى أجداد من المسيحيين في القرن الثاني الهجري - الثامن مسيحي - وكذلك وجود بعض الأسماء ذات العلاقة بالدين المسيحي [319] . ولكن لم يلبث أن انتشر الإسلام بشكل واسع وسريع في جميع مناطق جبل نفوسة . و كان ذلك متوافقاً مع تبني المذهب الأباضي . وعلى الرغم من ذلك استمر الوجود المسيحي على نطاق ضيق إلى وقت طويل .

وبناءاً على هذا التوضيح ترجح كفة بناء مسجد (الكنيسة) على أنقاض كنيسة مسيحية. ويمكننا الذهاب إلى أبعد من هذا بالقول أنّ الكنيسة ذاتها لها علاقة ما بمبنى روماني قديم [320] .

ونحن إذ نميل إلى هذا الاحتمال اعتمادا على شواهد أثرية، فالمصادر التاريخية أيضاً تؤكد على أنّ الرومان قد أحكموا سيطرتهم على هذه المنطقة ، لفترة طويلة من الزمن. ونتيجة لما عرفناه عن خصوبة الأرض وصلاحيتها لزراعة أشجار الزيتون، فالراجح أنّ مستوطنات، و لو قليلة، قد أقيمت بهذه المنطقة، إبان الحكم الروماني .

وطالما أننا لم نعثر بموقع مسجد الكنيسة على أي كتابات أو لقيات أثرية أخرى، تساعدنا في تحديد تاريخ بناء هذا المسجد، فسنرجئ هذا الأمر، للإطلاع على بعض الجوانب الأخرى. فالشماخي في إشاراته إلى هذا الموقع لم يربطه بأي أحداث تاريخية[321]. ولكننا نستشف من هذه الإشارات وجود هذا المسجد في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي. ونحن نعلم أنّ الشماخي قد اطّلع على المصادر التاريخية المتوفرة في وقته. وقام بتصنيف هذا المسجد ضمن قائمة المساجد، التي ينظر إليها بعين التقدير و الاحترام من قبل أهالي نفوسة. ولقد جاء ذكر بعض هذه المساجد مرتبطاً بأحداث تاريخية تعود إلى القرن الثاني، والثالث الهجري - الثامن، التاسع مسيحي.

---

(319) الشماخي، السير ، 255 - 6 . هاتيز ، نفس المصدر ، ص . 34 - 40 .

(320) الأعمدة التي وجدت بقاعة الصلاة ، و كذلك حول المسجد ، تتماثل بشكل كبير مع الأعمدة الرومانية .
أنظر :
Libya Antigua , vol . v . 1968 , pl . xl . Fig . a , b, c, d, pl . LI , Fig. b

(321) الشماخي ، السير ، ص . 599 .

ونحن نرى بتوفر هذه المعلومة، إضافة إلى وجود الأحجار الرومانية، والأسلوب ذي المستوى الجيد للبناء. الزعم بأنّ تاريخ هذا المسجد يعود إلى القرن الثاني، الثالث الهجري - الثامن، التاسع مسيحي[322]. ويبقى الاحتمال قائماً بإرجاع تاريخه إلى فترة أقدم.

مسجد أم الطبول :

يقع هذا المسجد على بعد 6 كم، إلى الشمال الشرقي من مسجد الكنيسة. وهو مقام على هضبة صغيرة محاطة بمزارع أشجار الزيتون. و هذا المسجد - كما هي مساجد أخرى بهذه المنطقة - يرى متوحداً و مهجوراً. و هذا ما يجعلنا نعتقد أنّه قد استعمل في فترة متأخرة من قبل الأهالي إبان فترة جني الزيتون والعناية بتقليمه. ولقد رأينا هذه الظاهرة في منطقة المزاب بجنوب الجزائر[323]. ويرى اليوم بقايا لمستوطنة لا تبعد كثيراً عن مسجد أم الطبول. ويلاحظ المرء في هذه المنطقة أمثلة لبقايا هذه المستوطنة، التي تبدو أحجارها متناثرة بهذه المواقع .

وهذه الظاهرة نراها منتشرة بشكل كبير في الجهة الغربية من جبل نفوسة . ولكنها في منطقة تمزده تدلل بنوعية الأحجار المستعملة في البناء و أسلوب تشييدها ، أنّها تعود إلى فترة تاريخية متأخرة . ووجود بعض المباني حول مسجد أم الطبول في الزمن الماضي ليس بمستبعد ، إذ أنّ باستطاعة المرء رؤية بعض الأحجار في منطقة المسجد. وإذا أخذنا في الاعتبار اختلاف تضاريس هذه المنطقة عن المنطقة الغربية من الجبل، فمن المحتمل نتيجة لندرة الأحجار أنّ بقايا المباني المتصدعة حول المسجد ، قد نقلت أحجارها لاستعمالها في تشييد دور القرى الحديثة . وهذا ما رأيناه في قرية ويغو القديمة ، التي نقل الكثير من أحجارها لاستعمالها في بناء المنازل بقرية مرقس الجديدة[324] . وهذا ما يشير إلى أنّ هذه المساجد المنعزلة لم تكن في سابق عهدها على ما هي عليه الآن .

وربما يتساءل المرء عن بقاء أبنية المساجد، واستمرار وجودها عندما يرى ما حلّ بما حولها من تصدع ، أو اندثار بالكامل. والسبب غاية في البساطة. فالأمر عائد إلى البناء الجيد لهذه المساجد، مقارنة بالأبنية الأخرى . وبالإضافة إلى ذلك فالمساجد كأماكن للعبادة تجعل الناس متحمسين من آن إلى آخر، لصيانتها وترميمها .

---

[322] المصدر السابق ، ص . 554 - 5 .

[323] روشي ، نفس المصدر ، ص . 75 .

[324] أنظر أعلاه ، الفصل الرابع ، ص . 92 .

ويعرف مسجد أم الطبول باسم مسجد (تا اسحاق). ورغم أنّ هذا الاسم لا يضيف شيئاً في الجانب التاريخي، إلاّ أنّه يملي علينا إضافته إلى المساجد ذات الخلفيات التاريخية المسيحية [325]، مثل الكنيسة ، تغليس ، والحواريين . وجدير أن نوضح أنّ المصادر التي لدينا لا تتعرض إلى ذكر مسجد أم الطبول . ولذا فالاعتماد الكلي قائم على نتائج الدراسة الميدانية.

ويبدو هذا المسجد بحالة جيدة، رغم تصدع عقود أروقته في الجهة الشمالية الشرقية. وعلى الرغم أيضاً من استعمال الأحجار الجيدة القطع في هذا المبنى، فهو لم يسلم من أعمال الترميم. ومن الممكن رؤية جزء من هذه الأعمال في الدعامة الساندة لجدار القبلة من الخارج (أنظر شكل 189، 190).

ويتكون المسجد من شكل شبه مربع . ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 10 م . بينما يبلغ طول الجدار الشمالي الشرقي 9.10 م تقريباً . أمّا الجدار الشمالي الغربي فيبلغ طوله حوالي 9.85 م ، والجدار الجنوبي الغربي 10.10 م تقريباً ، بينما يبلغ سمك الجدران حوالي 65 سم (أنظر شكل 191) . ويحتوي المسجد على ثلاثة أروقة مغطاة بأقبية برميلية متوازية مع حائط القبلة .

ويرى في وسط المسجد أربعة سواند تنبثق منها الأقواس، التي تدعم سقف المسجد. ويقع المحراب في منتصف جدار القبلة تقريباً . ويبلغ عرضه حوالي 70 سم، وعمقه متر واحد . ويكتنف المحراب من جانبيه، وكذلك أعلاه، شريط من الزخرفة الجصية. والوحدات الزخرفية جميعها تتشكل من عناصر نباتية بحتة. وهي عائدة إلى أعمال الترميم التي لحقت بالمسجد. وأما ما يثير الانتباه هنا فهو الجزء المتصدع من المحراب. فلقد أدّى هذا التصدع إلى إحداث فتحة في تجويف المحراب (أنظر شكل 192). ويبدو أنّ هذا التصدع نتيجة لفعل متعمد. وهذا يذكرنا بمحراب مسجد (الكنيسة) وأحجاره المبعثرة بالمسجد. ويدعم كذلك ما يتردد بين الأهالي من قصص حول الكنوز بهذه الأبنية القديمة[326].

ويظهر على يسار الناظر إلى المحراب، حجران مزخرفان، على جدار القبلة. والزخرفة متطابقة على كل من الحجرين. وتتكون من زهرة متفتحة ذات اثنتي عشر فصاً (أنظر شكل 193). وهي متطابقة تماماً مع ما عثر عليه في أبناين وتندميره[327]. ووضعية هذين الحجرين في الأصل، من المؤكد أن تكون حول المحراب . ووضعهما الحالي عائد إلى الترميمات، التي كانت أيضاً سبباً في وجود الأقواس التي تتقاطع مع جدار القبلة(أنظر شكل 194، 195) وهذا الأسلوب من

---

(325) أنظر أعلاه ، ص . 105- 6 .

(326) أنظر أعلاه ، ص . 102 .

(327) أنظر أعلاه ، الفصل الثالث ، ص . 64 .

الترميم في دعم أسقف المساجد شائع في منطقة جبل نفوسة. ولقد أشرنا سابقاً إلى محاسن و مساوئ أعمال الترميم هذه .

ويقع مدخل المسجد في الجهة الشمالية الشرقية من جدار القبلة . ويبلغ عرضه حوالي 85 سم ، و ارتفاعه حوالي 1.83 (أنظر شكل 190) كما يلاحظ في الجدار المقابل ، وعلى ارتفاع 1.83 م تقريباً ، زخرفة هندسية على شكل قطعة من الجص . وتتكون هذه الزخرفة من عنصر هندسي على شكل معين، وبوسطه دائرة مقسمة إلى أربعة أجزاء بخطين متقاطعين (أنظر شكل 194 ، 196) ويظهر على يسار هذه الوحدة الزخرفية شكل لشبه مستطيل ملتصق بها . وثمة احتمال بأنّ موضوع هذه الزخرفة يرمز إلى مكة المكرمة. وعلى الرغم من نسبة هذه الزخرفة إلى عهد متأخر عن بناء المسجد ، فإننا لم نشهد لها إجمالاً مثلاً آخر في جبل نفوسة ، أما فيما يتعلق بالزخرفة الهندسية والنباتية فهي تقليد لما وجد في أبناين وتندميرة [328] .

ولقد تمّ العثور على حجر آخر مزخرف ، مستقراً على قمة عمود في الرواق الثاني ، وبالتحديد في الجهة الشمالية الشرقية (أنظر شكل 197). وزخرفته التي تتكون من زهرة ذات اثنتي عشر فصاً متطابقة مع مثيلتها الموجودة على جدار القبلة . وهذا ممّا يدعم فكرة أنّ المحراب الأصلي للمسجد كان مكتنفاً بهذه الأحجار المزخرفة [329]. الأمر الذي يعيد إلى الذاكرة مسجد أبناين وزخرفته الرائعة على المحراب .

وهذا ممّا يجعلنا نذهب إلى أنّ بقية الأحجار المزخرفة قد استعملت في أعمال الترميم. أو أنّها نقلت من طرف بعض الناس . وهذا أيضاً ما اكتشفناه في كل من موقعي شروس وويغو [330] . وعلى أية حال فهذان الحجران المزخرفان و المتطابقان مع ما وجد في ابناين [331] وتندميرة ، وشروس ، يشكلان أهمية بالغة في تصنيف هذه الزخرفة ، وإلقاء مزيد من الضوء على تاريخ البناء الأصلي .

ونلاحظ هنا كما هو في بناء مسجد (الكنيسة) أنّ الأحجار الرومانية قد استعملت في البناء الأصلي لمسجد أم الطبول . ويظهر هذا جلياً في أعمدة المسجد، وكذلك في الدعامة السائدة الخارجية لجدار القبلة ، حيث نشاهد أحجاراً

---

[328] إنّ الحجر المستطيل و الرسوم الجصية ، التي مثلت - في اعتقادنا - رمزاً للكعبة المشرفة بمكة ، تذكرنا باللوحات الخزفية ، التي صنعت بأزنيك في تركيا . و هي تعود إلى القرنين السادس و السابع عشر مسيحيين . و هذه الزخرفة بجبل نفوسة يبدو أنها تقليد لما وجد على تلك اللوحات . أنظر ،
Lardmann , Ars Orientalis , Vol . III , 1959 , PP . 192 - 7 .

[329] أنظر أعلاه ، ص . 46 .

[330] أنظر أعلاه ، الفصل الرابع ، ص . 92 .

[331] أنظر الفصل الثالث ، ص . 46 .

تنتمي إلى معصرة زيتون رومانية . وإضافة إلى ذلك وجود تيجان الأعمدة ذات الطابع الروماني (أنظر شكل ، 198 ، 199) .

ويبدو أنّ أعمال الترميم ، التي أجريت على هذا المسجد ، قد تسببت في خلق جدار فاصل بقاعة الصلاة . وإذا أخذنا في الاعتبار تلك الفتحة الصغيرة الموجودة في الركن الشمالي الغربي للمسجد ، تأكد لدينا تخصيص الرواق الأخير لصلاة النساء . وهذا ما رأيناه في شروس و في غيرها من المواقع القديمة [332] . واعتبرنا هذه الظاهرة إحدى مكونات المسجد الأباضي . ولكننا في مسجد الكنيسة لم نلحظ وجود هذه الظاهرة . الأمر الذي جعلنا نعيد النظر في بداية نشأتها . ونميل إلى القول بأنّها لم تكن موجودة أصلاً في المساجد القديمة ، ولكنها طرأت عليها في فترة لاحقة . ومن الممكن أن تكون لصيقة بتطور و تقنين المذهب الأباضي في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي .

وما يثير الانتباه في هذا المسجد ، سقوط طبقة من (المونة) الطينية ، التي تغطي الجدار في الجهة الجنوبية الغربية . و هذا ما تسبب في انكشاف طبقة من قوالب الأجر في بناء الحائط (أنظر شكل 200) ولقد تبين بعد إجراء كشف بسيط ، أنّ طبقة الأجر هذه تشكل الجزء الداخلي من الجدار ، وأمّا الخارجي منه فقد استخدم الحجر في بنائه . وهذه هي المرة الأولى ، التي نرى فيها استعمال قوالب الأجر في جبل نفوسة . ومن المؤكد حتى الآن أنّ هذه الظاهرة غائبة تماماً عن المنطقة الغربية من الجبل . ووجودها في مسجد أم الطبول يجعلنا قادرين على إضافة عنصر جديد لمواد البناء في جبل نفوسة . وعلى الرغم من العثور على بقايا آثار أفران لصناعة الفخار ، فإننا لا نستطيع الجزم بتصنيع قوالب الأجر بمنطقة الجبل . ويبقى الاحتمال قائماً بجلبها من أماكن أخرى ، خاصة إذا عرفنا أنّ صلة المناطق الشمالية بالجبل كانت متصلة ومتواصلة . و من المعروف أنّ قوالب الأجر قد استعملت في أبنية تلك المناطق بقدر كبير .

ونحن إذ نشير إلى هذه العلاقة ، لا نطرح أساساً صناعتها بقدر ضئيل في جبل نفوسة. فوجود الأفران الخاصة بتصنيع الفخار [333] ، يجعل الاحتمال قائماً بتصنيع الأجر، خاصة في منطقة تمزدة ، التي يندر فيها الحجر ، مقارنة بالمناطق الأخرى من جبل نفوسة .

و ممّا يدعم هذا الاحتمال نوعية الطين المستخدم في قوالب الأجر ، التي وجدت بمسجد أم الطبول . وعلى العموم فصناعة الأجر ، واستخدامه في المباني في هذه المنطقة سيبقى موضوعاً مفتوحاً للبحث والاستقصاء .

---

[332] أنظر الفصل الرابع ، ص . 79 .

[333] أنظر الفصل الثالث ، ص . 57 .

ويبدو واضحاً أنّ عمارة مسجد أم الطبول تتفق مع أهم ما يميز طابع المسجد القديم في جبل نفوسة . و بالإضافة إلى ذلك يبقى شكله المربع ، كما هو الحال بمسجد الكنيسة ، مثلاً آخر لاستعارة تخطيط المسجد العراقي في القرون الأولى .

ويبدو من الطبيعي ، أمام غياب الدليل الأثري التاريخي ، أن نلجأ إلى ما لدينا من شواهد ، للوصول إلى تحديد تاريخ البناء الأصلي لمسجد أم الطبول . فالواقع أنّ إطلاق اسم (تا إسحاق) يشير بشكل أو بآخر إلى التأثير المسيحي المتعلق بأصل هذا المبنى . كما أنّ الأحجار الرومانية البادية للعيان ، والتي تذكرنا بمسجد الكنيسة ، تزيد من احتمال وجود مبنى سابق لمسجد أم الطبول . ولا يستبعد أن يكون هذا المبنى كنيسة مسيحية ، استخدم في بنائها هذه الأحجار الرومانية . ويحتمل أنّها قد تحولت إلى مسجد إبان القرن الثاني الهجري - الثامن مسيحي . وهي الفترة التي انتشر فيها الإسلام بمنطقة جبل نفوسة. وأمّا إذا ركزنا على مواضيع الزخرفة بمسجد أم الطبول فسيكون الأمر أكثر وضوحاً . فالمستوى الراقي لهذه الزخرفة و تطابقها مع ما وجد في كل من شروس و أبناين و تندميرة[334]. يجعلنا أكثر اطمئناناً لتحديد تاريخ ولو تقريبي لمسجد أم الطبول . فالمساجد المذكورة في المواقع الآنفة الذكر، كانت قائمة في القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي . و لذا فمسجد أم الطبول كان موجوداً إبان هذا التاريخ .

مسجد أبي كار :

يقع هذا المسجد على بعد 3 كم . إلى الشمال الشرقي، من مسجد (الكنيسة). وكما هو الحال بالنسبة إلى مسجد أم الطبول، ومساجد أخرى في هذه المنطقة، فالمعلومات التاريخية لا تشير إلى أي منها . و أهالي المنطقة أنفسهم لا يعرفون شيئاً عن مسجد أبي كار. ولا يملكون إلا عبارة واحدة تجعل من هذا المسجد مكاناً مقصوداً للتبرك و الزيارة .

ولقد بني المسجد على هضبة صغيرة تطل على حقول أشجار الزيتون، من جميع الاتجاهات . و هو كما هي مساجد أخرى معزول عن الناس و الأبنية (أنظر شكل 201) والنظر إلى هذا المسجد ينبئنا من الوهلة الأولى عن تعرضه لعملية ترميم كبيرة . ويلاحظ هذا الأمر بوضوح في جدار القبلة المحتوي على الأحجار الرومانية (أنظر شكل 202) . وتظهر على قطعة من الأحجار، الموجودة في الركن الجنوبي الغربي ، خارج المسجد ، رسوم زخرفية . و يبلغ طول هذا الحجر 39 سم ، وعرضه حوالي 29 سم، وسمكه 8 سم تقريباً .

[334] أنظر أعلاه ، ص . 64 - 5- 6 .

وتمثل الزخرفة رجل يحرث الأرض ، و جمل يجر المحراث . ويتقدمه رجل أخر يبذر الحبوب (أنظر شكل 203) .
وهذه الزخرفة مطابقة لمثيلاتها الموجودة بمتحف السراي الحمراء بأطرابلس . وتحتوي على نقوش تمثل الحياة الزراعية الريفية . و تنسب هذه الأحجار إلى مدينة (قرزة) الأثرية ، التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث - الرابع مسيحي [335] . و لذا فمن المحتمل أن يكون حجر أبو كار هذا قطعة من الأحجار المستعملة في بناء ضريح روماني .
ويتكون مسجد أبي كار من شكل شبه مستطيل . و يبلغ طول جداره الجنوبي الشرقي حوالي 7 م ، و الجدار الشمالي الغربي حوالي 4.15 م ، بينما يبلغ سمك الجدران 70 سم تقريباً (أنظر شكل 204) .
وتتكون قاعة الصلاة من رواقين يغطيهما قبوان برميليان ، متوازيان مع جدار القبلة. ويستند القبوان على دعامة بوسط المسجد ، تعلوها ثلاثة عقود . ويدعم هذه العقود بائكتان وجزء من عمود ، ملتصقة بالجدران ، ماعدا الجهة الجنوبية الغربية من المسجد (أنظر شكل 202) ويقع مدخل المسجد في الجهة الجنوبية الغربية من جدار القبلة . ويليه إلى الداخل ممر صغير يبلغ طوله 1.50 م، وعرضه حوالي 75 سم . وهذا المدخل يذكرنا بمدخل مسجد الكنيسة [336] .
وتوجد بقايا لأثر جدار أمام المسجد ، باتجاه الجهة الشمالية الغربية ، على بعد حوالي 2.50 م . ويمتد هذا الجدار باتجاه الجنوب الغربي . و يبلغ طوله حوالي 10.25م . (أنظر شكل 206) . والأمر المحير في هذا المسجد هو عدم وجود محراب ، أو ما يدل على اتجاه القبلة . ولكن بالنظر إلى بقايا آثار هذا الحائط أمام المسجد الحالي ، لا يستبعد المرء وجود رواق ثالث متصدع . ويقودنا هذا الاحتمال إلى التفكير في وجود حائط آخر يمتد من الجهة الجنوبية الغربية إلى الجهة الشمالية الشرقية . وللتأكد من هذا الاحتمال تعين علينا إجراء حفرية صغيرة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد ، إلى جانب صهريج الماء الأرضي .
ولقد كانت النتيجة تأكيد هذا الاحتمال ، حيث عثر على بقايا جدار يبلغ طوله 1.75م ، ملتصقاً بأساسات الجدار الجنوبي الغربي للمسجد (أنظر شكل 207) ولذا فقد أدّت هذه الحفرية المتواضعة إلى التأكد من أنّ مخطط

---

[335] هاينز ، نفس المصدر ، ص . 53 - 7 .
[336] أنظر أعلاه ، ص . 103 .

المسجد الأرضي يميل إلى الشكل المربع ، كما هو الحال بمسجدي الكنيسة وأم الطبول . وأصبح الأمر ميسراً لتعيين موضع المحراب . ومن المعروف أنّ المحراب في الأغلب الأعم يتوسط جدار القبلة .

ولقد قاد هذا الكشف أيضاً إلى التركيز على المدخل الحالي للمسجد ، الذي أثار نوعاً من التساؤل بوجود ممر يعقبه . ولذا استمر العمل في تعقب بقايا أساسات في المساحة الصغيرة ، التي تقع أمام المدخل . وهنا أيضاً تمّ الكشف عن بقايا أساسات لشكل نصف دائري (أنظر شكل 208) ولذا أصبح واضحاً أنّ بقايا هذا الأثر المنحني ، كان يشكل حنية المحراب الأصلي للمسجد (أنظر شكل 204) .

ولقد ساعدتنا بعض الشواهد في تحديد تاريخ تقريبي للمسجدين السابقين . ولكن الأمر بالنسبة لمسجد أبى كار يبدو مختلفاً . ولقد أشرنا إلى حجم أعمال الترميم التي أجريت على هذا المسجد . وربما يعود هذا إلى عمل متعمد أدّى إلى تصدع المسجد بشكل كبير . ولا يجب أن يغيب عن أذهاننا رواية البحث عن الكنوز . وعلى الرغم من غياب كثير من الأدلة التي تساعدنا في تحديد تاريخ هذا المسجد ، فاعتمادنا على ما لدينا من شواهد ، ربما يساعد في هذا المجال . ونحن إذا أخذنا في الاعتبار تخطيط المسجد المائل إلى الشكل المربع ، ووجود الأحجار الرومانية ، رأينا بوضوح التماثل القائم بين أبى كار وبين المسجدين السابقين . ولذا فينطبق عليه ما اقترحناه بشأنهما .

وبمراجعة ما تعرض إليه البحث بخصوص بعض المساجد بوسط جبل نفوسة، يتبين لنا أنّها قد حافظت على أهم مكونات المسجد الأباضي، التي رأيناها في مساجد المنطقة الغربية من الجبل، و العائدة إلى القرون الإسلامية الأولى. ولعل من أبرزها غياب المنبر والمئذنة والنقص الشديد فيما يتعلق والمادة الزخرفية والكتابية.

وإضافة إلى ذلك ، أظهرت المساجد في المنطقة الوسطى ، على الرغم من عمليات الترميم العشوائية ، مظهر أشد وضوحاً للتأثيرات المسيحية و الرومانية والمحلية . فلازالت أسماء المساجد وبعض عناصرها المعمارية تقف شاهداً على ماضي هذه المنطقة . وتشير إلى المنعطف التاريخي الذي طرأ عليها بانتشار الإسلام بين ربوعها . الأمر الذي جعلنا نشهد التأثيرات الرومانية والمسيحية والإسلامية مجتمعة في مبنى واحد . ولقد رأينا أنّ الأخيرة قد استوعبت الكل ، وطبعته بالطابع الإسلامي ، الذي يركز على جوهر المكان بالدرجة الأولى. ولعل تمسك الأباضيين الشديد بهذا الجوهر ، دعاهم بحماس إلى توظيف هذا المظهر الجديد في كل مكان لا يمت إلى الإسلام بصلة . فعمدوا إلى إحالة الكنائس

القديمة إلى مساجد ، أو البناء على أنقاضها . كما استعملوا أحجار المباني الرومانية المتصدعة ، وربما القائمة ، في المباني التي تخدم أهداف هذا التوجه الجديد . ويظهر أنّ هذه الطفرة كانت على أشدها إبان القرن الثاني الهجري - الثامن مسيحي .

الفصل السادس

الكتابات الأثرية

الفصل السادس
الكتابات الأثرية

أتينا على بعض الكتابات الأثرية، التي عثر عليها ببعض المساجد السالفة الذكر. ولقد أرجأنا ما يتعلق بتقويمها و التعليق عليها ، لتكون مركز الاهتمام في هذا الفصل. وعلى الرغم من قلة عددها، إلاّ أنها تمثل جانباً مهماً في إلقاء الضوء على ماضي هذه المنطقة. فهي من جهة تساهم في تحديد التاريخ التقريبي للمباني ذات العلاقة، ومن جهة أخرى تبرز وجهاً مهماً من أوجه الفن الإسلامي بجبل نفوسة .

وإنّها لحقيقة معروفة أنّ الخط و الكتابة العربية ، وفقاً لما وجد من كتابات نبطية، بدأ أصلاً من منطقة الأنبار والحيرة . وكان دور الحجاز المتميز يتمحور حول تطوير الكتابة العربية [337] . ولقد شمل هذا التطور نوعين من الخط العربي نسب أحدهما إلى المدينة ، والآخر إلى مكة [338] . وفي سنة 17 هـ - 638 م . أسست مدينة الكوفة في العراق ، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب . وكان موقعها لا يبعد كثيراً عن مدينة الحيرة .

ولقد جلب العرب القادمون من المدينة نمط أسلوبهم في الخط إلى الكوفة . وفي المدينة الأخيرة سجل الخط نقلة متميزة و تطوراً ملحوظاً باتجاه الدقة والإتقان . وتم تعريفه في هذه المرحلة بالخط الكوفي اليابس ، تمييزاً له عن الخط الكوفي المدور أو المبسوط . وبكلمات أخرى كان هو نفسه الخط المشار إليه سابقاً ، الذي عرف في منطقة شمال الحجاز . وكان الفارق أنّ الخط الكوفي كان أكثر تطوراً ، بحيث أمكن تمييزه عن الخطين الموجودين بمنطقة الحجاز .

ولقد كان يعيش بين العرب القاطنين بمدينة الكوفة مجموعة من (السريان) ، الذين جاءوا إليها من مدينة الحيرة . والراجح أنّ الفنان المسلم ، بحكم هذا التجاور ، قد اطّلع على الخط السرياني . ذلك الخط الذي تميزت حروفه وحناياه القائمة بتشكلها من شرطات قصيرة .

---

(337) أنظر صلاح الدين المنجد ، Etudes de paleographie Arabe , Beirut , 1972 , pp . 12.14.19 .

أنظر أيضاً ، Aida Arif , Arabic Labidary Kufic in Africa , Amman , 1966 , p. 6 . cf . N . Abbot The rise of noft Arabic script , Chicago , 1947 , p . 6 .

(338) أنظر ، نديم محمد بن إسحاق ، كتاب الفهرست ، القاهرة ، 1905 ، ص . 6 – 7 . و أنظر أيضاً المنجد ، نفس المصدر ، ص . 23 .

وكانت قد ظهرت فيما بعد في الخط الحجازي [339] . ونتيجة للتماثل بين الحجاز والكوفة في النواحي السياسية والثقافية والعسكرية ، كان أثر الحجاز ماثلاً في تطور الخط الكوفي ، الذي انتشر في أصقاع العالم الإسلامي . و لا ننسى أنّ الكوفة كانت المركز الإداري لجميع المناطق المفتوحة ببلاد فارس [340] .

وإذا ما رجعنا إلى القلقشندي في هذه المسألة ، وجدناه يرجع أنواع الخط الكوفي إلى مصدرين رئيسيين . ويحددهما بالخط المكور والخط المبسوط . ويتميز الخط الأول بتدويراته وعرقاته المنحنية إلى أسفل من مستوى الكتابة . وهو الخط الذي عرف بالرقعة والثلث . والآخر عرف بالمحقق [341] . وهو يفتقر إلى المنحنيات التي تميز الخط الأول .

وهذا القول لا يحصر الخط الكوفي بذلك النوع ذي الزوايا القائمة ، ولكنه يضم إليه الخط ذي الإلتواءات المرنة . وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّ كلا الخطين قد تطورا أصلاً من الخط النبطي . ولقد أستعمل أهل الحجاز كل من الخطين في الكتابة . ولذلك فإنّ مصطلح (الخط الكوفي) يجب ألاّ يفهم بأنّه الخط المتميز بزوايا الحروف القائمة . وهذه الحقيقة ترسخت بالعثور على كتابة منحوتة على الحجر ، يرجع تاريخها إلى العصر الأموي . ويجب أن لا يفهم من خلال هذا السرد أنّ الخط الكوفي شكل أرضية ، أو مرحلة من مراحل ظهور خط النسخ . فمن المحتمل جداً أن يكونا متعاصرين ، مع تأثر كل منهما بالآخر ، إبان ما لحق بكل منهما من تطور .

وما يلاحظ هنا أنّ الاستعمال الواسع لخط النسخ كان في إطار كتابة المخطوطات ، بينما الخط الكوفي بطبيعته ملائم للكتابة على الحجر . و لذا كان أكثر ظهوراً على شواهد القبور ، وعلامات الطريق و على العمائر بمختلف أنواعها . وكان ، على أية حال ، محبباً للفنان المسلم ، الذي استعمله على أوسع نطاق لقرون طويلة [342] .

---

(339) أنظر خالد الجنابي ، تخطيط الكوفة ، بغداد ، 1967 ، ص . 26 . أنظر أيضاً أبوت ، نفس المصدر ، ص . 17 . أنظر أيضاً عابدة عريف ، نفس المصدر ، ص . 11 – 13 . و القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، صبح الأعشي في صناعة الأنشا ، القاهرة، 1913 ، المجلد الثالث ، ص . 12 . أنظر أيضاً ، حاجي خليفة ، كشف الظنون ، القاهرة ، 1885 ، المجلد الثاني ، ص . 355 . و أنظر ، البلاذري ، فتوح ، المجلد الأول ، ص . 471.

(340) أنظر ، المنجد ، نفس المصدر ، ص . 78 .

(341) القلقشندي ، نفس المصدر ، المجلد الثالث ، ص . 15 .

(342) المنجد ، نفس المصدر ، ص . 114 . و عايدة عريف ، نفس المصدر ، ص . 9 ، 10 . و قارن ، القلقشندي ، نفس المصدر ، المجلد الثالث ، ص .15 . و أنظر أيضاً ، أبوت ، نفس المصدر ، ص . 16 .

ولا شك أنّ محدودية ظهور الرسوم الآدمية، بل انعدامها في القرون الإسلامية الأولى ، أتاحت للفنان المسلم فرصة للإبداع في مجال الخط الكوفي المنفذ على مسطحات المباني المعمارية . الأمر الذي أدى إلى ابتداع أنواع من الخط الكوفي ، في مجال تعدد الأساليب . ولقد تطورت هذه الظاهرة لتبلغ ذروة الإتقان في القرنين الخامس - السادس الهجريين - الحادي عشر و الثاني عشر مسيحيين . وبذلك أمكن للمرء أن يقول ، بشيء من التحوط ، أنّ الخط الكوفي أضحى عاملاً مهماً ومكوناً رئيساً في وحدة الفن الإسلامي . وهذه الظاهرة يمكن مشاهدتها في كل بقعة حلّ بها المسلمون [343] .

ويبدو أنّ هذه الأنواع من أساليب الخط الكوفي ، خاصة الكوفي المورق والمزهر ، وفرت مجالاً واسعاً للمناقشات و التحليل . فقرومان (Grohman) مثلاً [344] ، يقسم الخط إلى ثمانية أقسام . ويعددها كالتالي : الخط الكوفي البدائي البسيط ، الكوفي ذو النهايات المزينة ، الكوفي المورق ، الكوفي المزهر ، الكوفي المطرز أو المتداخل ، الكوفي المؤطر ، الكوفي المعماري ، و الكوفي المستطيل .

ويظن أنّ الخط الكوفي المزهر ، الذي أعجب به (قرومان) أصبح معروفاً لدى الباحثين عن طريق (Chardin) في الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري - التاسع عشر مسيحي . ولقد كان هذا الأمر مرتبط بالعثور على كتابتين كوفيتين في إيران يرجع تاريخهما إلى سنة 348 هـ - 959 م ، وسنة 392 هـ - 1004 م [345] . ولقد ميز (قرومان) الكوفي المورق بالزخرفة الورقية لأطراف الحروف ، مع ظهور شق واحد للورقة النخلية ، أو الأوراق المائلة . وكذلك تزيين نهايات أطراف الأحرف ، التي تمتد أحياناً لتصل بعضها بالبعض الآخر .

وأمّا فيما يتعلق بالخط الكوفي المزهر ، فيتميز بظهور العناصر الممثلة للأزهار، إضافة إلى احتفاظه بمواصفات الخط الكوفي المورق ، ولذا كان مصطلح (الأرابيسك) معبر عن الزخرفة التي صاحبت الخط الكوفي المزهر[346].

---

(343) أنظر ، G.Marcais , Manuel d'art Musulman , Paris . 1927.p-71 . S.Flury , Une Formule Enigraphique de la Ceramique Cerchaique de l' islam , paris . 1927 . p 253 . Reprodueed by Grohmann in A . O , VOL . II , P . 184 .

(344) Grohamann , The Origin and early development of floriated Kufic , A-O , VOL . II , 1957 p . 183 . cf . Flury Ornamentol Kufic inscriptions on pottery in survey of persian Art . p – 1743.

(345) عايدة عريف ، نفس المصدر ، ص . 24 . و قارن ، Chardin , Voyage en Perse , Amsterdam . 1711 , VOL . III . P . 118 .

(346) قرومان ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، ص . 183 . و قارن ، Flury , Survey . p . 174.

ولقد كان ج. مارسي (Marcais) ومارسي (W.Marcais) أول من تناول مسألة الخط الكوفي المورق . وقد توصلا إلى أنّ الخط الكوفي اليابس ظهر لأول مرة في تونس سنة 341هـ - 844م . ثم انتقل إلى مصر فيما بعد. كما يضيفان بأنّ الكتابات التونسية الكوفية عادةً تتميز بشكلها المتقن الجذاب. ولكن المزهر أكثر جمالاً[347].

ولم ينقض كثير من الوقت حتى ظهرت نظرية أخرى، بعد الكشف عن شاهد قبر بسمرقند، المؤرخ بسنة 230هـ - 844م[348]. ولقد أدّت هذه النظرية إلى الاعتقاد بأنّ الخط الكوفي المزهر جاء إلى مصر من الشرق. ولكن كاراباك (J.Karaback) وهرزلد (Herzeld) عارضاً هذه النظرية بقولهما أنّ حجر سمرقند كان مجرد نسخة لأصل يحمل تاريخ سنة 230هـ - 844م، وأنّ الكتابة متطابقة مع ما وجد على شاهد قبر آخر، يعود تاريخه إلى سنة 541هـ - 1146م[349]. وهو ما كان مثار اهتمام و كتابة من قبل (Hartnan) هارتمان .

والحقيقة أنّه عند مقارنة شاهد قبر سمرقند بمثيله الذي ينسب إلى القيروان ، يتجلى لنا ما ذهب إليه كل من كارباك وهرزلد . فالكتابة على شاهد سمرقند أقرب إلى النسخ منه إلى الخط الكوفي .

ويعتقد (قرومان) أنّ أهم الخطوات ، التي وصلت بالخط الكوفي المزهر إلى مستوى عال من الجودة ، قد تمت بمصر . ويدعم هذا الرأي بمسجد الحاكم ، الذي يعود تاريخه إلى سنة 393هـ - 1003م . وهذا الأمر لا ينفي إدخال تحسينات جديدة في البلدان المجاورة ، مثل فلسطين ، و كذلك في منطقة الحجاز [350] . أمّا أحسن الأمثلة عليه فتمثل في الكتابة الموجودة على باب تونس بالقيروان ، و الذي يعود تاريخه إلى سنة 437هـ - 1045م[351].

وإنّ الشواهد تجعلنا نميل إلى ما ذهب إليه (قرومان) فيما يتعلق و الدور المصري في تطوير الخط الكوفي المزهر . وفي ذات الوقت لا نختلف مع آراء عايدة عارف التي تقول بأنّ العرب فتحوا بلاد ما بين النهرين، إيران، وسوريا، ومصر ، وشمال أفريقيا في وقت واحد، و لذا فهي قد عزت هذا التطور إلى التأثر بالأسلوب الفني الفارسي و البزنطي والهيلينتي والقبطي. و هو ما كان سائداً بهذه

---

(347) أنظر ، W. and G. Marcais , de monuments arabes de Tiemcen , paris . 1903 , pp . 87,88 . Grohmann , A-O , VOL .II . P . 184 .

(348) قرومان ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، لوحة (1) ، شكل (1) ، أنظر أيضاً ، عاية عريف ، نفس المصدر ، ص 26 ، 27 .

(349) قرومان ، الفنون الشرقية ، المجلد الثاني ، ص . 185 .

(350) المصدر السابق ، ص . 206 . أنظر أيضاً ، E.Kunnel , Islamiche Schriftkunst , Paris . 1942 - p . 14 .

(351) قرومان ، الفنون الشرقية ، المجلد الثاني ، ص . 209 . شكل (23) .

البلدان . وهو أيضاً ما نرى تأثيراً له في الخط الكوفي . وتضيف أنّ الخط الكوفي قد تطور في كل من البلاد المذكورة في عزلة تامة تقريباً . ولم يكن التأثير فيما بينها إلاّ ضئيلاً جداً . ولا يمكن أيضاً نسبة هذا التطور ، فيما يتعلق والمكونات الرئيسية للخط الكوفي ، إلى فنان بعينه ، أو إلى جيل بتعيينه ، أو إلى فترة قصيرة من الزمن ، أو إلى بلد بالتحديد [352] .

إنّ الغرض من هذا السرد المتعلق بالخط الكوفي و أساليبه ، هو تحديد الإطار ، الذي سنرجع إليه في تصنيف الكتابات الكوفية ، التي عثر عليها بمنطقة جبل نفوسة . ونأمل من خلال المناقشة تسليط بعض الضوء أولاً ، على ما يتعلق بهذا الجانب الفني ، وثانياً على التاريخ الغامض للمباني التي وجدت بها هذه الكتابات . ونأمل أن ينتج هذا التوجه ما يدعم الآراء التي حررناها في الفصول السابقة ، وصولاً إلى معرفة أكبر بماضي منطقة جبل نفوسة ، اعتماداً على الأدلة التاريخية الأثرية .

ولقد تبنينا عند مناقشتنا لبعض المباني الأثرية الإسلامية _ نسقاً يتمشى والمعطيات الجغرافية لهذه المنطقة ، تيسيراً للقارئ ، وتوضيحاً أفضل لرصد المواقع الأثرية ذات العلاقة.أمّا ما يتعلق بهذا الفصل ،فلقد رأينا التطرق إلى الكتابات الأثرية وفقاً لأهميتها وتسلسلها الزمني.

كتابات مسجد شروس :

1 – وجدت هذه الكتابة على ثلاثة قطع من الحجر ، بأعلى العقد الموجود بالجدار الفاصل . ويبلغ مقاسها التقريبي 28 × 32 سم (أنظر شكل 209) . و يحتوي الحجر ، الذي على يمين الناظر ، على خمسة أسطر من الكتابة . وتقرأ على النحو التالي :

" (أشهد) أ (ن) لاإله إلا الله و أن محمد (ا) عبد (ه)ورسوله وما جاء به حق "

وتشكل الأسطر الأربعة الأولى كلمتي الشهادة . و هذه العبارة ، إضافة إلى ظهورها بالعمائر الدينية ، شاع نقشها على العملة في القرون الأولى للإسلام . وأما ما جاء في السطر الخامس ، فهو يشير إلى كتاب الله تعالى ، القرآن الكريم . وتتضمن العبارة الإشارة إلى سنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وسنته ما صح عنه من قول وعمل وتقرير . واتفق أهل العلم ، اعتماداً على كثير من الآيات القرآنية ، على أنّ سنته واجبة الإتباع .

ويحتوي الحجر الأوسط على أربعة أسطر . وتقرأ :

---

[352] عايدة عريف ، نفس المصدر ، ص . 28 – 9 .

" ما (شاء) الله قضا و (.....) من الله قسم و لا (حول)ولا قوة إلا بالله "

ويلاحظ هنا أنّ الحجر قد تعرض لبعض التلف ، بحيث أصبح من الصعوبة قراءة الكلمات . والعبارة كلها اقتباس غير كامل للقول الحكيم المأثور : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . وهو جزء من حديث لرسول الله ، صلى الله عليه و سلم . والكتابة بشكلها الحالي تطرح أسئلة بخصوص فقه المؤلف و لمنفذ لهذه العبارة وإمكاناتهما اللغوية . والعبارة بشكلها المقتبس الصحيح رأيناها بالجامع الكبير بتونس [353] . كما وجدت على عملة بني زيان الذهبية في تلمسان بالجزائر [354] .

وأمّا بالنسبة للكتابة على اليسار ، فتقرأ :

" و قالو (ا) الحمد لله الذي صدقنا وعده و أو (ر) ثنا الأرض نتبوأ من الجنّة "

(سورة الزمر الآية 71)

ظاهر معنى الآية الكريمة فرح المؤمنين في الحياة الآخرة بما منّ الله عليهم من النعم ، بحيث أبدلهم ، بالحياة الدنيا الجنّة ، التي تعجز الكلمات والأفكار والتصورات عن وصفها . ولكننا نستشف من ظهورها في شروس رسالة مبطنة وموجهة لأولئك الذين لم يعتنقوا الدين الإسلامي . وسيأتي في الصفحات التالية ما يدعم هذا الرأي .

هذه الكتابة الأولى بإمكاننا تصنيفها ضمن أسلوب الخط الكوفي البسيط . وهي تتماثل مع ما وجد على شاهد قبر ، محفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة . ويحمل رقم 2721 / 377. ويرجع تاريخه إلى سنة 272هـ _ 880م [355] . ويظهر التماثل الكبير في كتابة الحروف : هـ ، ج ، خ ، د ، ر ، و ، م، و كلمة الله.

2 – نرى أيضاً أسفل الكتابة رقم (1) هذه الكتابة بالجدار الفاصل ، على واجهة عقد صغير ، مشيد من الأحجار جيدة القطع . و تبلغ قاعدة الحجر ، الذي يشكل مفتاح العقد حوالي 32 سم ، و ارتفاعه حوالي 62 سم. وتظهر عليه وحدة زخرفية ، تتكون من زهرةمفصصة ، يحيطها عدد من الأقراص الصغيرة . كما يكتنفها على الجانبين إطار دائري . وتتأطر كامل الوحدة الزخرفية بمحيط من العقود و الحبيبات (أنظر شكل 210) و تبدو الكتابة الكوفية منحوتة في ،على

---

(353) أنظر ، B.Roy and p.poinssot , Inscriptions arabes de Kairouan , Paris , 1950 , pp . 12 , 47 .

(354) H.Hazard , The Numisatic history of late medieral North Africa , New york . 1952 . p 184

(355) M.Gaston wiet , Gatalogue due Musee Arabe Steles Funeraires , Cairo , 1936 . vol . IV .pl . 1 no . 1201 .

الحجر ، الذي يكون مفتاح العقد . و يلاحظ أنّ الكلمة الأخيرة في كل من السطر الأول و الثاني قد تعرضت للتلف . و هذه الكتابة تتكون من ثلاثة أسطر . وتقرأ على النحو التالي :

" (قولوا) آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل (و إسحاق) ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من (ربهم) لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (سورة البقرة الآية 136) .

ويتضح من معاني هذه الآية الكريمة توضيح عقيدة المسلمين الإيمانية ، فيما يتعلق بالرسل و الأنبياء والرسالات السماوية . و نفهم أيضاً من خلال وجودها بشروس إشارة إلى الموقف الفكري و العقدي للمسلمين ، الذين يتعايشون في مجتمع مع الآخرين ، الذين يعتنقون ديانة مخالفة . ويطرحون في الوسط الاجتماعي ما يشكل قضية فكرية و عقدية .

وأمّا فيما يتعلق بأسلوب الخط في هذه الكتابة ، فهو يخضع لمصطلح ، الخط الكوفي المعماري ، الذي انتشر إبان القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي ، على وفي العمائر الإسلامية .

ويمكن مقارنة كتابة شروس هذه بكتابة وجدت بمقياس الروضة لنهر النيل بمصر . والأخيرة يعود تاريخها إلى سنة 247هـ - 861م [356] . ويتبين للوهلة الأولى قدر التماثل بينها و بين الكتابة ، التي عثر عليها بمسجد (الثلاثة بيبان) بالقيروان [357] . و كتابة القيروان هذه يعود تاريخها إلى سنة 252هـ - 866م .. وهذا التماثل يصل إلى الحدّ ، الذي يصعب فيه تبين الفارق ، إلاّ لذوي الاختصاص في هذا المجال .

وحالة مقارنة الكتابتين بكتابة شروس يتضح بجلاء مقدار التماثل في أسلوب الخط الكوفي ، الذي يشكل القاسم المشترك بينها جميعاً . وهذا ما يجعلنا نقرر باطمئنان أنّ تاريخ كتابة شروس يعود إلى المنتصف الأخير من القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي .

3 – وجدت هذه الكتابة على الجدار ، بالرواق الأوسط للمسجد . وهي لا تبعد عن الكتابة السابقة إلا بأمتار قليلة ، إلى جهة الشمال الشرقي منها . ولقد نحتت هذه الكتابة على حجر يبلغ مقاسه التقريبي حوالي 46 × 36 سم .. و يرى على يمين الكتابة زخرفة تمثل أشكالاً لعقود تعريقات نباتية خالية من الأوراق .

وعلى الرغم من أنّ الجزء العلوي لهذا الحجر قد تعرض للتلف ، فإنّه لحسن الحظ لم يصل تأثيره إلى الكتابة ذاتها . وثمة أيضاً إطار مزخرف يحيط بهذه

---

[356] كرزويل ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، اللوحتين ، 80 ، 81 .

[357] المصدر السابق ، اللوحة ، 39 .

الكتابة . وتمثل الوحدة الزخرفية بأعلى الحجر وأسفله عناصر هندسية على شكل خطوط متكسرة (أنظر شكل 211). وتتكون هذه الكتابة من ثلاثة أسطر ، تقرأ :

" رضينا بالله (ا) الذي ليس كمثله ربا و بالإسلام الذي لا يقبل غيره دينا "

وهذه الكتابة تستبطن مرة أخرى الإشارة إلى التركيبة السكانية لقرية شروس ، و اختلاف النحل بين قاطنيها . و لعلها تمثل خاتمة للجدل والحوار ، الذي ولا شكّ أنّه كان واقعاً معاشاً في حقبة من الماضي البعيد . ويبدو من خلال تداعي هذه المعاني للكلمات المكتوبة ، أنّ حجراً آخر يحمل عبارة : و بمحمد رسولاً ، قد ضاع بين الأنقاض . وذلك أنّ هذه العبارة المكتوبة مقتبسة بكاملها ، و تنقصها الجملة الأخيرة .

و يبدو أنّ أسلوب الخط في هذه الكتابة _ هو الآخر _ ينتمي إلى أسلوب الخط الكوفي المعماري . و ينطبق عليهما التعقيب الذي صدر بخصوص الكتابة رقم (2) . والفارق الوحيد أنّ هذه الكتابة أكبر حجماً .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الرواق المحادي للرواق الأوسط ، باتجاه الشمال الغربي ، يتميز عن بقية الأروقة بثرائه المتعلق بكثرة الكتابات . وأربع من هذه الكتابات عثر عليها بأعلى العقد المقابل للمحراب . ووضعيتها مماثلة للكتابة رقم (1) . و فيما يلي مناقشة لهذه الكتابة ، مع الأخذ في الاعتبار ، التسلسل في الحديث عنها ، بدأ من اليمين إلى اليسار ، عند مواجهتنا لهذه الكتابات .

4 – هذه الكتابة - كما هي أغلب الكتابات بالمسجد - منحوتة في الحجر . ويبلغ مقاسها حوالي 31 × 34 سم . و يحيط بالكتابة إطار مزخرف بشرطات صغيرة (أنظر شكل 212) وتتكون الكتابة من أربعة أسطر :

" أشهد أنّ لا إله إلاّ الله و أنّ محمد (ا) عبده و رسوله "

و هذه العبارة التي تشير إلى التوحيد و من جاء به ، تصب في نفس المعنى الذي أشرنا إليه آنفاً . و للمرء أن يجتهد في تفسير معنى هذا التكرار لهذا الموقف الذي لا تستدعيه ضرورة في المسجد .

5 – هذه الكتابة منحوتة على حجر مستطيل ، يبلغ مقاسه التقريبي حوالي 49 × 32 سم . . وبالإضافة إلى إطاره المزخرف بالشرطات الصغيرة ، هناك خمسة أسطر من الكتابة (أنظر شكل 213) .

" يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابرو و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون "

(سورة آل عمران ، الآية 200)

لعل التبرير التاريخي لوجود هذه الكتابة هو ارتباطها بالمحنة، التي تعرض لها أهالي نفوسة في معركة (مانو) في أواخر القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي. و أمّا فيما يتعلق بأسلوب خطها الكوفي، والكتابة التي سبقتها

فبإمكاننا تصنيفهما ضمن الخط الكوفي البسيط . و يظهر هنا تأثير خط النسخ، وخاصة في كتابة حرف (النون). كما يمكن نسبتها إلى عمل فنان واحد ، لما بينهما من التطابق. و يجب التنويه على جودة الكتابة مقارنة بالكتابة رقم (1)، وخلوهما من الأخطاء اللغوية كما هو بيّن في الكتابة رقم(1) .

وهذا الاختلاف البيّن الواضح في الكتابة ذاتها و أسلوب خطها، لا يعني فقط اشتراك أكثر من فنان في نحت الكتابات، بل يتجاوز ذلك إلى احتمال تحديد تواريخ مختلفة لهذه الكتابات. وبعبارة أخرى، تبدو الكتابة رقم (1) مثلاً،أقدم عهداً.

وثمة أيضاً ما يثير الانتباه عندما نتمعن في الكتابتين رقم (4) ورقم(5). (أنظر شكل 212، 213). فكلتاهما قريبة التماثل مع كتابة وجدت على شاهد قبر محفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة. و هو مسجل تحت رقم 7206. يرجع تاريخه إلى سنة 289هـ - 902م [358] . و يزداد مظهر التماثل هذا، عندما نقارن كتابة حرفي الألف والهاء ، وكلمة الله ، في كل منهما . ولا جدال حول أنّ الكتابة على شاهد القبر أكثر تنظيماً ودقة . و لكن الأسلوب مشترك في الكتابتين .

6 – هذه الكتابة منحوتة على حجر شبه مستطيل . و يبلغ مقاسه حوالي 34 × 29 سم .. وهي كمثيلاتها محاطة بإطار بسيط ، و لكنه خال من الزخرفة (أنظر شكل 214) . وتتكون الكتابة من أربعة أسطر ، تقرأ على النحو التالي :

" أشهد أنّ لا إله إلا الله و أنّ محمد أ عبده و رسوله و ما جاء به حق "

هذه العبارة مكررة . و لا حاجة لنا هنا في التعليق (أنظر شكل 214) . ولكن وجودها يدعم بشكل أكبر ما ذهبنا إليه بشأن الوضع الاجتماعي لقرية شروس (أنظر شكل 209) . أمّا ما نضيفه هنا فهو تقطيع الكلمة الواحدة بين سطرين . وهذا لا يظهر إلاّ نادراً في الكتابات الأثرية . و إن دلّ هذا على شيء فهو يدل على عدم التخطيط المحكم قبل نحت الكتابة .

وأسلوب الخط في هذه الكتابة الكوفية ، ينسجم مع أسلوب الكتابة رقم (2) ، (أنظر شكل 210) . و هذا الأسلوب يعد تقليداً للخط المعماري الكوفي ، الذي أسلفنا القول عنه بأنّه قد ساد في القرن الثالث الهجري _ التاسع مسيحي . كما يتضح أنّ تأثير خط النسخ جلي في حرف (النون) .

7 – و هذه هي الكتابة الأخيرة الموجودة على هذا العقد . و هي منحوتة على قطعة حجر مربع الشكل تقريباً . و يبلغ مقاسه حوالي 32 × 30 سم . و يحيط بالكتابة إطار خال من الزخرفة . ويلاحظ أنّ النصف الأخير من السطر الثالث لم ينحت

---

[358] قبيت ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، اللوحة ، 29 .

مطلقاً ، و أنّ الفراغ الذي تركه الفنان للسطر لم يكن في حاجة إليه . و هذا ما يؤكد تنوع الفنانين و اختلاف إمكاناتهم .
وتتكون الكتابة هنا من ثلاثة أسطر :
" قل هـــو الله أ
حـد الله الصمـــد
لم يلد و لم (يولد) "
(سورة الإخلاص ، الآيتان ، 1 ، 3)

ويبدو أنّ الفنان كان ينوي كتابة سورة الإخلاص كاملة ، و لكنّه لم يفعل لضيق المساحة . وأمّا ما يدخل ضمن المعنى الاشاري لوجود هذه السورة بالذات ، هو إعلان وتوضيح موقف المسلمين العقدي ، تجاه ما تدعيه الطوائف الأخرى ، التي عايشتهم _ لوقت ما بقرية شروس القديمة . و ربما ينسحب هذا الموقف على جبل نفوسة بكامله .

ويتبين في هذه الكتابة أسلوب الخط الكوفي البسيط . و ما تجب الإشارة إليه هنا ، هو اختلاف أحجام الكلمات . وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنّها ليست من عمل فنان محترف . وممّا يدعم هذا الرأي عدم التقدير الجيد لشغل الفراغ . و هذا مخالف لما عرف به الفن الإسلامي ، الذي التصق بفنانيه مصطلح الخوف من الفراغ .

وإذا ما نظرنا بعين المنطق إلى وضعية هذه الكتابة و أخواتها ، وجدنا أنّها لا تنتمي إلى أماكنها الأصلية . وهذا القول يشمل كل الكتابات بالمسجد ، باستثناء واحدة منها . و نحن لا نشكّ في نسبة هذه الوضعية إلى أعمال الترميم ، التي أجريت بهذا المبنى . و في الوقت الذي يأسف فيه المرء على عدم إعادة هذه الأحجار المكتوبة إلى أماكنها الأصلية ، ليحتفظ لأولئك المرممين بالشكر لمجرد المحافظة عليها .

8 – توجد في الشمال الشرقي للمسجد حجرة صغيرة. و يفتح مدخلها الواقع في الجدار الجنوبي الشرقي، على قاعة الصلاة (أنظر شكل 113). و نرى عند مواجهة هذا المدخل قطعة من الحجر، مثبتة على الحائط ، على ارتفاع حوالي 2.20م من مستوى أرضية المسجد. و يبلغ مقاس هذا الحجر حوالي 42 × 40سم.. (أنظر شكل 215) و هذه الكتابة المحاطة بإطار تتكون من أربعة أسطر . وتقرأ :

" (الإسلام) ديننا
و محمد نبينـــــا
و القرآن إمامنـــا
و السنة طريقنـا ".

هذه الكتابة تصب بدلالتها الاجتماعية في دائرة مخاطبة الآخر ، الذي يملك خطاباً مغايراً. و لكن ما يجب التوقف عنده هو الجملة الأخيرة ، التي يحدد فيها الأباضيون إتباعهم للسنة . و في هذا ردّ على من يحسبهم على طائفة الخوارج . ولقد جاء ذكر هذا في المصادر التاريخية و الجغرافية التي أتينا على ذكرها فيما سبق .

ويتصنف أسلوب هذه الكتابة ضمن تقليد الخط الكوفي المعماري . وهذه الكتابة متماثلة مع الكتابة رقم (2) . و ينطبق عليها ما قيل بخصوص الكتابة الأولى ، أي الكتابة رقم (2) [359] .

9 – تعتبر هذه الكتابة أكثر الكتابات طولاً بالمسجد . وتقع على جدار القبلة ، أعلى المحراب. وهي منحوتة على حجر مستطيل ، يقدّر مقاسه بحوالي 89 × 79 .. ويلاحظ أنّ الجزء السفلي من الحجر قد أصابه التلف . وأنّ الإطار الذي يحيط بالكتابة خال من الزخرفة (أنظر شكل 216) . و تتكون الكتابة من سبعة أسطر .

و تقرأ الكتابة من السطر الثالث إلى السابع على النحو التالي :

" ربي اجعلني مقيم الصلاة ومن
ذريتي ربنا و تقبل دعـــاء ربنا
إغفر لي و لوالدي و للمؤمنين
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنـا
و هب لنـــا من لدنك رحمـــة "

(سورة إبراهيم ، الآية 40 ، سورة آل عمران ، الآية 8)

ويبتدئ السطر الأول بدعاء أيضاً. و الاحتمال أنّه اقتباس من القرآن الكريم. والكلمات الأولى تقرأ : رب اجعل هذا . وبقية الكلمات في هذا السطر والسطر الذي يليه غير ميسرة للقراءة. و نحن لا ندري كم من الأسطر المكتوبة قد ضاعت، نتيجة للتلف، الذي أصاب الجزء السفلي من الحجر (أنظر شكل 216) .

تنسب هذه الكتابة إلى أسلوب الخط الكوفي البسيط . وثمة هنا ما يدلل على ما أشرنا إليه سابقاً من تأثير الخطين، النسخ و الكوفي على بعضهما . فأثر خط النسخ على هذه الكتابة ذات الخط الكوفي ، واضح في الحروف التالية :
الراء، الزاء، النون، والواو (أنظر شكل 216) .

---

[359] و للمقارنة أنظر الشكل ، 210 .

ويبدو أنّ هذه الظاهرة قد سادت لفترة إبان القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي. ولقد كانت في ذات الوقت إرهاصاً يؤسس لبداية ظهور الخط الكوفي المورق . وهذه الكتابة ومثيلاتها لا ترقى إلى المستوى ، الذي نفذت به الزخارف في هذا المسجد . وهذا ما يدلل على أنّ الكتابات أقدم عهداً منها .

و سعياً نحو تحديد أكثر دقة لتاريخ كتابة شروس ، نستشهد - للمقارنة - بشاهد القبر المحفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة . و يحمل رقم 8381 . وهو مؤرخ بسنة 251هـ - 865م [360] . وعلى الرغم من رؤية التماثل بين الكتابتين ، فإننا نلحظ تميز كتابة شاهد القبر بدقة الكتابة وتنظيمها . و يلاحظ أيضاً ، الظهور المتواضع لإرهاصات الخط الكوفي المورق في كتابة شاهد القبر.

وإذا قارنا كتابة شروس بشاهد قبر آخر بنفس المتحف ، يحمل رقم 12607 ، وهو مؤرخ بسنة 317هـ - 930م [361] ، رأينا أنّ وجه التماثل شديد الوضوح . وتبين لنا أنّ ما يشكل الامتداد في أطراف الحروف ، مثل الياء المعرقة والنون ، التي تمتد نهايتها أسفل الكلمات ، متطابق في النصين .

وإذا حصرنا النظر على الكتابات التي ضمها مسجد شروس ، يتبين لنا الفروقات في أسلوب الخط ، مع تصنيفها جميعاً تحت عنوان أسلوب الخط الكوفي. وأمّا فيما يتعلق بتنفيذ هذه الكتابات فيظهر الفارق أكثر وضوحاً . وهذه الملاحظات هي التي نعتمدها في القول باختلاف تاريخ هذه الكتابات ، واختلاف أولئك المسئولين على تنفيذها .

10 – أشرنا إلى أنّ لمسجد شروس في الوقت الحالي مدخلان . أحدهما في الجدار الشمالي الشرقي ، والآخر في الجدار الجنوبي الغربي . و يغطي الجزء الأعلى في الأخير عقد حجري مغلق على شكل نصف دائري . أمّا الحجر في حدّ ذاته فذو شكل شبه مستطيل . ويبلغ طول قاعدته حوالي 74 سم ، بينما يبلغ ارتفاعه حوالي 83 سم (أنظر شكل 217) .

وتظهر على واجهة هذا العقد ، من خارج المسجد ، ثلاثة أسطر من الكتابة الكوفية المتأثرة بخط النسخ في العديد من الحروف . و تقرأ :

" لا إله إلاّ الله وحده لا شريك لـــــــه
محمد رسول الله أرسله بالهدى و دين
الحـــــــــق ليظهـــــــــــره "

يمثل السطر الأول شهادة التوحيد . و أمّا السطران الآخران ، منهما جزء من الآية الكريمة رقم 33 من سورة التوبة . و أمّا بقية الآية فهي : " على الدين

---

(360) فييت ، نفس المصدر ، المجلد ، الثاني ، اللوحة ، L.II .

(361) المصدر السابق ، المجلد الخامس ، اللوحة (1) .

كله ولو كره المشركون ". وهذه الكتابة الأخيرة التي نتطرق إليها في مسجد شروس تؤكد - كما هي أغلب الكتابات بهذا المسجد - إعلان الموقف العقدي في مواجهة تيارات دينية و فكرية ، وأمّا أسلوب الخط فيمكن مقارنته مع ما وجد في قرطبة والزهراء [362] .

الكتابات الأثرية بقرية أبنايَن

11 – وجدت الزخارف و الكتابات بمسجد أبنايَن على ثمانية قطع حجرية تكتنف المحراب ، أربعة من كل جهة . وهذه الأحجار ذات الشكل المربع يقدر مقاسها بحوالي 32 × 32 سم . وبمواجهة المحراب ، تبدو لنا على اليمين ، على الحجر الثاني من الأعلى ، تلك الكتابة الكوفية المتميزة بالإتقان ، مقارنة بما عثر عليه في مسجد شروس من الكتابات . وهذا ما يطرح التساؤل حول تاريخ الكتابة في كل من المسجدين ، إضافة إلى المستوى الذي كان عليه الفنانون في كل من الموقعين .

وأمّا الزخرفة فتتكون من وحدة فنية ، تضم أربعة عقود . و يشغل المركز زهرة ذات ثمانية فصوص . ويظهر بين هذه الفصوص الزخارف النباتية . و يحتوي الشكل الدائري ، الذي يحيط بهذه الوحدة الزخرفية ، على حبيبات متتابعة (أنظر شكل 218) وأمّا الدائرة الخارجية فتشغلها كتابة تقرأ كالتالي :

" شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلاّ هو "

(سورة آل عمران ، الآية ، 18)

إنّ ما يميز هذه الكتابة الكوفية ، ويكسبها أهمية كبرى ، نسبتها إلى الخط الكوفي المورق . إضافة إلى أنّها المثل الوحيد لهذا الأسلوب من الخط الكوفي من بين الكتابات التي عثر عليها بجبل نفوسة . وهذا النمط من الخط الكوفي عثر على نماذج منه في شرق البلاد [363] كما وجد على بعض شواهد القبور. ويبدو أنّ العنصر الورقي الذي يزين نهايات الحروف أكثر قرباً من الطبيعة، و أكثر تنسيقاً، إذا ما قورن بكتابة أبنايَن .

12 – وبمواجهة المحراب أيضاً، توجد أربعة أحجار مزخرفة، على اليسار. وتتكون الزخرفة، التي تشغل سطح الحجر الثاني، من الأعلى، على دائرتين. وتحتوي الدائرة الداخلية على خطين متقاطعين يقسمانها إلى أربعة أجزاء. وتظهر الزخرفة متطابقة في كل جزئين متقابلين. و تتكون الوحدات الزخرفية في الأغلب الأعم من عناصر نباتية وتعريقات. ويتمثل أغلبها في عنصر الورقة النخلية . وأما

---

(362) وللمقارنة بكتابة شروس أنظر ،
J.Bekwith , Caskets From Cordoba , London 1960 - pls . 6 , 8 , 9 , 10 , 12 - 18 .

(363) أنظر ، س .. بالحاج ، Libya Antiqua ، المجلد الخامس ، 1968 ، اللوحات ، LXXXVIII ، الأشكال ، B ، LXXXV شكل B .

الدائرة الخارجية فتشغلها كتابة كوفية ، كما هو الوضع في الجهة الأخرى من المحراب .

و تقرأ الكتابة على النحو التالي :

" بركة من الله لمن آمن بأمان الله وليه "

وعلى الرغم من أنّ هذه الكتابة تصنف في قائمة أسلوب الخط الكوفي البسيط ، إلا أنّها تتداخل مع خط النسخ . و يتمثل هذا في حروف الراء ، الواو ، الميم ، و النون . وهذه الكتابة تتشابه كثيراً مع الكتابة رقم (9) العائدة إلى شروس . ولذا لا حاجة لتكرار ما ذكر (أنظر شكل 216) .

الكتابة الأثرية بتنومايت

13 – ينفرد مسجد تنومايت من بين مساجد الجبل باحتفاظه بطابعه الأصلي . وربما يعود هذا بالدرجة الأولى إلى بنائه في باطن الأرض ، مما جنبه التعرض لمظاهر التصدع ، التي عانت منها مباني الجبل القديمة كلها . و الأمر الآخر يتمحور حول عدم وجود ما يلفت النظر إليه . بحيث يكون عرضة لأولئك لذين يبحثون عن الكنوز ، كما شاهدنا من آثار تشير إلى وجود هذه الظاهرة في وقت من الأوقات .

و لقد وجدت كتابة على الحجر الموجود على مدخل المسجد . و يبلغ طول قاعدة هذا الحجر حوالي 90 سم ، و ارتفاعه حوالي 60 سم (أنظر شكل 220) . وتظهر على هذا الحجر سبعة أسطر من الكتابة . وتقرأ :

" إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر
أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
و قل ربي أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق و اجعل
لي من لدنك وليا و اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
بنيت في شهر رمضان في سنة أربع وخمسين و أربع
مائة و بناها من أراد ثوابته في الدنيتا و الآخرة
كتبه عبد الملك بن يعقوب النفوسي".

السطر الأول اقتباس من القرآن الكريم . سورة التوبة ، الآية 18 .
السطر الثاني اقتباس من القرآن الكريم . سورة المؤمنون ، الآية 1 ، 2 .
السطر الثالث و الرابع اقتباس من القرآن . سورة الإسراء ، الآية 80 .

تعتبر هذه الكتابة حتى الآن المثل الوحيد القديم المؤرخ ، الذي عثر عليه بمنطقة جبل نفوسة . وهي تعود إلى القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي. وتبدو كتابة تنومايت أكثر تشويقاً من مثيلاتها . و على العموم ، فإنّ حرفي الألف واللام بهذه الكتابة يتميزان بشكل يشبه رأس السهم المشقوق في نهاية

الحرفين المذكورين . وربما يعود هذا إلى نوع الآلة، التي استعملها الفنان للكتابة، أو ربما تكون تنميقاً لها . وما عدا هذه الظاهرة التي تنسب إلى أسلوب الخط الكوفي المورق، فبقية الكتابة تتصنف في قائمة الخط الكوفي البسيط. ولكنه ليس الخط الذي رأيناه في الأمثلة السابقة . فتأثير أسلوب الخط المغربي الذي أستعمل في كتابة المخطوطات، يظهر جلياً بهذه الكتابة . و هذا ممّا يزيد من أهمية كتابة تنومايت، التي لم يماثلها أي من الكتابات الأثرية، التي عثر عليها بليبيا . ومن المحتمل أنّ الخط الكوفي المعماري المتأثر بأسلوب الخط المغربي قد ظهر لأول مرة في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر مسيحي . و من المؤكد أنّه لم يظهر على العمائر الأثرية في شرق العالم الإسلامي .

وجدير بالذكر أنّه عندما قورنت كتابة تنومايت بكتابة وجدت على شاهد قبر، محفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة، يحمل رقم 1216، و مؤرخ بسنة 322هـ - 934م، رصد التماثل بينهما في طريقة نحت الحروف .

وأمّا الفارق فيتمحور حول تميز كتابة تنومايت، و تأثرها بطابع الخط المغربي[364]. ويظهر هذا واضحاً في حرفي القاف و الكاف. وثمة شاهد قبر آخر بنفس المتحف. ويحمل رقم 3710، بتاريخ سنة 412هـ - 1021م[365]. ونرى عند مقارنته بكتابة تنومايت اشتراكه معها إلى حدّ ما في نمط الكتابة. و لكن يغيب عنه التأثر ببعض ملامح الخط المغربي .

ولقد رأينا في الكتابات 9 ، 11 ، 12 ، أنّ حرف الألف يتميز في أعلاه بانحناء بسيط. وهذه الظاهرة ملمح وظفه خط النسخ أصلاً بقصد الزخرفة . وإنّه لمن المناسب هنا أن نشير إلى أنّ الألف في كتابة مقياس الروضة بالقاهرة، والمؤرخ بسنة 247هـ -861م ، يملك نفس الانحناء[366] .

ويبدو أنّ هذا الشكل لا يظهر كثيراً في الجانب الأيسر . و تكثر ملاحظته في الجانب الآخر منه . ويبدو أنّه قد استمر حضوره في الكتابة ، مع شيء من التطور وقتاً طويلاً[367] . ولقد عثر عليه في كتابات تعود إلى القرن التاسع الهجري .

---

[364] فييت ، نفس المصدر ، المجلد الخامس ، اللوحة (9) .

[365] المصدر السابق ، المجلد السادس ، اللوحة (38) .

[366] كرزويل ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، ص . 293 . شكل (22) .أنظر أيضاً ، A.Lane , Early Islamic Pottery , London , 1947 , p . 8
و كذلك ، كونيل ، نفس المصدر ، ص . 9 .

[367] قرومان ، الفنون الشرقية ، المجلد الثاني 189 - 90 .

وأمّا بالنسبة للكتابات 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، فنلاحظ أنّ الشرطات التي تمتد أسفل الألف القائم، إلى الجهة اليسرى . أضحى مظهراً لحرف الألف، في العديد من الكتابات الكوفية بالشمال الأفريقي .

ويعود تاريخ الأمثلة، التي تتميز بهذه الظاهرة، إلى القرن الثالث، الرابع الهجريين- التاسع، العاشر مسيحيين [368] . و باستثناء الكتابة رقم (3) نلاحظ التماثل الكبير بين كتابات الجبل، و تنفرد الكتابة رقم (10) بظهور شكل يشبه فم الثعبان عند كتابة الحرفين المذكورين . و عند مقارنتها ببعض الكتابات التي عثر عليها بمصر، فهذا الذيل يبدو أقل تعقيداً إبان الحقبة الفاطمية [369] و أمّا فيما يتعلق بالحرف (لـا) فإننا نشهد على إنهاء كتابته بشكل قريب من الشكل المثلث، يتجه يميناً ويساراً عند طرفيه (أنظر شكل ، 209 ، 212 ، 215) . وهذا الشكل يبدو أنّه من مميزات الخط الكوفي في شمال أفريقيا ، الذي يعود ظهوره إلى القرن الثالث الهجري [370] .

وهذه الظاهرة تبدو أكثر حضوراً في الخط الكوفي البسيط [371] . و إذا ما قارنا ما وجد من كتابات في جبل نفوسة مع مثيلاتها ، التي عثر عليها بأنحاء ليبيا ، وكذلك القيروان وجدناها أقل قيمة من الناحية الفنية [372] . و لكن هذا الأمر لا يؤثر على قيمتها التاريخية والأثرية .

وربما يعود أثر هذا الفارق إلى العوامل الاجتماعية و التاريخية و الدينية . وعلى الرغم من هذا القول ، فكتابات جبل نفوسة تمثل مستوى عالياً يتعلق وأسلوب الخط الكوفي البسيط .

ولقد رأينا منطقة الجبل باستعمالها للخط الكوفي مع تأثره بالطابع المحلي بقدر ما تشترك مع بقية المناطق الإسلامية في القرون الأولى للإسلام ، فهي تمثل وجهاً من أوجه الطابع الإسلامي في الفن [373] . وهذا ممّا يبرز مظهراً آخر

---

[368] عايدة عريف ، نفس المصدر ، (مجموعة الألف) ، لوحة رقم (1) ، أنظر أيضاً ، بوينسوت ، نفس المصدر ، المجلد الثاني ، اللوحتان ، 52 ، 53 .

[369] عايدة عريف ، نفس المصدر ، ص . 41 ، 42 . و قارن ، كونيل ، الكتابات الإسلامية ، ص . 18 . أنظر أيضاً فلوري ، نماذج كتابية ، ص . 61 .

[370] عايدة عريف ، نفس المصدر ، (مجموعة الكاف و الدال) ص . 17 ، 56 . أنظر أيضاً القلقشندي ، نفس المصدر ، ص . 101 .

[371] عايدة عريف ، نفس المصدر ، ص . 62 .

[372] ليبيا القديمة (مجلة) المجلد الخامس ، 1968 ، اللوحات . LXXXV , LXXXIV أنظر أيضاً ، س . زابس ، الفنون الإسلامية في البلاد التونسية ، تونس ، 1968 ، ص . 50 . الأشكال ، 51 ، 52 ، 55 .

[373] أنظر ، T.Burchhart , Fine arts in Islamic Civilization , Malaysia , 1977 , p . 17 .

للتقارب ووحدة الرؤية لمعتنقي الإسلام ، فضلاً عن العقيدة، التي تعد أجل مظاهر هذه الوحدة . ويظل الخط الكوفي أهم العناصر في الوحدة الزخرفية [374] .

وعلى الرغم من أعمال الترميم ، و الإهمال الذي تعرضت له المنطقة لفترة طويلة من الزمن ، فالكتابات التي عثر عليها بجبل نفوسة مثلت قيمة متميزة . ولقد أظهرت أنّ الفنان المسلم بالجبل _ كما هو في كثير من البقاع الإسلامية - قد أبدى مهارة مرموقة في تجاوز مهمة الكتابة ككتابة ، ليجعل منها جزئية في الوحدات الزخرفية . فالكتابات الكوفية بطبيعتها تتلاءم ومتطلبات الفنان . فانبساط وعمودية حروفها ، بالإضافة إلى تقبل الزيادات في أطراف حروفها كان عوناً للفنان على تكييفها والشكل المعماري و الزخرفي . ويبدو أنّ هذه الميزة لم تكن حلاً كاملاً . فالفنان أصبح يواجه مشكلة الفراغ الذي يتكون من استعمال الحروف التي لا تقبل الشرطات الطويلة مثل الألف واللام . ولهذا كان الاتكاء على الزخرفة طوراً من أطوار المنعطفات المميزة في تطور الخط الكوفي . وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الكتابة حتى القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي ، ملتزمة بأسلوب الخط الكوفي البسيط . وهذا ما شاهدناه من خلال الأمثلة التي عثر عليها بالجبل وغيره من المواقع .

ولقد حدثت النقلة المتميزة في أسلوب الخط الكوفي البسيط ، في المنتصف الأخير من القرن الرابع الهجري . و لقد دلت الأمثلة العائدة إلى هذا التاريخ على استخدام الفنان المسلم الكتابة كعنصر زخرفي أكثر من استخدامها لغرض آخر . ولهذا أصبحنا نرى هذا الإبداع للأشكال الجديدة التي ميّزت الخط الكوفي وصبغته بصبغة التطور . وعلى الرغم من هذا التحول فلقد رأينا الكتابة بجبل نفوسة - كما في غيرها من المناطق الإسلامية - محتفظة بأهم مكونات الخط الكوفي عبر مراحل التطور بأجمعها .

وبالنظر إلى الكتابات ، التي عثر عليها في منطقة الجبل الغربي ، لا نجد من الأمثلة ما يوضح لنا هذه الطفرات التي صاحبت تطور الخط الكوفي ، إلا بالقدر الضئيل . وربما ستشكل الحفريات في المستقبل إلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع ، على الرغم من معرفتنا بأنّ سقوط الدولة الرستمية في أواخر القرن الثالث الهجري - التاسع مسيحي ، قد فرض على الجبل أن يعيشِ في عزلة لوقت ليس بالقصير .

وأمّا ما يتعلق بالتاريخ في كتابات جبل نفوسة ، فقد رأينا غياب هذا الجانب المهم . ولم يعثر إلا على كتابة واحدة مؤرخة (أنظر شكل 220) . و لكن بمقارنة هذه الكتابات بمثيلاتها في كل من ليبيا و مصر و القيروان وغيرها ، توفر لدينا

---

[374] أنظر ، T.W.Arnold , Painting in Islam , Oxford , 1928 . p 2 .

شيئاً من الاطمئنان بإرجاعها إلى القرنين الثالث و الرابع الهجريين - التاسع والعاشر مسيحيين . و هذا الرأي ينسجم مع الأدلة المعمارية و الزخرفية ، التي زودتنا بها المساجد في كل من شروس ، أبناين وتندميرة .

ولقد أشرنا - فيما سبق - إلى تأثير القيروان في مجال الزخرفة على جبل نفوسة [375] . ويبدو أنّ هذا التأثير قد شمل موضوع الكتابة. وربما نستطيع القول بأنّ الكتابات الأثرية قد سبقت ورافقت انهيار الدولة الرستمية في القرن الثالث الهجري- التاسع مسيحي . وربما تقودنا هذه النظرة إلى فرضية أنّ بعض الفنانين القاطنين بمدينة تاهرت ، قد وجدوا طريقهم إلى الجبل . وساهموا بشكل أو بآخر في إثراء الجانب الفني ، بجبل نفوسة . و ممّا يدعم هذه الفرضية أنّ جبل نفوسة - وفقاً للمصادر التاريخية - بعد أقول نجم الرستميين ، كان أكثر المواقع حصانة بالنسبة للأباضيين . و لا يعني هذا - على أية حال - إلغاء دور أهل الجبل في هذا المجال .

---

[375] أنظر أعلاه ، الفصل الرابع ، ص . 112 .

الفصل السابع

الخاتـمة

الفصل السابع
" الخاتمة "

لقد أصبح واضحاً من خلال المجالات التي تطرق إليها البحث ، أنّ منطقة جبل نفوسة تحتوي على كثير من المواقع الإسلامية الأثرية ، التي يعود تاريخها إلى قرون مبكرة من التاريخ الإسلامي . و رغم بقائها في زاوية النسيان و الإهمال لفترة زمنية طويلة ، احتفظت لنا بمادة شيقة في فضاءات العمارة والزخرفة والكتابة الأثرية . وكانت هذه دلالات كافية لتسليط بعض الضوء ، على ما لهذه المنطقة من ماض متفاعل مع حركة التاريخ والعقيدة والحضارة . ويؤمل أن تجتذب هذه المواقع الأثرية إليها ذات يوم طلاب المعرفة ، وصولاً إلى دراسات أكثر تعمقاً وتفصيلاً في حقل الفنون و الآثار الإسلامية . و ربما تكون هذه الخطوة ، إذا قدر لها أن تكون ، التزاما بأهمية التراث ، الذي و لسوء الحظ، يتعرض للتصدع والدمار والسطو .

ويجدر القول أنّ تاريخ هذه المنطقة قد شابه شيء من الغموض وغياب التفصيلات ، فيما يخص منعطفاته المتعددة . وعلى الرغم من حقيقة هذا الوصف، فوجود قدر ضئيل من المصادر الأباضية وغيرها ، إضافة إلى العمل الميداني في حقل الفنون والآثار الإسلامية ، أمكن تأسيس فكرة تاريخية عامة لمنطقة الجبل الغربي. وربما يكون هذا القول أكثر موضوعية، فيما يتعلق والقرون الأولى للإسلام . فمحاولة وضع الخطوط العريضة الخاصة بالتسلسل الزمني لحكام الجبل، وأولئك الذين تولوا إدارة الأمور في مناطقهم الصغيرة، زودتنا بفهم أفضل لمجريات الأحداث و التاريخ . كما يسرت و ساهمت في إلقاء مزيد من الضوء على دراستنا لبعض المعالم الإسلامية بمنطقة الجبل .

ولقد أصبحنا الآن نملك فكرة أكثر رصانة عن خلفية قرى جبل نفوسة خاصة في القرون الإسلامية الأولى . فلقد تبين لنا أنّ المسجد و قصر التخزين يحتلان في الأغلب الأعم مركز القرية . وحولهما تتموضع المباني المهمة ، مثل مبنى المحكمة والأسواق ثم الدور السكنية ، التي تلتحم جدرانها لتشكل تلك الدروب والأزقة الملتوية الظليلة . وتكوّن هذه الجدران الواقعة على مشارف القرية ما يقترب من شكل الأسوار المستخدمة للأغراض الدفاعية . وتظل قرية ويغو استثناءاً لهذه الظاهرة . ولكنها تميزت بدورها المحفورة في باطن الأرض ، وصولاً إلى التغلب على شدّة الحرارة وشدّة البرودة أيضاً . ومن الطبيعي أن يذكرنا تخطيط القرية في جبل نفوسة بتخطيط المدن الإسلامية الأولى . ولكن مكونات المدن الصحراوية حاضرة بجلاء في قرى جبل نفوسة .

وتبين لنا أيضاً أنّ المسجد في قرى الجبل ، والذي شكّل مركز الاهتمام، من حيث موقعه بالنسبة لتخطيط القرية ، كان يشكل بؤرة الإلهام للمجتمع الأباضي . فالمسجد في القرية الأباضية - كما هو الحال بالنسبة إلى المساجد الأولى في الإسلام - لم يكن مجرد مكان للعبادة . بل كان مكاناً لتبادل الآراء وصنع القرارات المصيرية . ولذا كان حكام الجبل ومن دونهم يولون جلّ اهتمامهم بالمسجد، الأمر الذي أدّى إلى تلازم أسمائهم بتلك المساجد ، حتى وقتنا الراهن .

وفوق كل ذلك تبين لنا أنّ المسجد كان المكان الرئيسي للتعليم . ولقد كانت المساجد في قرى جبل نفوسة الأمكنة التي تعلم فيها العلماء وعلموا فيها فيما بعد . ولقد رأينا أنّ من بين أولئك العلماء من تولى حكم الجبل ، ومنهم من تولى إدارة الأمور في المنطقة التي ينتمي إليها . و مع قيام المسجد بدور التعليم، سمعنا عن ورأينا بقايا آثار مكتبة جبل نفوسة، التي ذاع صيتها ذات زمن .

ولقد أصبح الأمر أكثر وضوحاً حول عدم حظوة المسجد بالأولوية في مجال العمارة ، مقارنة ببعض المباني الأخرى ، على الرغم من دوره المتميز في الحياة السياسية والتعليمية والاجتماعية . ولا يفند هذه الملاحظة وجود بعض المساجد ، التي حفلت بأوجه من الاهتمام المعماري والفني . فهذه المساجد، على الرغم من أهميتها الأثرية لم تتمكن من تجاوز مكونات المسجد الأباضي . وربما يكون هذا - كما أشرنا - عائد إلى نظرة الأباضيين المحافظة ، التي شملت مجالي الفن والعمارة . ولذا وجب أن تقوم هذه المساجد وبعض المباني الأخرى، إضافة إلى منازل ويغو الرائعة، على أنها طفرة في خضم ما كان سائداً من تفكير عقدي، بمنطقة الجبل، في القرون الإسلامية الأولى .

وعلى الرغم من القدر القليل للزخارف ، التي عثر عليها في منطقة جبل نفوسة الشاسعة، فهي قد زودتنا بمادة كافية لتسليط الضوء على جوانب مجهولة في تاريخ و ماضي هذه المنطقة . فلقد تبين من خلال المناقشة، تأثرها بما كان سائداً في شرق العالم الإسلامي، وخاصة في مدينة سامراء بالعراق. ورأينا تأثيرات القيروان وسدراته . إضافة إلى أنّ العناصر الزخرفية المحلية بادية الحضور. ولقد كانت الأخيرة، بشكل أو آخر، ذات صلة بالفن الهيلينستي والروماني .

ولقد ساعدت الشواهد المقارنة في هذا المجال، على تصنيف تاريخي لزخارف جبل نفوسة . الأمر الذي أسس المعيار والمثل، ربما يكون مرجعية لما يكتشف في هذا المجال مستقبلاً. ولا يفوتنا أن نشير إلى أنّ هذه النتيجة قد ساهمت بقدر كبير في تحديد تاريخ تقريبي للمباني ذات العلاقة .

ونحن إذ نعدد بعض الملامح التي أثارها هذا البحث ، وجب أن نذكر أنّ العثور على كتابات عبرية بقرية شروس ، مثل الدليل الأثري الوحيد حتى الآن

الذي يدعم المعلومات التاريخية القائلة بوجود طائفة من اليهود في جبل نفوسة . وبالإضافة إلى ذلك ، يقف هذا الدليل شاهداً على استمرار قرية شروس على قيد الحياة والتفاعل ، حتى القرن التاسع الهجري - الخامس عشر مسيحي ، على الأقل. وهذا ما يدحض ما أعتقده بعض الباحثين من أنّ قرية شروس قد دمرت وهجرت في القرن السادس الهجري - الثالث عشر مسيحي . وربما تتمخض الحفريات الأثرية ، في هذا الموقع ، عن مزيد من الأدلة حيال هذا الأمر .

ومن المعروف أنّ المصادر التاريخية بشكل عام قد غاب عن سردها ما كان لهذه المنطقة من تاريخ و أحداث . و هذه إشكالية تتعلق بكتابة التاريخ أكثر منها بمنطقة الجبل وغياب ذكرها في المصادر التاريخية . وتبقى حقيقة عزلة الجبل مظهراً تاريخياً لا جدال فيها . و ذلك عائد إلى العوامل السياسية ، التي أصبح التمذهب الديني جزئية من توجهاتها وأهدافها . ويتضح هذا الأمر من خلال العهود المتعاقبة ، التي اتسمت بحكم الأمويين والعباسيين والأغالبة والفاطميين. ويبدو من خلال هذه الدراسة أنّ هذه العزلة كانت محصورة بشكل كبير في الحراك السياسي . وأمّا ظاهرة الانفتاح في المجالين الثقافي والفني بين جبل نفوسة وما يحيط به من المناطق ، أضحت واضحة المعالم . فلقد امتدت تأثيرات هذا الانفتاح إلى بعض مناطق في القارة الأفريقية . ولقد كانت مساهمة تجارة القوافل والدعوة إلى اعتناق المذهب الأباضي الأثر المهم والفعّال .

وأخيراً وليس بآخر لقد أثارت هذه الدراسة العديد من الأسئلة ، وفتحت جملة من المواضيع . ولعلّ أهمها ما هو مرتبط بهذه المنطقة وغيرها من المواقع الأثرية بأرجاء البلاد . فصفحات من التاريخ لا تعد كثرة ، لازالت تنتظر من يزيل عنها غبار القرون .

وصفحات من الماضي الذي لم تتطرق إليه المصادر ، لازالت معاول السنين ،بالإضافة إلى عدم وعي الإنسان ، تصدع جنباتها رويداً رويداً . و لازالت الكثير من الأجوبة على الأسئلة المطروحة مدفونة تحت الأتربة و الأكوام ..

والحقيقة أنّ الدعوة إلى الاهتمام بهذا الفرع من المعرفة ، ليست دعوة إلى علم الآثار والفنون في حدّ ذاته . وليست أيضاً دعاية لما يترتب عليها - كما يقال - دخلاً من الموارد السياحية ، بل إنّ الأمر أكثر أهمية وأعمق رؤية . ففقه الماضي بجوانبه المتعددة ذو صلة وثيقة برقي الإنسان في حدّ ذاته . ذلك لأنّ مقصد هذا الفقه الوصول إلى قيمة العبرة والاعتبار .

ولقد فات الكثير من الباحثين في هذا المجال على مختلف المستويات ، وفي كثير من البلاد ، هذا المقصد . وهذا ربما يكون من أهم العوامل ، التي أدّت إلى

الفهم الخاطئ بأنّ الاهتمام بهذا العلم ترف وابتعاد عن المعاصرة، وفي أحسن الأحوال مورد وتابع للسياحة، وفقاً لمعطيات ومفهوم السياحة في الثقافة المترجمة.

والحقيقة التي نغفل عنها ، في كثير من الأحيان، أنّ في كتاب الله العزيز إشارات كثيرة إلى هذا العلم منطلقاً واستيعاباً وغاية. ولكن المرء عندما يخوض في تداعيات المعاني الراشدة ، ويتجول بهذه المنطقة، وغيرها من المواقع الأثرية، لا يملك إلاّ أن يتساءل : متى يتبين النّاس قيمة ما يملكون من حولهم وتحت أقدامهم . ؟ !

و ما التوفيق إلاّ بالله

(بعض الآثار الإسلامية في جبل نفوسة)

_ ملحق _

لقد أثارت بعض النقاط التي طرحت أثناء الامتحان لنيل درجة الدكتوراه العديد من الأسئلة مقاصد هامة من الجوانب، التي تطرقت إليها هذه الرسالة. ولقد رأيت كتابة هذا الملحق تعميماً للفائدة. وإثارة لرغبة الباحثين في إثراء هذا المجال بالبحث والدراسة .

ولعل المطّلع على هذا البحث سيتساءل عن التاريخ المحتمل والتطورات التي مرت بها أبنية قصور التخزين، التي وجدت في جبل نفوسة. والحقيقة أنّ قصور التخزين تعتبر من أهم ما يلفت النظر في المعالم الأثرية القائمة بهذه المنطقة. ولقد تمت الإشارة إلى بعضها في هذه الرسالة استكمالاً لصورة القرية الأباضية، وعلى سبيل المثال، عند الحديث عن نالوت، كاباو، فرسطه،وشروس[1]. وجدير بنا أن نذكر أن أمثلة لهذه المباني قد وجدت في تونس والمغرب[2]. وعلى الرغم من أن وظيفتها متماثلة مع وظيفة ما وجد من قصور في جبل نفوسة ، إلاّ أنّ تصميمها المعماري يختلف عنها قليلاً. ويظهر هذا الاختلاف واضحاً في وضعية الحجرات[3] .

وبما أنّ قصر التخزين بنالوت قد تعرض لكثير من الترميمات ، فالمحتمل أنّها قد تسببت في ضياع الأدلة الأثرية، التي من الممكن أن تساعدنا في تحديد أكثر دقة لنشأة هذا النوع من المباني . وعلى الرغم من أنّ المصادر التاريخية تؤكد على وجود قصور التخزين في القرن العاشر الهجري - السادس عشر مسيحي[4] . فقصور التخزين التي وجدت بمنطقة قرب تطاوين بتونس، يعود تاريخها إلى القرن السادس الهجري - الثاني عشر مسيحي [5] .

ويبدو أنّ بعض قصور التخزين في جبل نفوسة مثل قصري فرسطه وشروس، كانتا جزءاً من التخطيط الأصلي لهاتين القريتين [6] . وهذا الأمر يجعلنا منقادين إلى مناقشة أصل قصور التخزين حصرا في جبل نفوسة، مع الأخذ في

---

(1) أنظر أعلاه ، ص – 36- 7 ، 53 ، 77 .

(2) أنظر H.T.Norris , Cave habitation and granaries in Tripoli Tania and Tunisia , 1953 p . 84 .

(3) نفس المصدر ، ص . 84 .

(4) أنظر أعلاه ، ص . 37- 8 .

(5) نوريس ، نفس المصدر ، ص . 84 .

(6) أنظر أعلاه ، ص . 53 ، 77 .

الاعتبار استيعاب الجوانب الاجتماعية والسياسية لهذه المنطقة في القرون الإسلامية الأولى .

وفوق كل هذا فثمة ما يدعو إلى الظن بأنّ أصولها تعود إلى فترة ما قبل الإسلام . ذلك أنّ فكرتها تتناقض وما درج عليه العرب من عادات في شمال أفريقيا [7] . وعلى الرغم من هذا فمن الخطأ أن نميل إلى هذا القول في غياب الدليل الأثري .

ويجدر القول أيضاً أنّ الإشارة إلى قصور التخزين في هذه الرسالة، قد أتت لاستكمال تصورنا عن التخطيط العام للقرية الأباضية [8]. ولكنها في ذات الوقت قد فتحت مجالاً لأولئك الذين يرغبون التعمق في دراسة قصور التخزين في جبل نفوسة، دراسة علمية وموضوعية .

وأما بالنسبة للزخارف التي عثر عليها في جبل نفوسة، فلقد نوقشت في إطار علاقتها بزخارف وجدت بالقيروان وسدراته وسامراء [9]. وبالإضافة إلى ذلك فبعض العناصر الزخرفية، التي وجدت بجبل نفوسة تذكرنا بمثيلاتها على التحف المعدنية والحلي والأعمال الفنية على الخشب، وكذلك على القطع الفخارية في القرون الإسلامية المبكرة وخصوصاً في العراق .

وإذا رجعنا إلى موضوع الوحدة الزخرفية بمسجد تنومايت، والتي تتكون من أربعة دوائر متداخلة [10] .فنجد أنّ الدائرة الداخلية يملؤها عنصر لزهرة مفصصة ، بينما تخلو الدائرتان اللتان تليانها من الرسوم . ونرى أنّ الدائرة الخارجية قد ملئت بالشرطات الصغيرة المائلة . وهذه الوحدة الزخرفية تعد إلى حد كبير متطابقة مع ما وجد على قطعة خزفية بطرسوس، تعود إلى القرن الثاني الهجري - الثامن مسيحي [11]. وإضافة إلى ذلك فعنصر النجمة السداسية المحاطة بدائرة، الذي وجد على جانبي المحراب، في مسجد ابناين، يشبه إلى حد كبير، ما وجد على قطعة خشبية، محفوظة بمتحف المروبوليتان بنيويورك [12] .

ونرى أيضاً هذه الوحدة الزخرفية على إحدى القطع الخشبية التي تشكل المنبر الخشبي لمسجد القيروان . وهذا المنبر- من المعروف - أنّه صنع في العراق في القرنين الثاني - الثالث الهجري - الثامن - التاسع مسيحي [13] .

---

(7) نوريس ، نفس المصدر ، ص . 84 - 5 .

(8) أنظر أعلاه ، ص . 49 .

(9) أنظر أعلاه ، ص . 68- 9 ، 71 .

(10) أنظر أعلاه ، ص . 42 ، (وشكل ، 103) .

(11) أنظر Florence E.Day.The Islamic finds at Tarsus, Asia , 1941 , pp, 134 - 6 , fig . 3 .

(12) أنظر ، زكي محمد حسن ، أطلس الفنون الإسلامية ، القاهرة ، 1956 ، ص . 434 . وشكل 276 .

(13) نفس المصدر ، ص . 435 ، وشكل 282 .

ولذا فتأثير الفن الإسلامي في الشرق يبدو جلياً في زخارف الجبل. وهذا التأثير لم يكن محصوراً في هذا الجانب، بل تعداه إلى الجانب الفقهي والتجاري وفقاً لليعقوبي. فهو في كتابه، كتاب البلدان، أثناء حديثه عن زويله، حيث ذكر أنّه إلى الجنوب من ودان تقع بلدة زويله، وأهلها كلهم مسلمون أباضيون، والجلود المعروفة بالزويلية من أهل خراسان والبصرة والكوفة .

ويبدو أنّ تلك الطوائف من الأباضيين التجار، الذين قدموا من الشرق، ووجدوا ملاذاً بين الأباضيين في مناطق شمال أفريقيا. وهذا ما يشهد عليه وجود مجموعات من الكوفة والبصرة في مناطق أخرى مثل منطقة سجلماسة[14] .

وهذه الشذرات تزيد من صحة الاحتمالات المقترحة لتواريخ مساجد الجبل المذكورة أعلاه، وخصوصاً تلك التي وجدت بها الأعمال الفنية الزخرفية .

---

(14) قارن ، Corpus of early Arabic sources for west African history , N.Levtzion and J.F.P. Hopkins , Cambridg , 1980 . pp . 22 , 378 .

BIBLIOGRAPHY

Abu al-Abbas Ahmad al-Qalqashandi	Subh al-Asha fi Sina at al-Insha, Cairo, 1913.
Aida Arif	Arabic Lapidary Kufic in Africa, Amman, 1966.
Al-Shaykh Yaqut al-Baghdadi	Mu jam al-Buldan, Cairo, 1960.
Abu al-Yaqzan Ibrahim	Sulayman al-Baruni Basha fi Atwar Hayatih, Algeria, 1956.
Al-Raqiq al Qayrawani	Tarikh Ifriqiya wa al-Maghrib, ed. Al-Munji al-Ka bi, Tunisia, 1968.
Ahmad b. Sa id al-Shammakhi	kitab al-Siyar, Cairo, I947.
Ali Yahya Mu ammar,	al-Ibadiyya fi Mawkib al-Tarikh, Cairo, 1964.
Al-Baladhuri	Futuh al-Buldan, ed. R. Muhammad Radwan, Cairo, 1932 .
Al-Tijani	Rihlat al- Tijani, Tunisia, 1958 .

Al-Bakri — al-Masalik wa al-Mamalik al-Mughrib fi dhikr Bilad Ifriqiya wa al-Maghrib, ed. De Slane, Cairo, 1857 .

Abu Rabi Sulayman Al-Baruni — Mukhtasr Tarikh al-Ibadiyya, Tunisia, 1936 .

Farid. Shafi — al-Imara al-Arabiyya fi Misr al-Islamiyya, Cairo, 1970 .

Hajji khalifa b. Abd Allah — Kashf al-Dhunun, Cairo, 1885 .

Husain Mu nis — Fatah al-Arab Li al-Maghrib, Cairo, 1947 .

Hasan H. Abd al-Wahhab — Khulasat Tarikh, Tunis, Tunisia, 1968 .

Ibn al-Nadim Muhammad b. Ishaq — Kitab al-Fihrist, Cairo, 1905 .

Ibn al-Saghir al-Maliki — Sirat al-I imam al-Rustumiyyin, Paris, 1907 .

Ibn Idhari — Kitab al-Bayan al-Mughrib fi Akhbar al-Andalus wa al-Maghrib, ed. G. S. Colin and E. Levi Provencal, Leyden, 1948 .

Ibn Al-Athir — Kitab al-kamil fi al-Tarikh, Leyden, 1967 .

Ibn Abd al-Hakam — Futuh Ifriqiya wa al-Andalus, ed. Anis al-Tabba, Beirut, 1964 .

Ibn Hawqal — Surat al-Ard, ed. Kramers, Leyden, 1938-9 .

Ibn khaldun — Kitab al-Ibar wa Diwan al-Mubtada Wa al-Khabar, Cairo, 1867 .

Kamal al-Din Samih — al-Imara fi Sadr al-Islam, Cairo, 1964 .

Muhammad al-Murabit — Facts about Libya, Malta, 1964 .

Muhammad Ali Abu Dabbuz — Tarikh al-Maghrib al-kabir, Cairo, 1963 .

M.y. Najm and A. al-Abbar — Libya fi kutub al-Tarikh wa al-Jughrafiya, Benghazi, 1968 .

Salah al-Din al-Munajjid — Etudes de paleographie Arab, Beirut, 1972 .

S. Zbiss — Al-Funun al-Islamiyya fi al-Bilad al- Tunisiyya, Tunisia, 1968 .

Tahir A. Al-Zawi — Mu jam al-Buldan al-Libiyya, Tripoli, 1968 .

A. Mondadori — Itineraire Tripolis Ghudames,
Verona, 1939 .

A. De Calassanti Motylinki — Le Djebel Nefousa,
Paris, 1898 .

A. Fantoli — La Libia,
Roma, 1933 .

A. Grohmann — The origin and early development of Floriated kufic,
Ars Orientalis, II, 1957 .

Abu Zakariyya — Chronique di Abou Zakaria,
ed. E . Masqueray,
Algeria, 1878.

B. Francis and N. Naqshabandi — al-Maharib al-Qadima,
Sumer, VII, 1951 .

b. Roy and P. Poinssot — Inscriptions Arabes de Kairouan,
Paris, 1950 .
Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, N. S. II, 1944 .

I .E .L . Haynes — Antiquities of Tripolitania,
Kent, 1965 .

E. Rossi — Storia di Tripoli e della Tripolitania dalla conquista Araba al 1911,
Rome, 1968 .

E. F. Gautier — Le passé de L'Afrique du Nord,
Translated by H. al-Husayni,
Tripoli, 1970 .

E. Herzfeld — Die Ausgrabungen von Samarra, I, der Wandschmuck der Bauten von Samarra und Seine Ornamentik, Berlin, 1932 .

E. Kuhnel — Islamiche Schriftkunst, Berlin, 1942 .

Excavation at Samarra, 1936-39, Baghdad, 1940 .

G. Marcais — Manuel d'art Musulman, Paris, 1927 .

G. Marcais — Notes et documents, VIII, Coupole plafonds de la grande Mosquee De Kairouan, Paris, 1925 .

G. Messana — L'Architecture Musulmane Libyenne, Tripoli, Tunisie, 1977 .

H. Hazard — The Numismatic history of late Medieval North Africa, New York, 1952 .

Islamic Art and Architecture in Libya — Published by the Libyan committee for Participation in the World of Islam, London, 1976 .

J. S. Nickerson — A Short history of North Africa, New York, 1968 .

J. Chardin — Voyage en Perse,
Amsterdam, 1711 .

J. Despois — Le Djebel Nefousa,
Paris / Tunis, 1935 .

J. Schucht — Sur la diffusion des formes
D'architecture religeuse
Musulmane a traverse le Sahara,
Extrait de trawaux de l'institute de
Recherches sahariennes, Tome XI,
Alger, 1954 .

K. A. C. Creswell — Early Muslim Architecture,
G.B., 1958-Oxford, 1932-40.

M. Van Bercham — Sedrata, studies in Islamic art
And architecture,
In honour of Professor Creswell,
Cairo, 1965 .

M. Gaston Wiet — Catalogue due Musee Arabe Steles
Funeraires
Cairo, 1936 .

Nabia Abbot — The rise of north Arabic Script,
Chicago,

P. Sebag — The great mosque of kairouan,
Translated by R. Howard,
Paris, 1965 .

R. Goodchild — Roman roads in Libya and their mile stones,
Libya, 1968 .

R. Basset — Le Sanctuaires du Djebel Nefousa, Journal Asiatique, Vol. X III .

S. Flury — Une Formule Enigraphique de la Ceramique Cerchaique de L'Islam, Paris, 1927 .

Stanford Research Institute — Area handbook for Libya, Washington, 1969 .

T. Lewicki — Etudes Ibadites Nord Africanes, Partie I, Tasmiya Suyuh Gabal Nafusa wa Qurahum, Warszovu, 1955 .

قائمة الصور

28- بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت .
29- بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت .
30- بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت .
31- بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت .
32- الجانب الجنوبي الغربي داخل مسجد تنومايت .
33- زخارف بمسجد تنومايت .
34- الكتابة الموجودة على مدخل مسجد تنومايت .
35- بقايا آثار قصر سيدي حامد .
36- جزء من الخندق حول قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد .
37- جزء من الخندق حول قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد .
38- الفناء الداخلي لقصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد .
39- إحدى حجرات قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد .
40- المسجد القديم بأبناين .
41- الجانب الغربي لمسجد أبناين حيث المدخل الخاص بالنساء في الجهة الجنوبية الشرقية .
42- منظر عام لقرية أبناين القديمة كما تبدو من خلال النظر إليها من مدينة كاباو التي تقع إلى الشرق من أبناين .
43- جزء من بقايا السور القديم الذي من المحتمل أنه كان يحيط بأبناين القديمة .
44- مسجد أبناين كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية .
45- المدخل الخاص بالنساء مع الفتحتين الصغيرتين في مسجد أبناين .
46- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبناين .
47- الدرج الذي كان يقود إلى سطح مسجد أبناين .
48- محراب مسجد أبناين مكتنفاً من الجهتين بالزخارف .
49- زخارف تكتنف محراب مسجد أبناين .
50- زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين .
51- زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين .
52- زخارف على محراب مسجد أبناين .
53- زخارف على محراب مسجد أبناين .
54- زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين .
55- زخارف على محراب مسجد أبناين .
56- زخارف على الجهة اليسرى عند مواجهة محراب مسجد أبناين .
57- قرية فرسطه القديمة كما تبدو من الجهة الجنوبية الغربية .

58- قرية فرسطه القديمة ويتوسطها قصر التخزين .
59- فرسطه القديمة وتبدو منازلها المتلاصقة أخذت هذه اللقطة من الجهة الجنوبية.
60شارع من شوارع مدينة غدامس القديمة .
61- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبى يحي بفرسطه القديمة .
62- الفناء الخارجي لمسجد أبى يحي بفرسطه والمحراب .
63- محراب مسجد أبى يحي بفرسطه القديمة .
64- الرواق الشمالي الغربي بمسجد أبى يحي بفرسطه .
65- داخل مسجد أبى يحي، وإلى اليمين تبدو الحجرة الصغيرة التي كان يحتفظ فيها بالمخطوطات .
67- المدخل الجنوبي الغربي لمسجد أبى يحي بفرسطه .
68- فناء مسجد أبى يحي الفرسطائى .
69- الجدار الجنوبي الغربي بداخل مسجد أبى يحي .
70- فناء مسجد أبى يحي حيث تظهر الحجرة الخاصة بالزوار .
71- المدخل الرئيسي لمسجد أبى يحي، الذي يقع في الجدار الشمالي الشرقي .
72- بقية آثار لفرن صناعة الفخار على بعد أمتار من مسجد أبى يحي .
73- مسجد أبى نصر بتملوشايت القديمة، ويظهر المحراب البارز عن الجدار باتجاه الجهة الجنوبية الشرقية .
74- المخطط الأفقي الأرضي لمسجد أبى نصر بتملوشايت القديمة .
74- أ. محراب مسجد أبى نصر بتملوشايت القديمة .
75- الجدار الشمالي الغربي لمسجد أبى نصر، وهو ترميم لاحق .
76- مسجد أبى نصر كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية بتملوشايت .
77- بقايا آثار لمسجد أبى نصر، وهي تمتد باتجاه الشمال الغربي من الرواق القائم الآن .
78- مسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية .
79- جزء من الجدار الغربي لمسجد أبى منصور بتندميره القديمة .
80- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبى منصور بتندميره .
81- المدخل الرئيسي لمسجد أبى منصور الياس، الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية .
82- الجار الشمالي الغربي لمسجد أبى منصور حيث يظهر المدخل الآخر .

83- الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أبى ممنصور، حيث تبدو آثار الترميم واضحة.
84- (الصمعة) بمسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة .
85- (الصمعة) بمسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة .
86- (الصمعة) بمسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة .
87- حجرات الزوار لمسجد أبى منصور، التي تقع إلى الشمال الشرقي من المسجد.
88- الكتابة الأثرية، التي تبدو على اليمين عند مواجهة المحراب .89- لقطة لمسجد أبى منصور بداخل قاعة الصلاة .
90- تجويف بجدار القبلة إلى اليمين عند مواجهة المحراب .
91- محراب مسجد أبى منصور الياس بقرية تندميره .
92- محراب مسجد أبى منصور الياس بقرية تندميره .
93- محراب مسجد أبى منصور الياس بقرية تندميره .
94- زخارف تكتنف محراب مسجد أبى منصور بتندميره .
95- زخارف تكتنف محراب مسجد أبى منصور بتندميره .
96- زخارف إلى يمين الناظر إلى محراب مسجد أبى منصور بتندميره .
97- عمود يظهر على اليسار عند مواجهة محراب مسجد أبى منصور .
98- زخارف داخل تجويف المحراب .
99- زخارف داخل تجويف المحراب .
100- زخارف داخل تجويف المحراب .
101- زخارف داخل تجويف المحراب .
102- زخارف داخل تجويف المحراب .
103- زخارف داخل تجويف المحراب .
104- محراب مسجد أبى منصور بتندميره حيث الحجران المثبتان في جدار القبلة.
105- حجر مزخرف بسقف مسجد أبى منصور نتيجة لأعمال الترميم .
106- حجر مزخرف بسقف مسجد أبى منصور نتيجة لأعمال الترميم .
107- حجر مزخرف وجد خارج مسجد أبى منصور الياس بتندميره .
108- تاج عمود بمسجد أبى منصور الياس بتندميره .
109- منظر عام لمدينة شروس القديمة .
110- مبنى متصدع بوسط مدينة شروس القديمة .
111- بقايا آثار مبنى مكتبة جبل نفوسة القديمة بشروس .
112- مسجد شروس ومدخله الجنوبي الغربي .

113- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد شروس .
114- الجدار الجنوبي الغربي لمسجد شروس .
115- مسجد شروس، حيث يبدو المحراب بارزاً إلى الخارج عن جدار القبلة .
116- مسجد شروس كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية و"الصمعة" فوق السطح.
117- مدينة شروس القديمة يتوسطها مسجد أبى معروف القديم .
118- كتابة أثرية على المدخل الجنوبي الغربي لمسجد شروس .
119- محراب مسجد شروس .
120- الكتابة المموجودة على جدار القبلة، إلى اليسار، عند مواجهة المحراب.
121- كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس .
122- كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس .
123- محراب مسجد شروس .
124- رواق القبلة بمسجد شروس .
125- الرواق الثاني بقاعة الصلاة بمسجد شروس باتجاه الشمال الغربي .
126- الدرج الذي يقود إلى سطح مسجد شروس، والذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد .
127- تجويف في الجدار الشمالي الشرقي داخل قاعة الصلاة بمسجد شروس .
128- حجر مزخرف مستعمل في حنية معقودة داخل مسجد شروس .
129- الفتحة الموجودة بالجدار الفاصل داخل مسجد شروس .
130- كتابة أثرية وزخارف على العقد الموجود بالجدار الحاجز .
131- حجر مزخرف مثبت في الجدار الفاصل بقاعة الصلاة بشروس .
132- حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس .
133- حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس .
134- قاعة الصلاة بمسجد شروس .
135- قاعة الصلاة بمسجد شروس .
136- كتابة أثرية بالرواق الأوسط بمسجد شروس .
137- كتابات أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس .
138- كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس .
139- كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس .
140- الرواق الشمالي الغربي بمسجد شروس، حيث أثار الترميم .
141- كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس .
142- كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس .

143- كتابة وجدت بالرواق الأوسط لمسجد شروس بمواجهة جدار القبلة .
144- حجر مزخرف وجد بالجدار الشمالي الغربي بمسجد شروس .
145- الجدار الشمالي الغربي لمسجد شروس، وهو من آثار أعمال الترميم .
146- كتابة أثرية وجدت قريباً من مدخل الحجرة الصغيرة بمسجد شروس .
147- كتابة أثرية عبرية وجدت بقرية تندميره القديمة .
148- كتابة أثرية عبرية وجدت بموقع المقبرة اليهودية بشروس .
149- الموقع الأثري لقرية ويغو القديمة .
150- مسجد أبى مهدى بويغو كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية .
151- الرواق الوحيد القائم بمسجد أبى مهدى الويغوى .
152- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبى مهدى بقرية ويغو .
153- لقطة داخلية للرواق المتبقي من مسجد أبى مهدى بويغو .
154- المحراب البسيط بمسجد أبى مهدى بويغو .
155- مسجد أبى مهدى وبقايا امتداد جدران المسجد المتصدع بويغو .
156- مسجد أبى مهدى كما يبدو من الجهة الجنوبية الغربية .
157- منزل تحت الأرض بقرية ويغو .
158- منازل بقرية ويغو الأثرية .
159- المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة .
160- المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة .
161- فناء منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية .
162- بقايا آثار منزل بقرية ويغو الأثرية .
163- منزل قديم بقرية ويغو، في الجنوب الغربي للقرية .
164- مدخل منزل المحراب بقرية ويغو .
165- مدخل لمنزل بقرية ويغو في الطرف الغربي للقرية .
167- داخل منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية .
168- الحجرة الرئيسية بمنزل المحراب كما تبدو من الجهة الجنوبية الغربي (ويغو) .
169- فناء منزل المحراب بقرية ويغو، والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي .
170- فناء منزل المحراب بقرية ويغو، والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي .
171- بقايا أثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة .
172- بقايا أثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة .

173- سطح مسجد الكنيسة بمنطقة تمزدة .
174- الجدار الجنوبي الشرقي لمسجد الكنيسة بتمزدة .
175- المخطط الأفقي الأرضي لمسجد الكنيسة بتمزدة .
176- قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة .
177- قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة .
178- لقطة لعمود من الأعمدة الموجودة بقاعة الصلاة لمسجد الكنيسة .
179- محراب مسجد الكنيسة بمنطقة تمزدة .
180- المدخل الوحيد لمسجد الكنيسة الموجود بالجدار الجنوبي الشرقي .
181- قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة .
182- قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة .
183- قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة .
184- الجهة الجنوبية الشرقية لمسجد الكنيسة بتمزدة .
185- الجهة الجنوبية الشرقية لمسجد الكنيسة بتمزدة .
186- الفناء الخارجي لمسجد الكنيسة، الذي يميد باتجاه الجهة الجنوبية الشرقية .
187- أحجار رومانية ملقاة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد .
188- بقية لعمود روماني موجود ليس بعيداً عن مسجد الكنيسة .
189- مسجد أم الطبول كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية .
190- مدخل مسجد أم الطبول، الذي يقع في الجدار الشمالي الشرقي .
191- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أم الطبول .
192- الجدار الجنوبي الشرقي لمسجد أم الطبول، ويظهر المحراب بارزاً عن الجدار .
193- حجران مزخرفان وجدا على جدار القبلة بمسجد أم الطبول .
194- قاعة الصلاة بمسجد أم الطبول .
195- قاعة الصلاة بمسجد أم الطبول .
196- زخرفة جصية على الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أم الطبول .
197- زخرفة على حجر موجود على أحد الأعمدة بمسجد أم الطبول .
198- عمود روماني بقاعة الصلاة بمسجد أم الطبول بتمزده .
199- عمود روماني بقاعة الصلاة بمسجد أم الطبول بتمزده .
200- الركن الشمالي الغربي لمسجد أم الطبول، تمزده .
201- مسجد أبى كار بمنطقة تمزدة .
202- الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أبى كار بتمزده .
203- حجر مزخرف إلى جانب مدخل مسجد أبى كار .

204- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبي كار .
205- داخل مسجد أبي كار بمنطقة تمزده .
206- الجدار الشمالي الغربي لمسجد أبي كار بتمزده .
207- بقايا آثار امتداد مسجد أبي كار الأصلي .
208- مدخل مسجد أبي كار بمنطقة تمزده .
209- كتابة أثرية وجدت مقابل محراب مسجد شروس في الرواق الأول .
210- كتابة أثرية وجدت بالجدار الفاصل بمسجد شروس .
211- كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس .
212- كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس .
213- كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس .
214- كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس .
215- كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس .
216- كتابة أثرية وجدت على محراب مسجد شروس .
217- كتابة كوفية وجدت بمسجد شروس .
218- كتابة كوفية وجدت على محراب مسجد أبنابن .
219- كتابة كوفية وجدت على محراب مسجد أبنابن .
220- كتابة كوفية وجدت على مدخل مسجد تنومايت القديم .

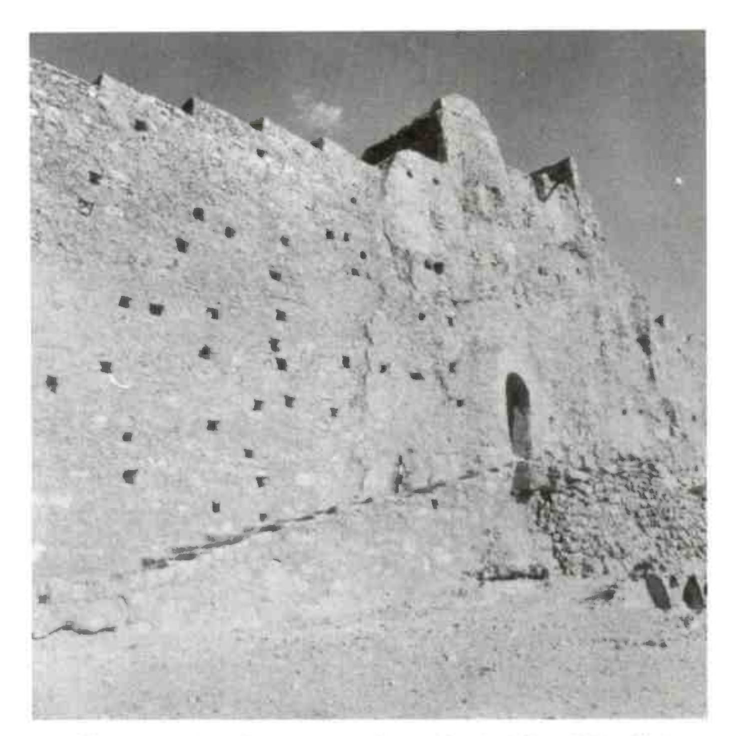
قائمة الصور

صورة -1-   منظر عام لمدينة نالوت القديمة كما يبدو من الجهة الشرقية

صورة -2-   . الجانب الغربي من قصر التخزين بنالوت مع بقايا منازل قديمة

صورة -3-   مبنى محكمة نالوت القديمة كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية

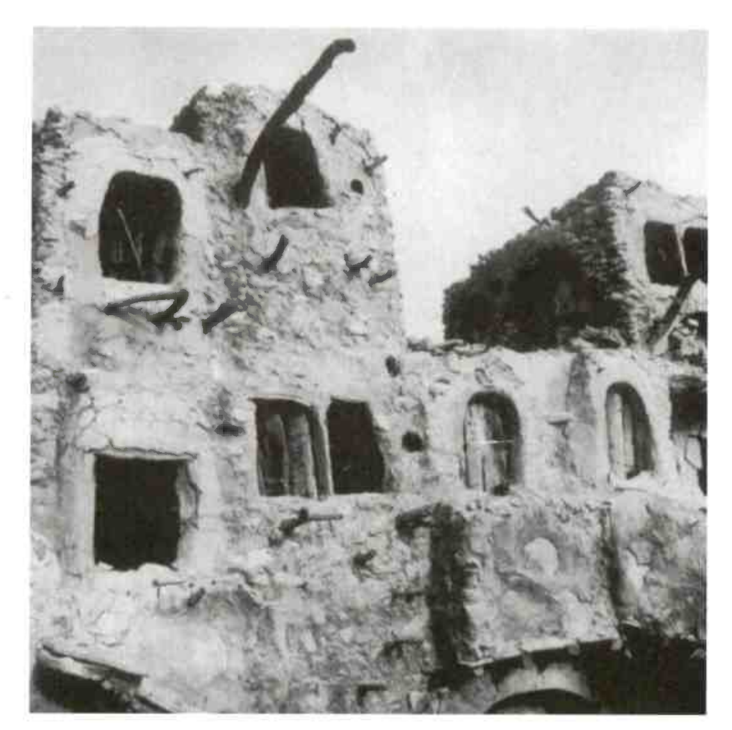
صورة -4-   (الصمعة) الخاصة بالمسجد الأعلى بنالوت الدالة على مكان المسجد



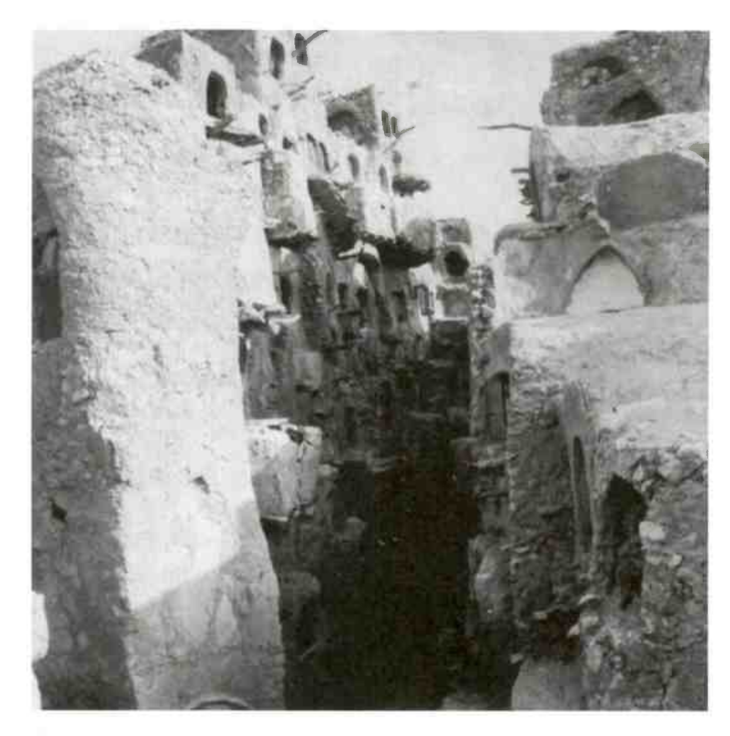
صورة -5- الجانب الشرقي لقصر التخزين حيث المدخل الوحيد للقصر



صورة -6- جزء من الجانب الغربي لقصر التخزين

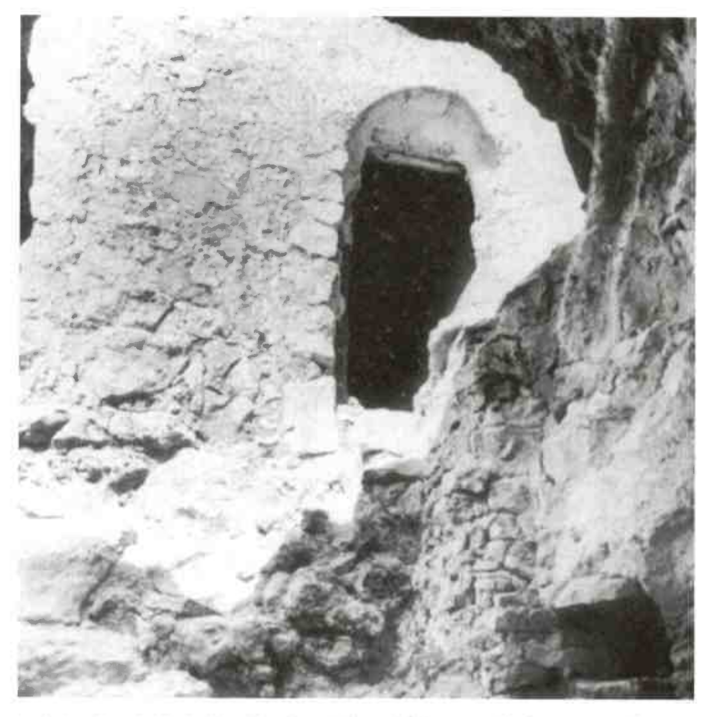


صورة -7-   الجانب الغربي لقصر التخزين بنالوت من الداخل

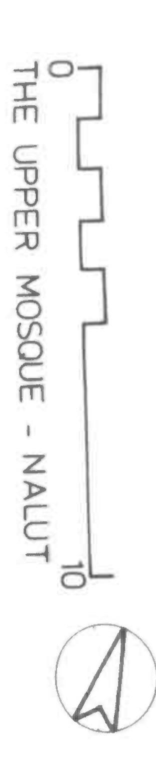


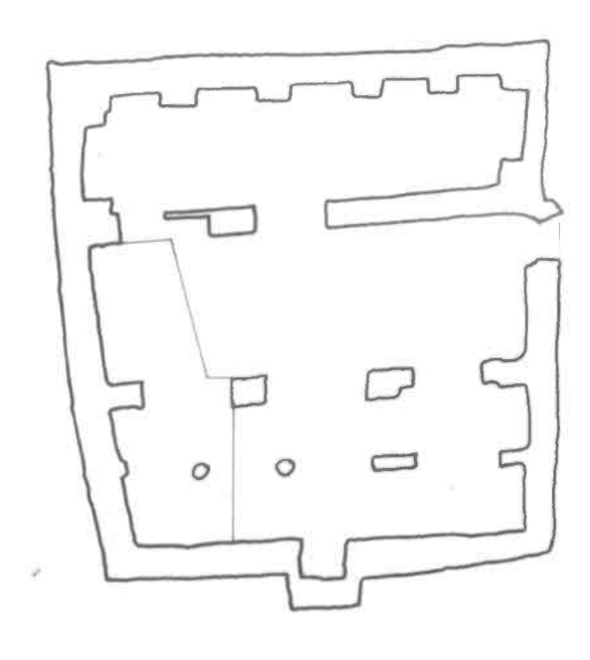
صورة -8-   جزء من الممر الذي يحيط بالمبنى الداخلي لقصر التخزين بنالوت

صورة -9- المسجد الأعلى بنالوت، الذي يشرف في الجانب الشمالي الغربي على بعض المنازل القديمة

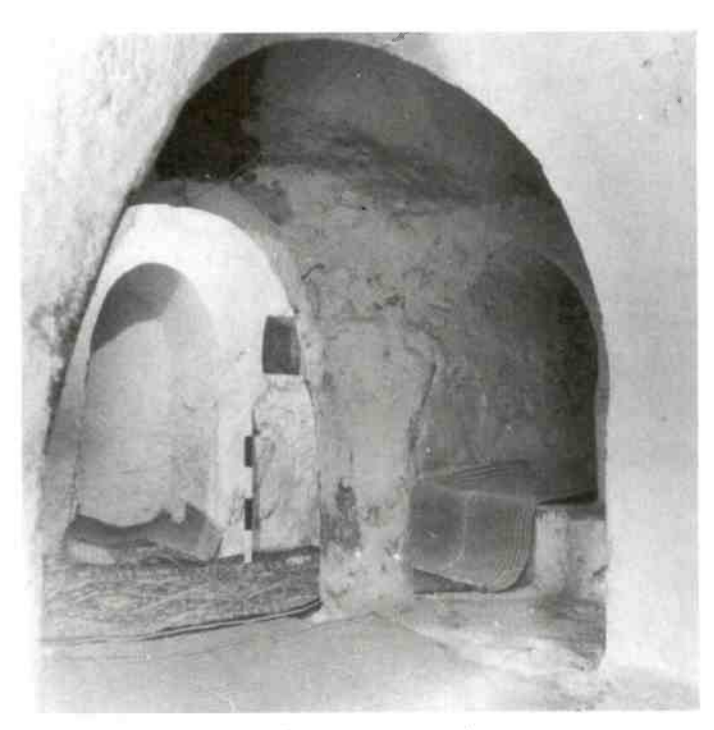


صورة -10- مدخل المسجد الأعلى، الذي يقع في الجدار الشمالي الشرقي

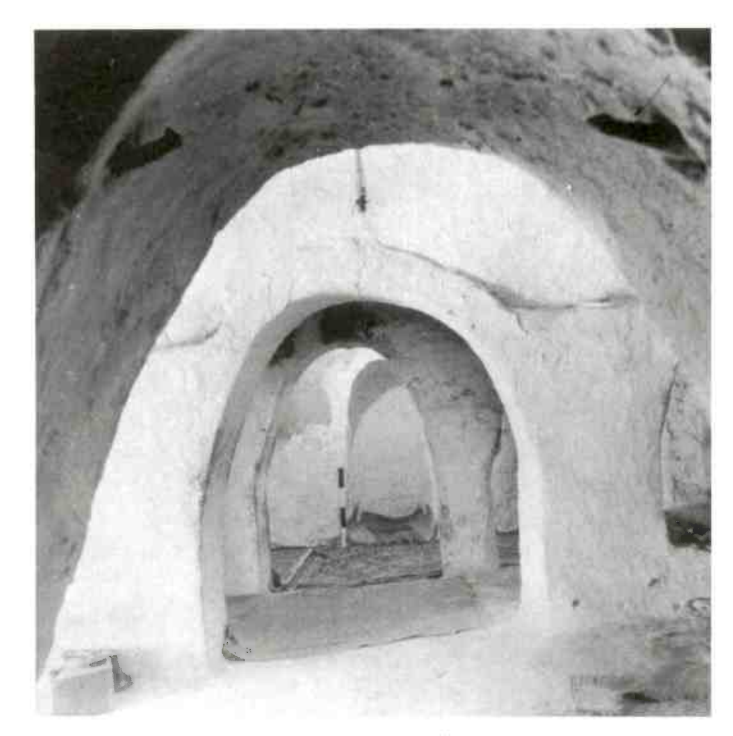




صورة -11-   المقطع الأفقي للمسجد الأعلى



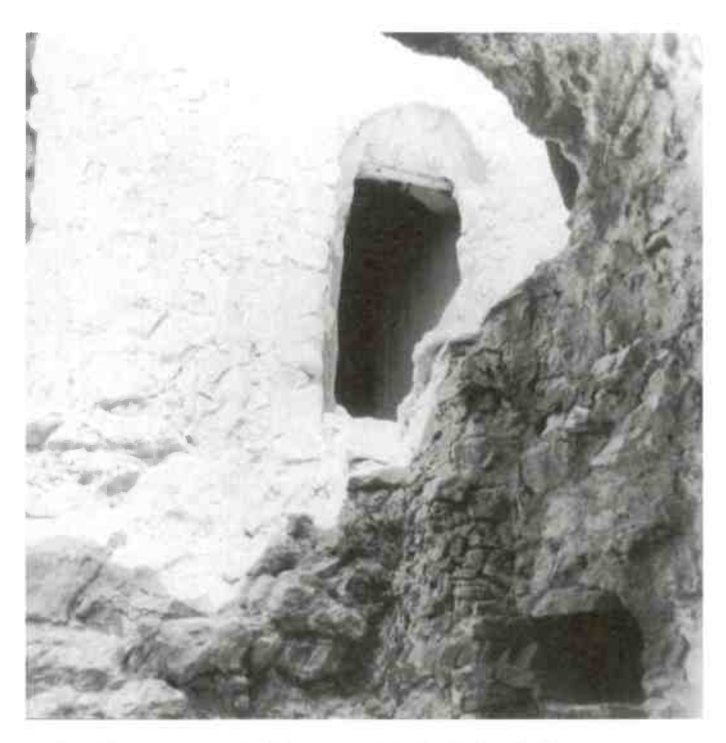
صورة -12-   داخل المسجد الأعلى حيث يظهر المحراب في الجهة الجنوبية الشرقية



صورة -13- داخل المسجد الأعلى كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية



صورة -14- الفتحة الموجودة في الجدار الغربي، التي كانت تقود إلى سطح المسجد

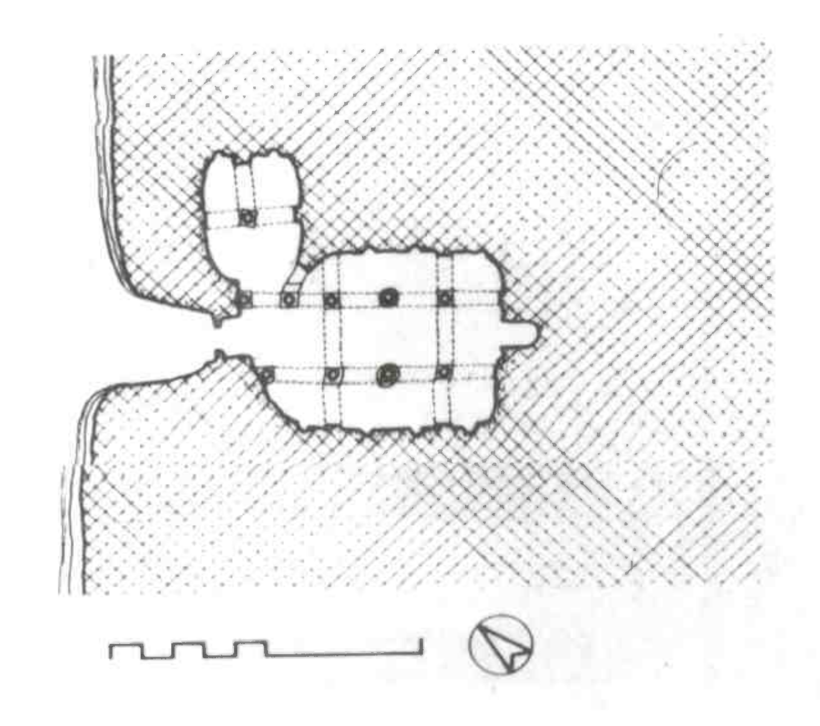


صورة -15- جزء من الواجهة المطلية للمسجد الأعلى حيث يبدو المدخل البسيط في الجدار الشمالي الغربي

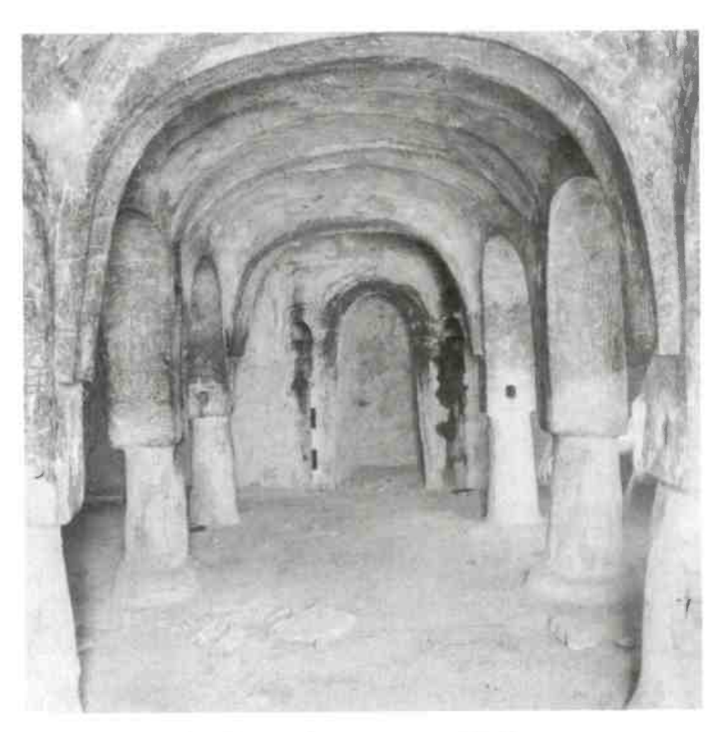
صورة -16- مدينة كاباو القديمة حيث يظهر قصر التخزين القديم

صورة -17-   الجانب الشرقي من قصر التخزين بكاباو

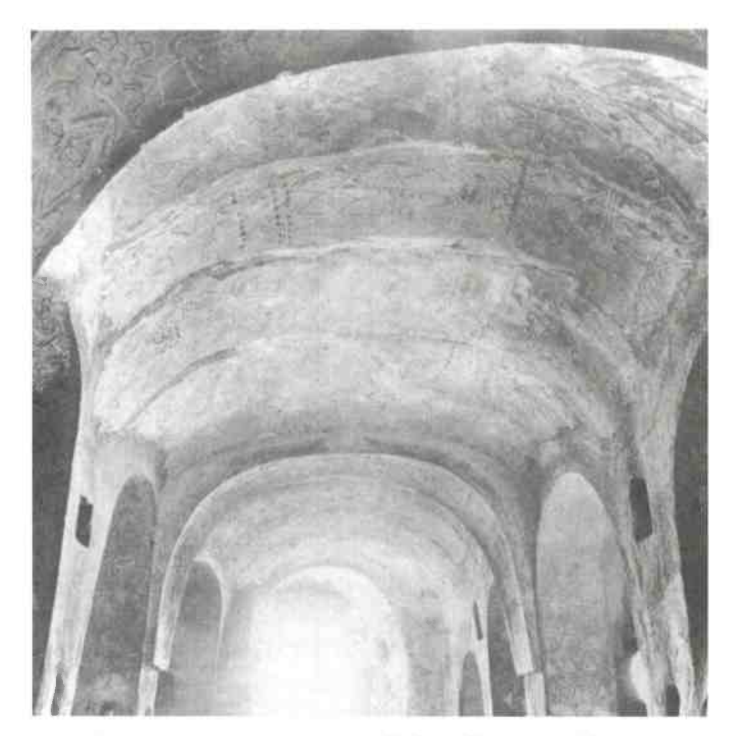
صورة -18   بقايا لآثار قرية تنومايت القديمة



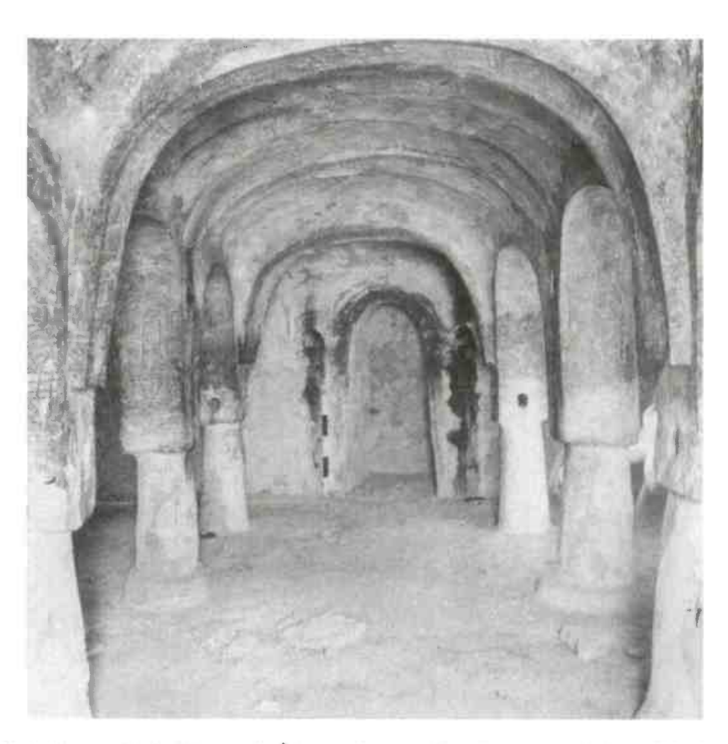
صورة -19-   المقطع الأفقي الأرضي لمسجد تنومايت القديمة



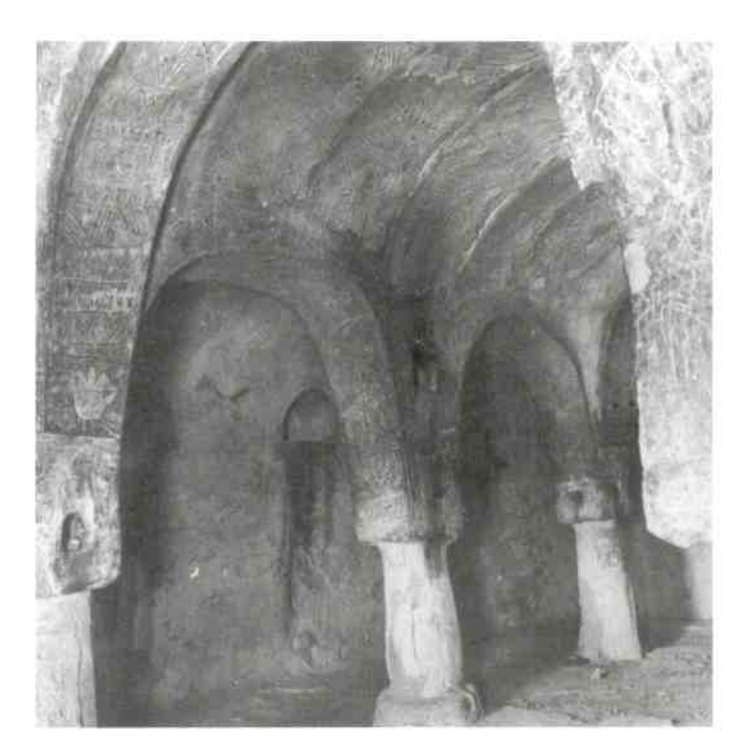
صورة -20   مسجد تنومايت من الداخل



صورة -21-   بعض الزخارف التي تزين سقف مسجد تنومايت



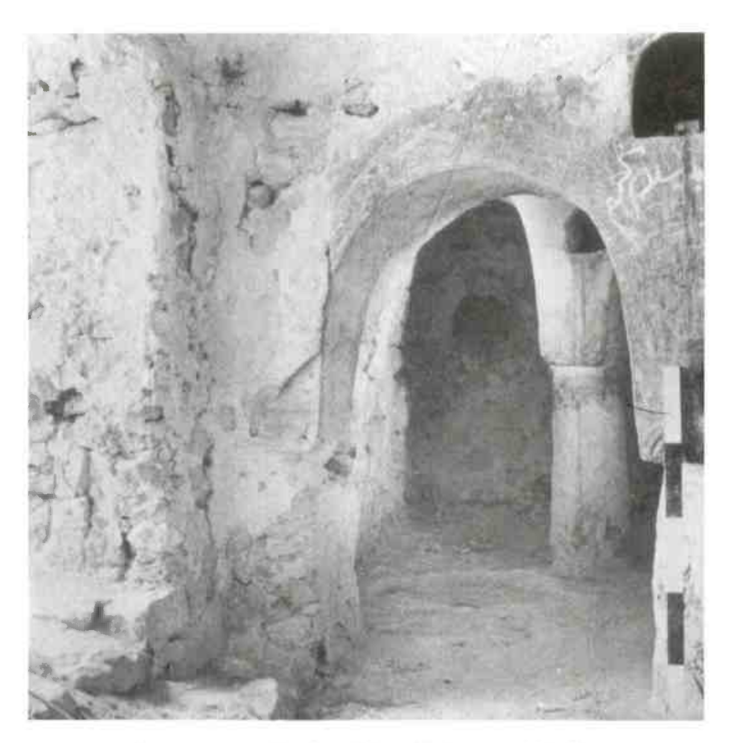
صورة -22-   داخل مسجد تنومايت حيث يبدو المحراب في الجدار الجنوبي الشرقي



صورة -23-   الجانب الشمالي الشرقي بداخل مسجد تنومايت



صورة -24-   الحجرة الصغيرة الواقعة في الركن الشمالي الشرقي بمسجد تنومايت



صورة -25 مدخل الحجرة الصغيرة بمسجد تنومايت



صورة -26- الركن الجنوبي الغربي بقاعة الصلاة بمسجد تنومايت حيث تبدو التجويفات الجدارية التي كانت مستعملة لحفظ قناديل الزيت

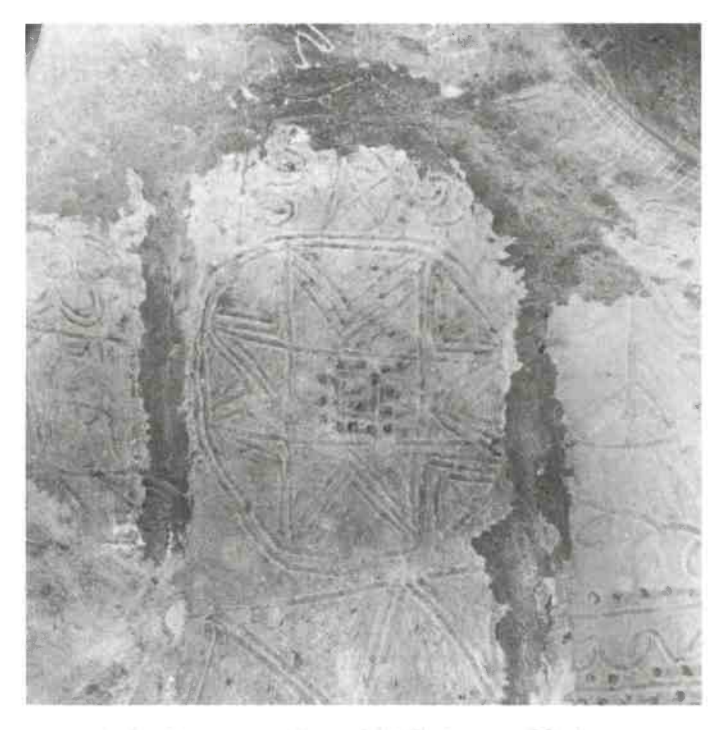


صورة -27   بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت



صورة -28-   بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت

صورة -29   بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت



صورة -30-   بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت



صورة -31-   بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت



صورة -32-   الجانب الجنوبي الغربي داخل مسجد تنومايت

صورة -33-   زخارف بمسجد تنومايت

صورة -34- الكتابة الموجودة على مدخل مسجد تنومايت

صورة -35- بقايا آثار قصر سيدي حامد



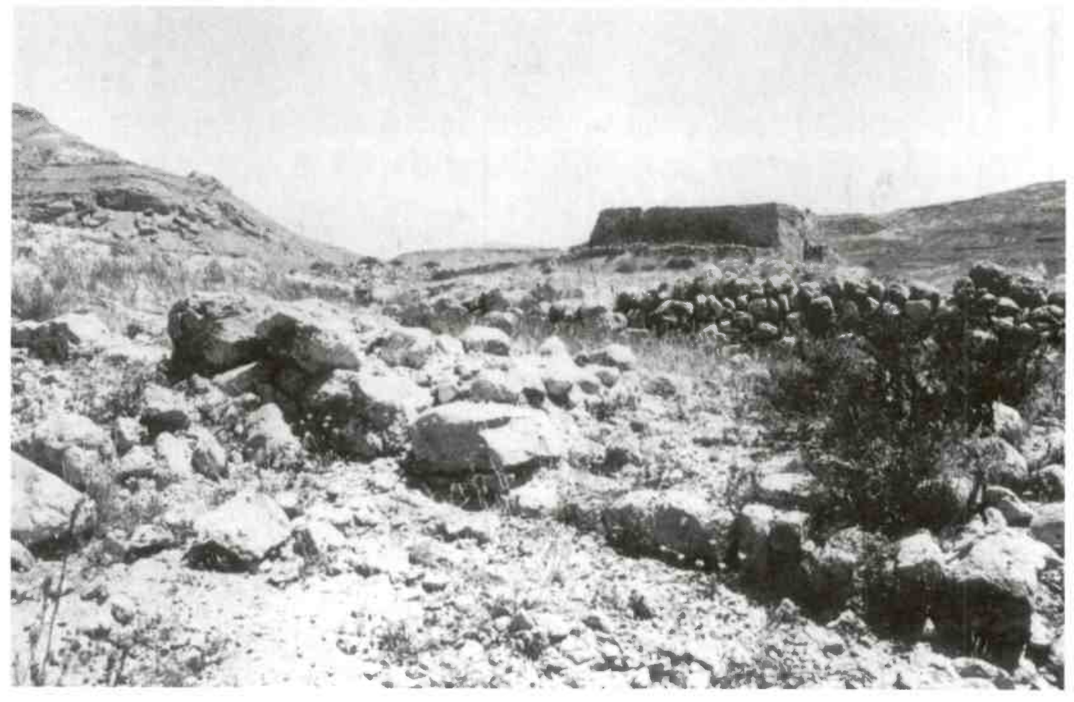
صورة -36- جزء من الخندق حول قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

صورة -37- جزء من الخندق حول قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

صورة -38- الفناء الداخلي لقصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

صورة -39- إحدى حجرات قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

صورة -40-   المسجد القديم بأبناين



صورة -41-   الجانب الغربي لمسجد أبناين حيث المدخل الخاص بالنساء في الجهة الجنوبية الشرقية



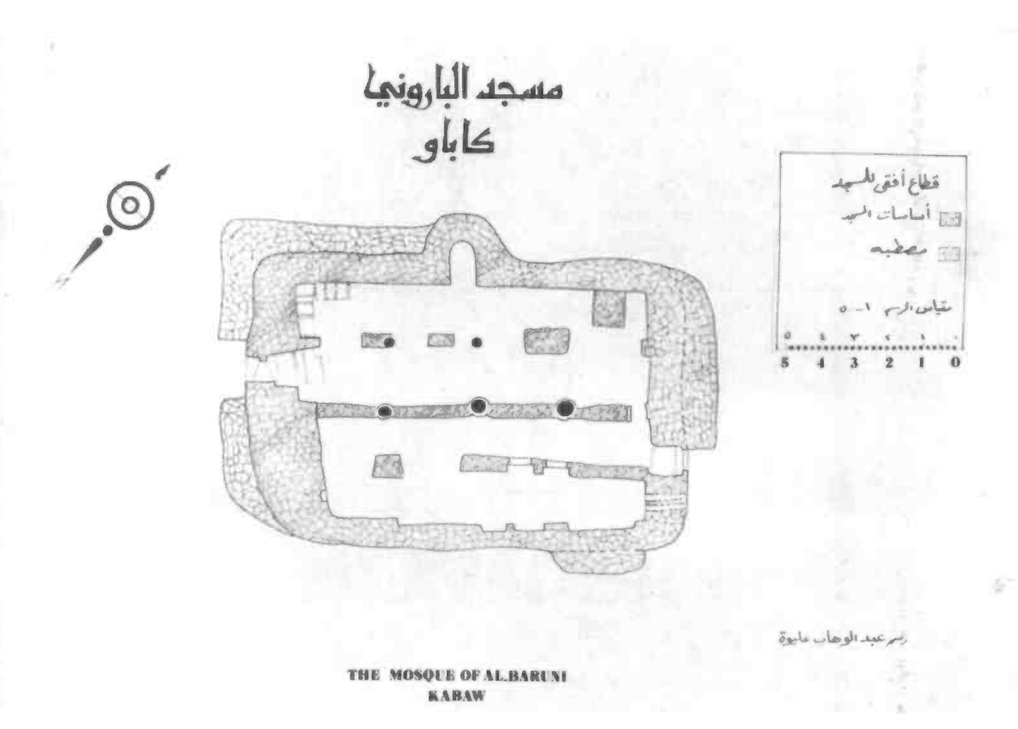
صورة -42- منظر عام لقرية أبناين القديمة كما تبدو من خلال النظر إليها من مدينة كاباو التي تقع إلى الشرق من أبناين

صورة -43- جزء من بقايا السور القديم الذي من المحتمل أنه كان يحيط بأبناين القديمة

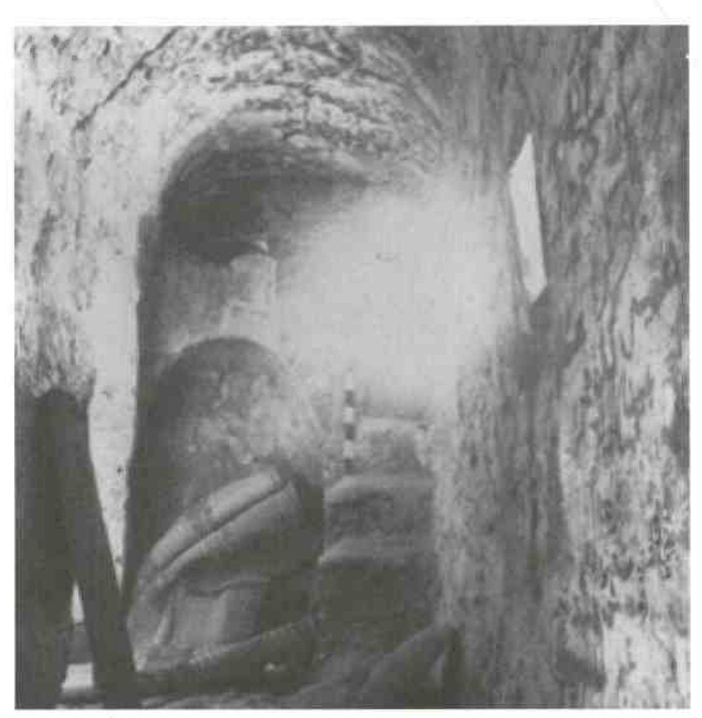
صورة -44-   مسجد أبناين كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية



صورة -45-   المدخل الخاص بالنساء مع الفتحتين الصغيرتين في مسجد أبناين



صورة -46- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبناين



صورة-47- الدرج الذي كان يقود إلى سطح مسجد أبناين



صورة -48- محراب مسجد أبناين-مكتنفاً من الجهتين بالزخارف



صورة -49-   زخارف تكتنف محراب مسجد أبناين



صورة -50-   زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين



صورة -51-   زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين



صورة -52- زخارف على محراب مسجد أبناين



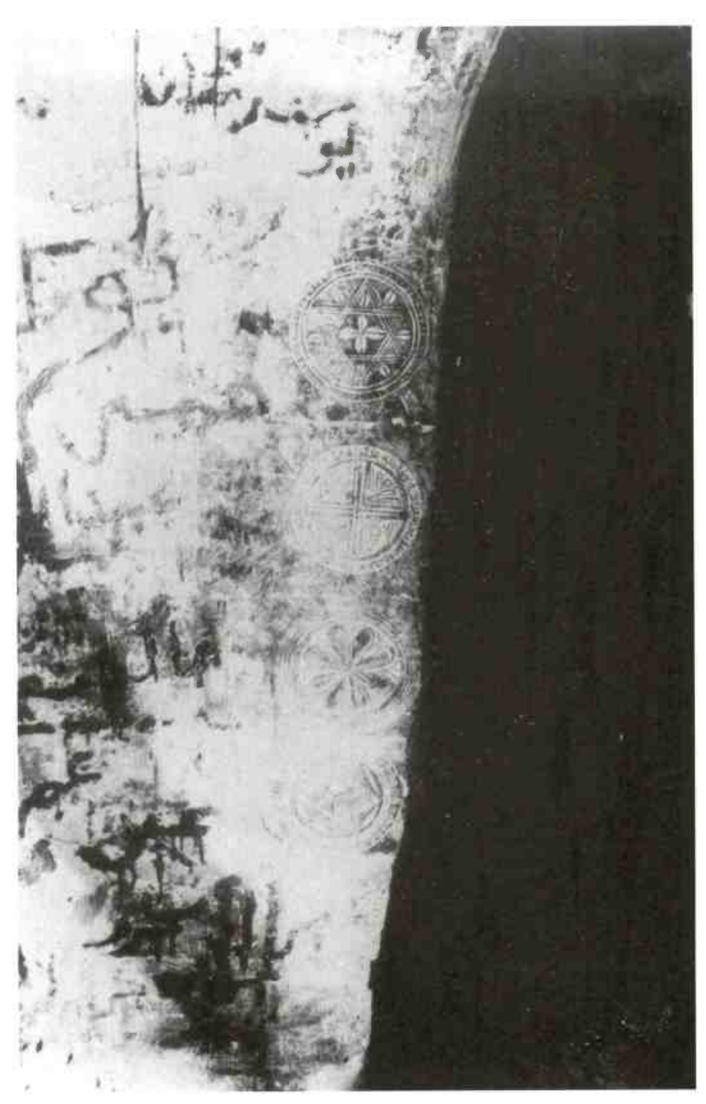
صورة -53- زخارف على محراب مسجد أبناين



صورة -54-   زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين

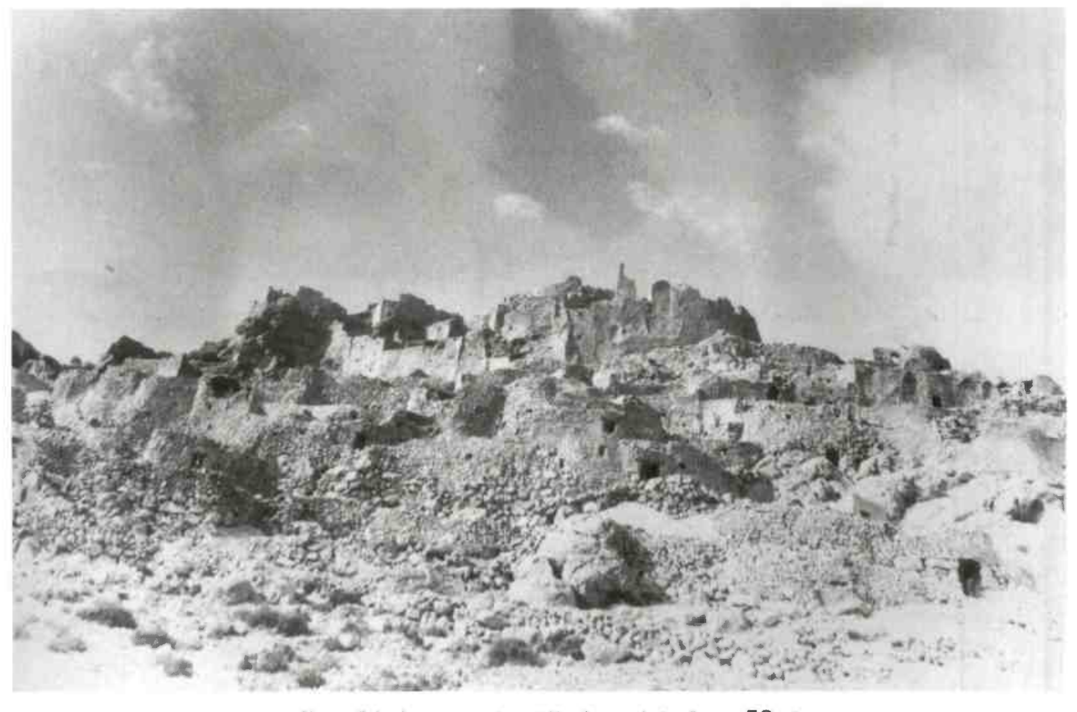


صورة -55-   زخارف على محراب مسجد أبناين



صورة -56-   زخارف على الجهة اليسرى عند مواجهة محراب مسجد أبناين

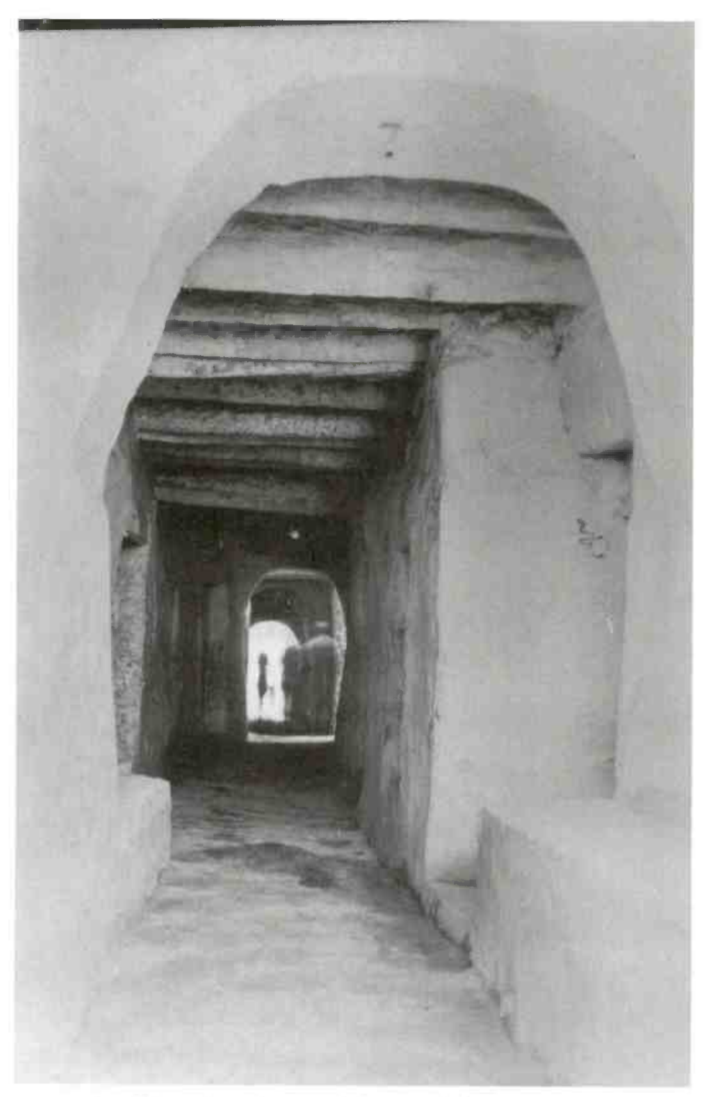
صورة -57-   قرية فرسطه القديمة كما تبدو من الجهة الجنوبية الغربية



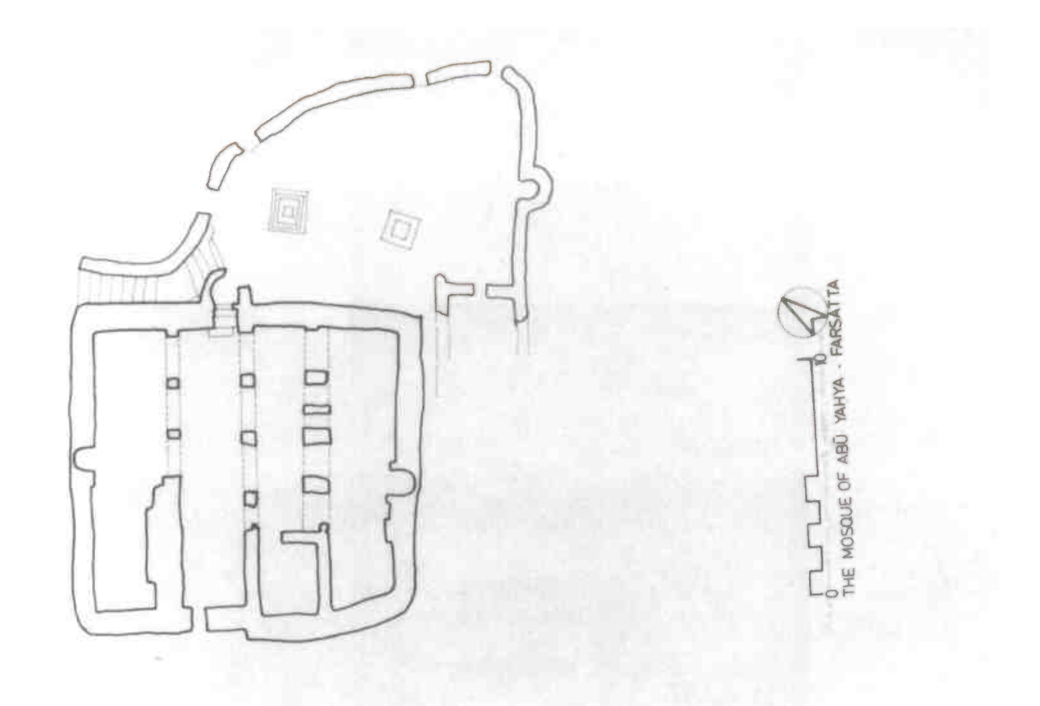
صورة -58-   قرية فرسطه القديمة ويتوسطها قصر التخزين



صورة -59-   فرسطه القديمة وتبدو منازلها المتلاصقة أخذت هذه اللقطة من الجهة الجنوبية

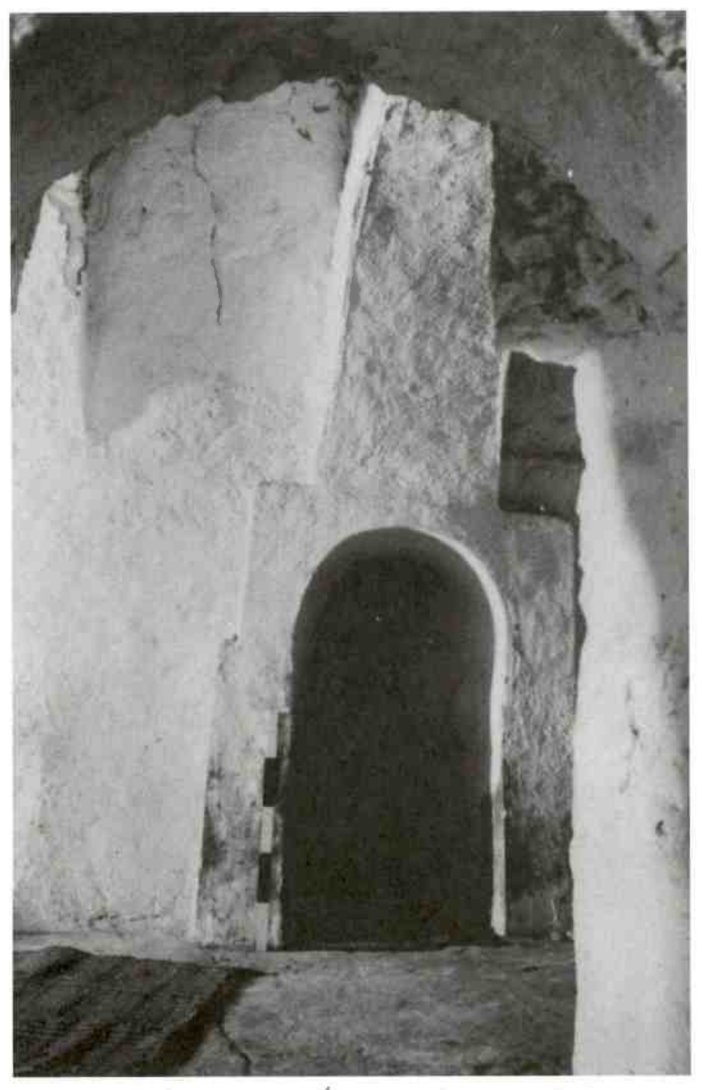


صورة -60-   شارع من شوارع مدينة غدامس القديمة



صورة -61- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبى يحي بفرسطه القديمة

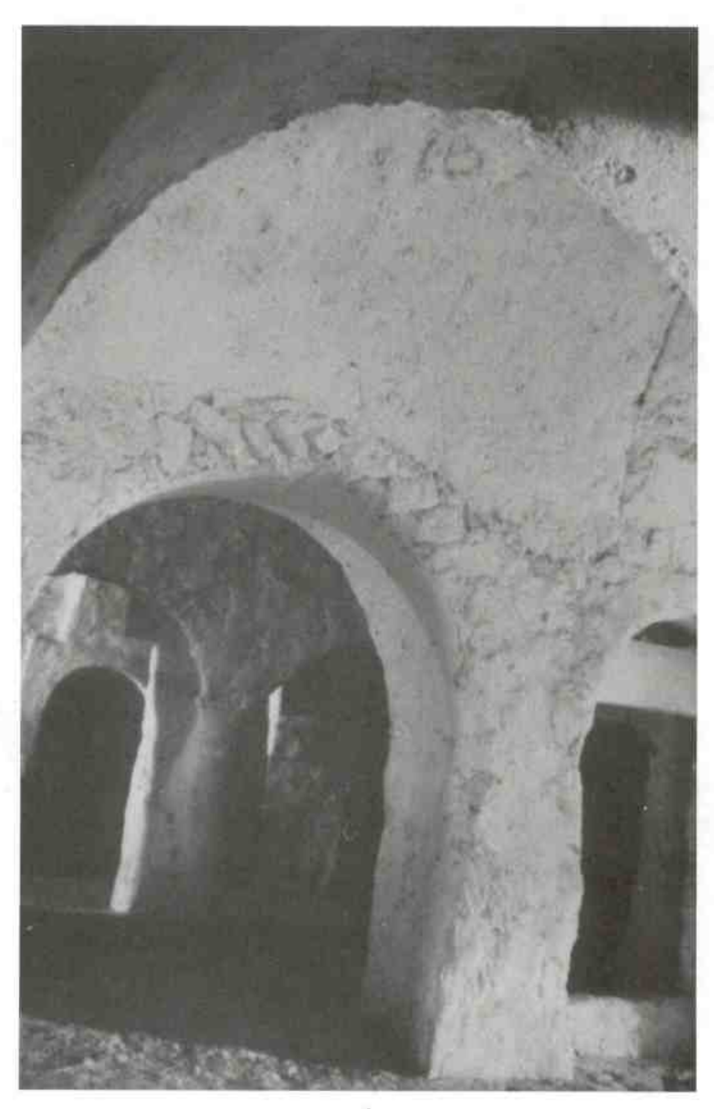
صورة -62- الفناء الخارجي لمسجد أبى يحي بفرسطه والمحراب



صورة -63-   محراب مسجد أبى يحي بفرسطه القديمة



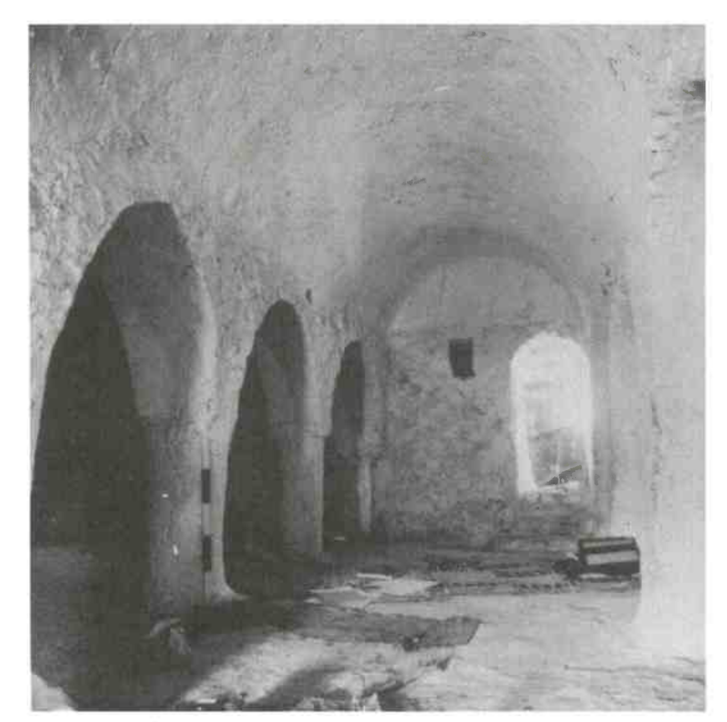
صورة -64-   الرواق الشمالي الغربي بمسجد أبى يحي بفرسطه



صورة -65- داخل مسجد أبى يحي، وإلى اليمين تبدو الحجرة الصغيرة التي كان يحتفظ فيها بالمخطوطات

صورة -67-   المدخل الجنوبي الغربي لمسجد أبى يحي بفرسطه

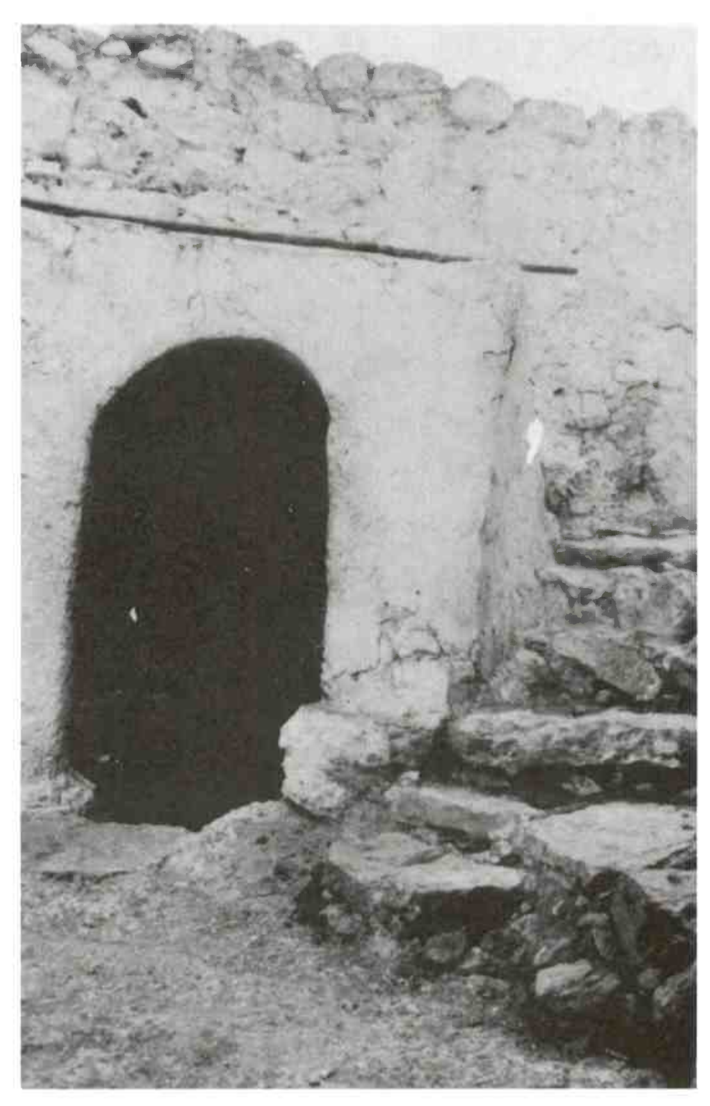
صورة -68-   فناء مسجد أبى يحي الفرسطائى



صورة -69-   الجدار الجنوبي الغربي بداخل مسجد أبى يحي



صورة -70-   فناء مسجد أبى يحي حيث تظهر الحجرة الخاصة بالزوار

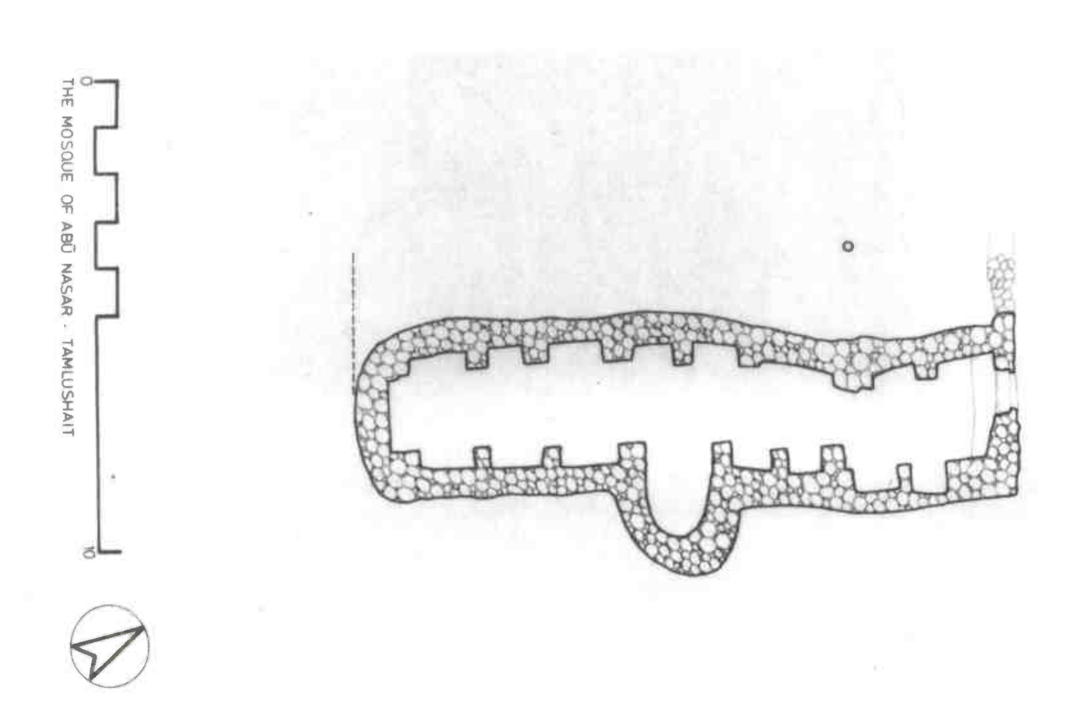


صورة -71- المدخل الرئيسي لمسجد أبي يحي، الذي يقع في الجدار الشمالي الشرقي

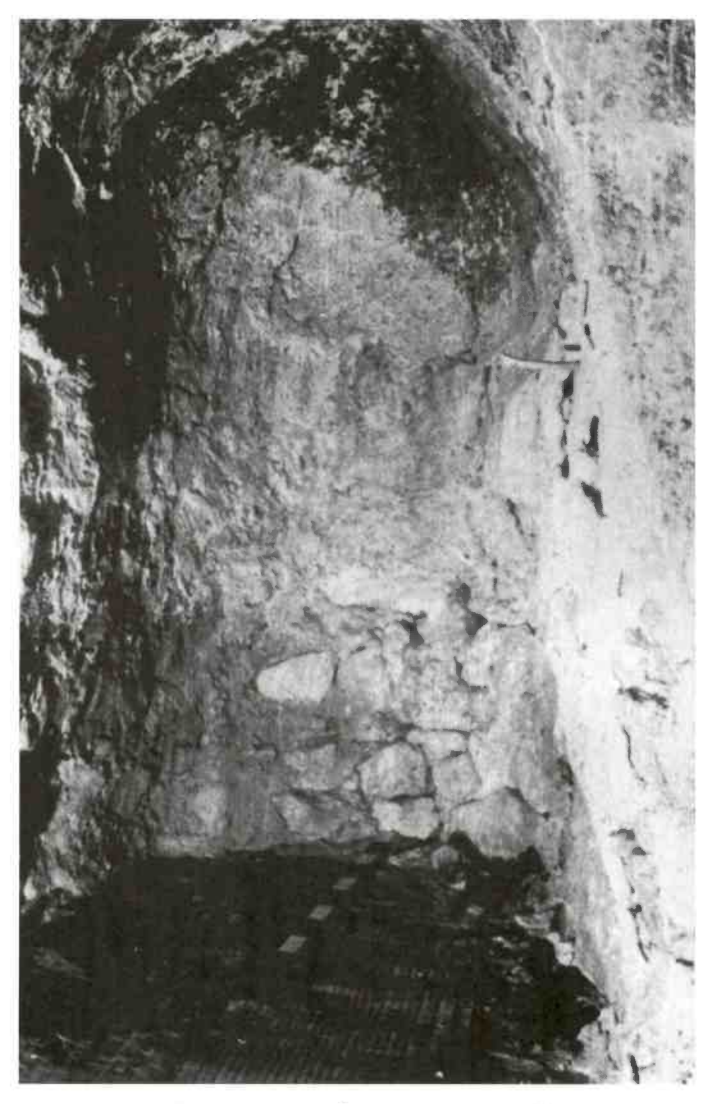


صورة -72-   بقية آثار لفرن صناعة الفخار على بعد أمتار من مسجد أبي يحي

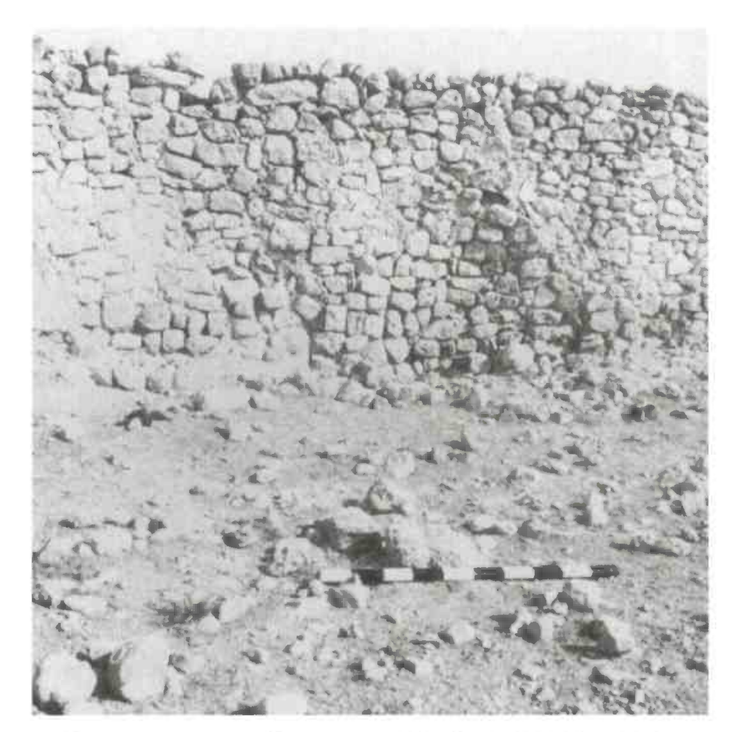
صورة -73-   مسجد أبي نصر بتملوشايت القديمة. ويظهر المحراب البارز عن الجدار باتجاه الجهة الجنوبية الشرقية



صورة -74- المخطط الأفقي الأرضي لمسجد أبى نصر بتملوشايت القديمة

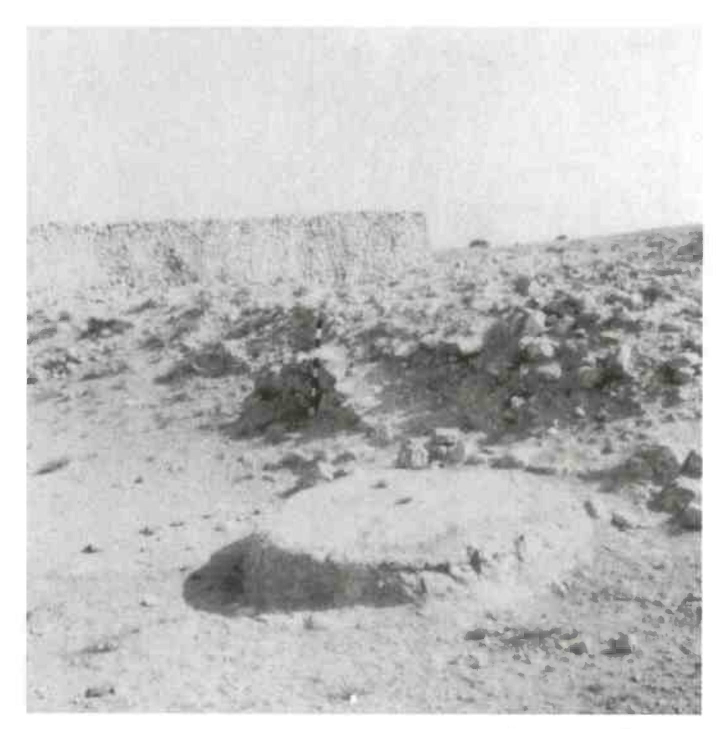


صورة -74-أ   محراب مسجد أبى نصر بتملوشايت القديمة

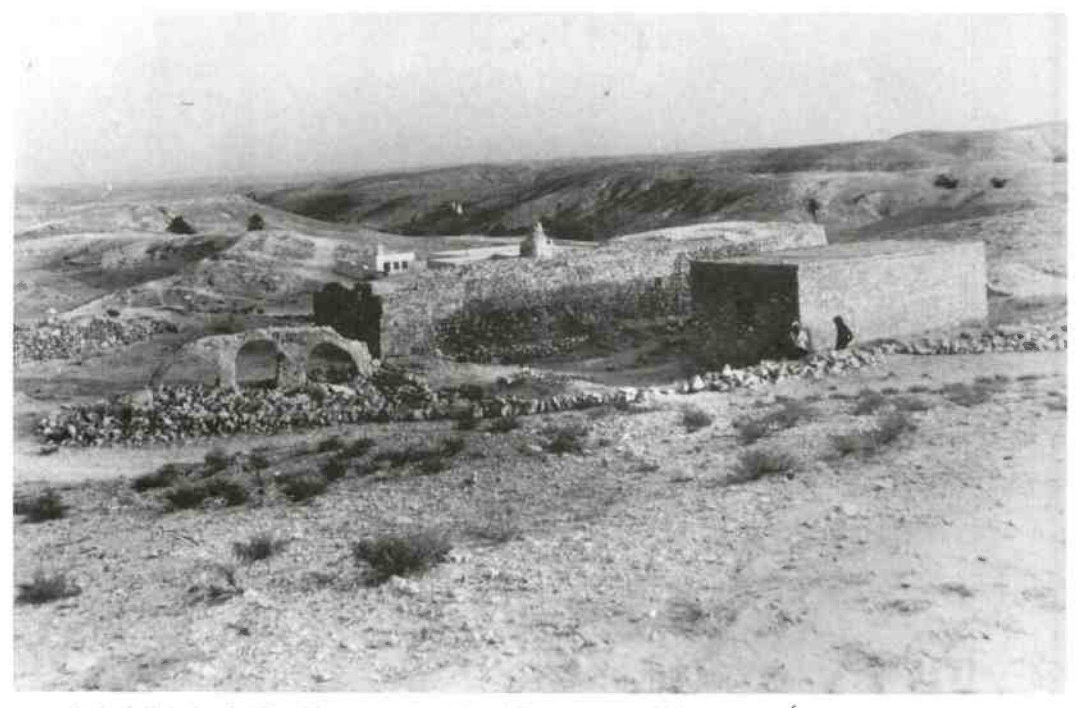


صورة -75-   الجدار الشمالي الغربي لمسجد أبى نصر. وهو ترميم لاحق

صورة -76- مسجد أبى نصر كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية بتملوشايت



صورة -77-   بقايا آثار لمسجد أبى نصر، وهي تمتد باتجاه الشمال الغربي من الرواق القائم الآن



صورة -78-   مسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية

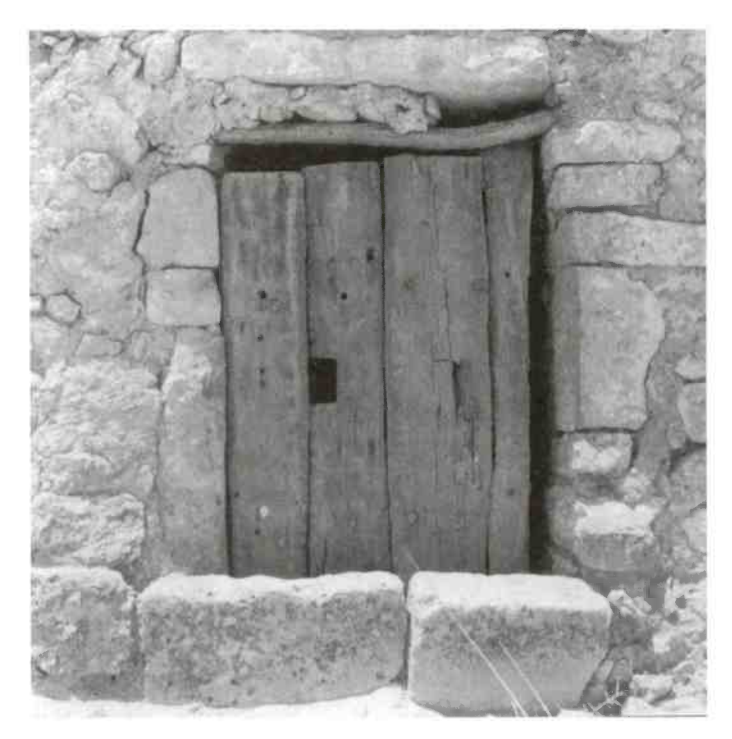


صورة -79-   جزء من الجدار الغربي لمسجد أبى منصور بتندميره القديمة

MOSQUE OF ABU MANSUR

0 10

صورة -80-   المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبى منصور بتندميره



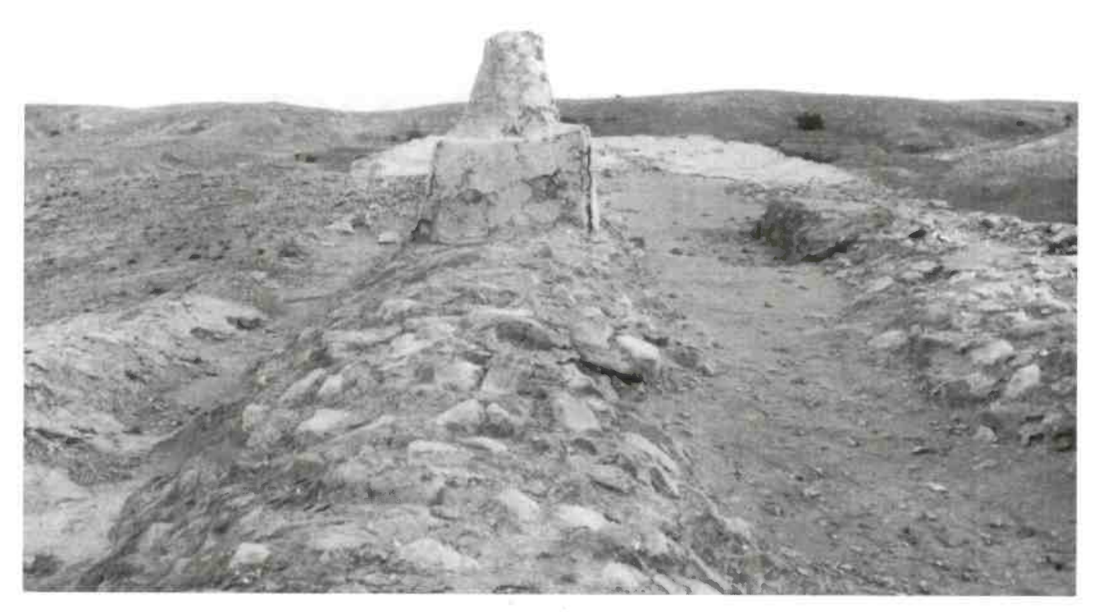
صورة -81- المدخل الرئيسي لمسجد أبى منصور الياس، الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية

صورة -82- الجار الشمالي الغربي لمسجد أبى منصور حيث يظهر المدخل الآخر

صورة -83-   الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أبى منصور، حيث تبدو آثار الترميم واضحة



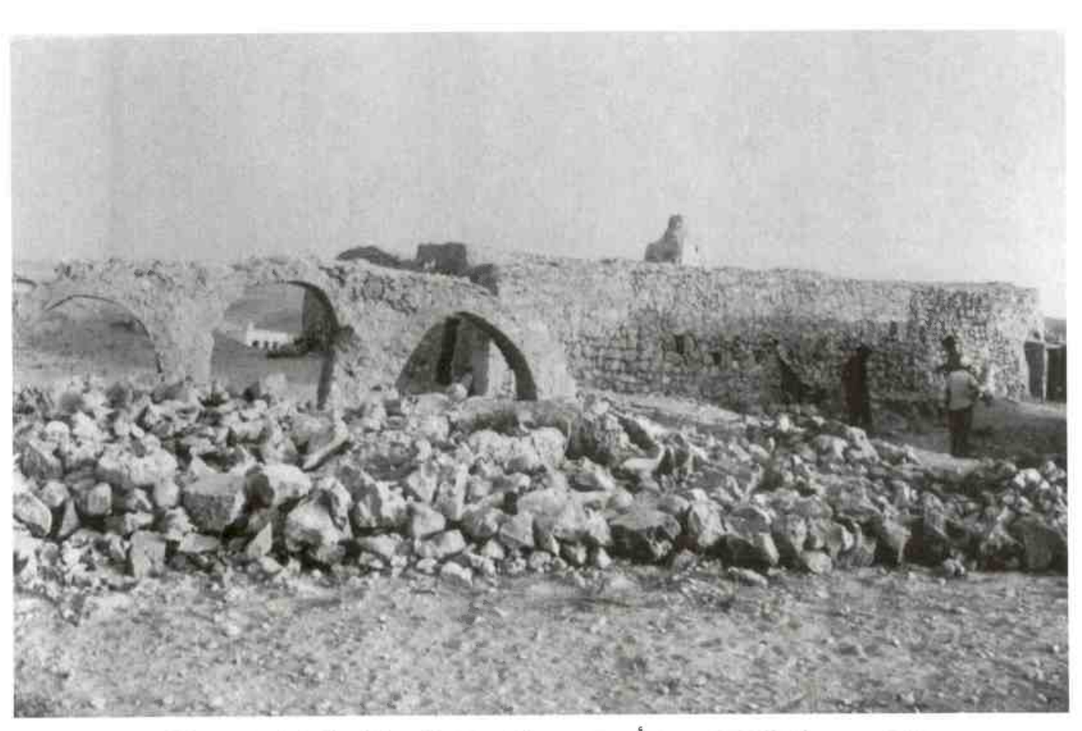
صورة -84-   الصمعة بمسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة



صورة -85-   الصمعة بمسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة



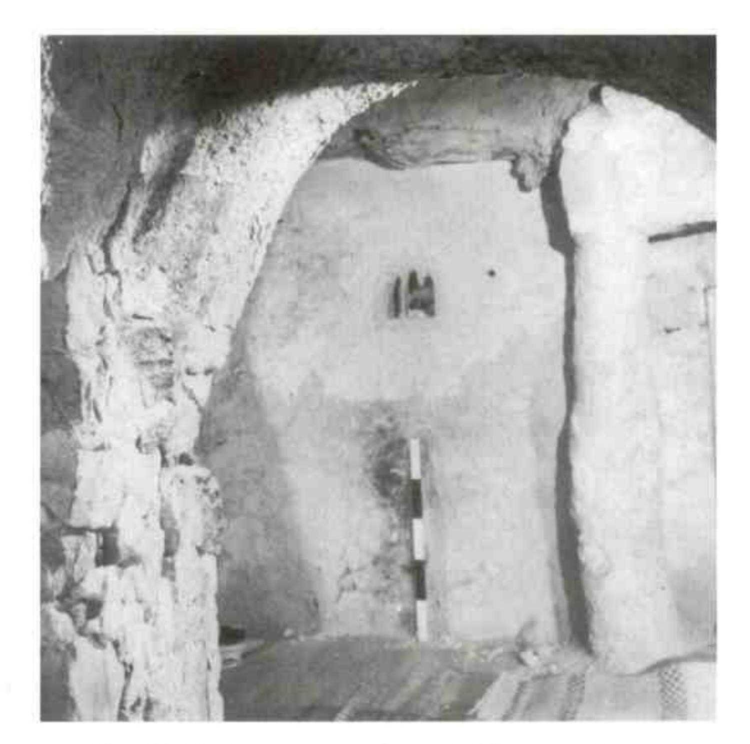
صورة -86-   الصمعة بمسجد أبى منصور الياس بتندميره القديمة



صورة -87-   حجرات الزوار لمسجد أبى منصور، التي تقع إلى الشمال الشرقي من المسجد



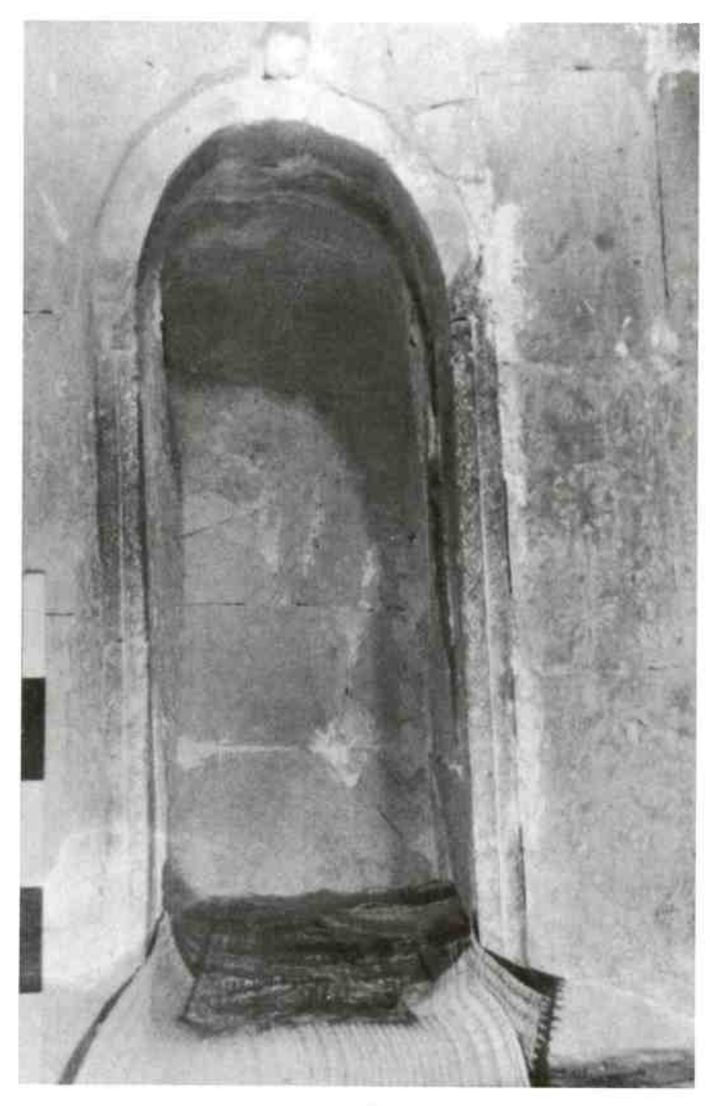
صورة -88- الكتابة الأثرية، التي تبدو على اليمين عند مواجهة المحراب



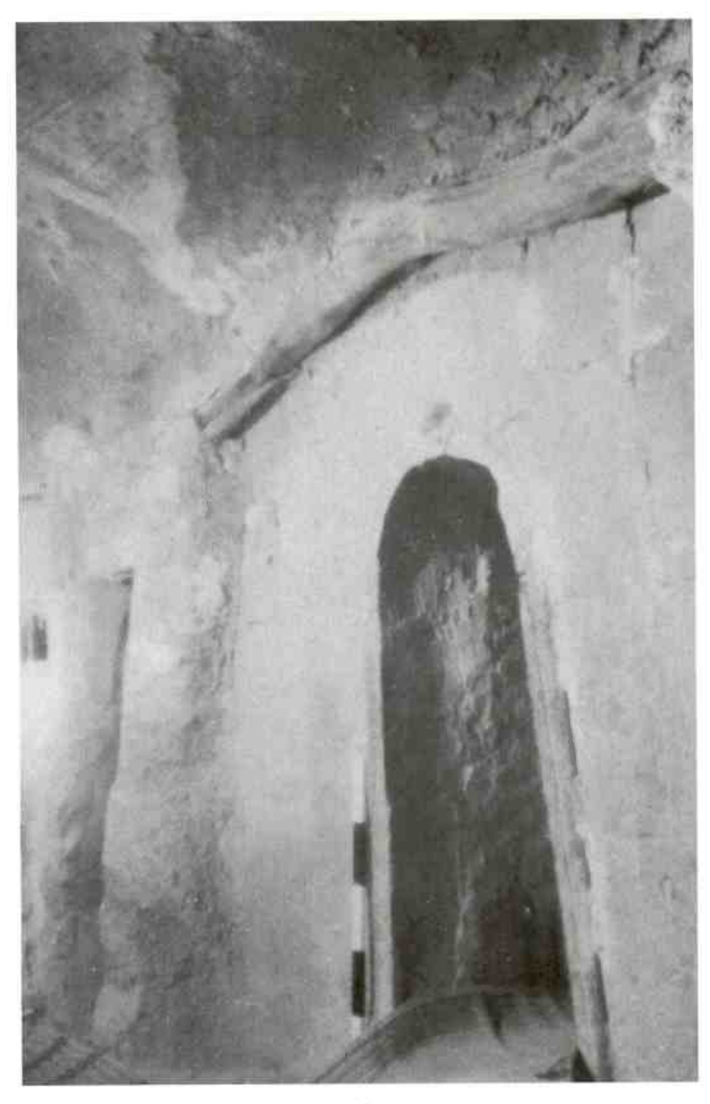
صورة -89-   لقطة لمسجد أبى منصور بداخل قاعة الصلاة



صورة -90-   تجويف بجدار القبلة إلى اليمين عند مواجهة المحراب



صورة -91-   محراب مسجد أبى منصور الياس بقرية تندميره



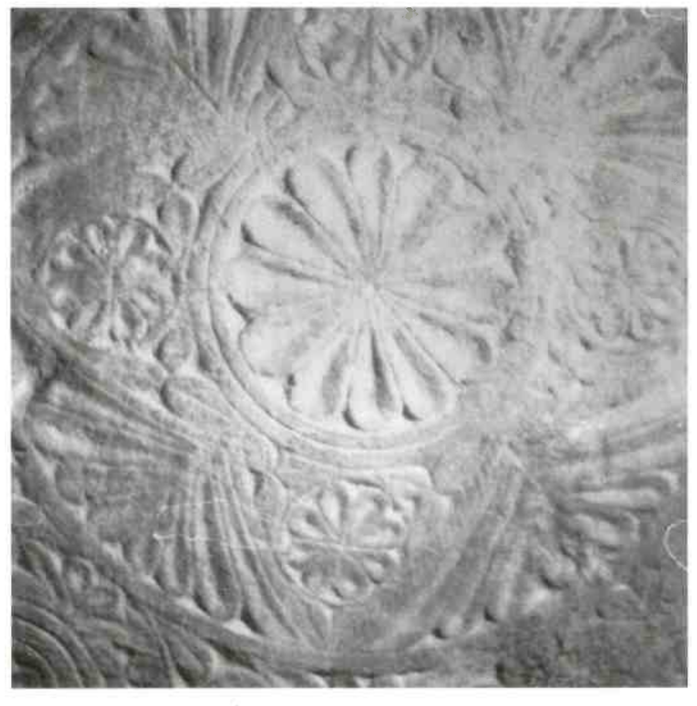
صورة -92-   محراب مسجد أبى منصور الياس بقرية تندميره



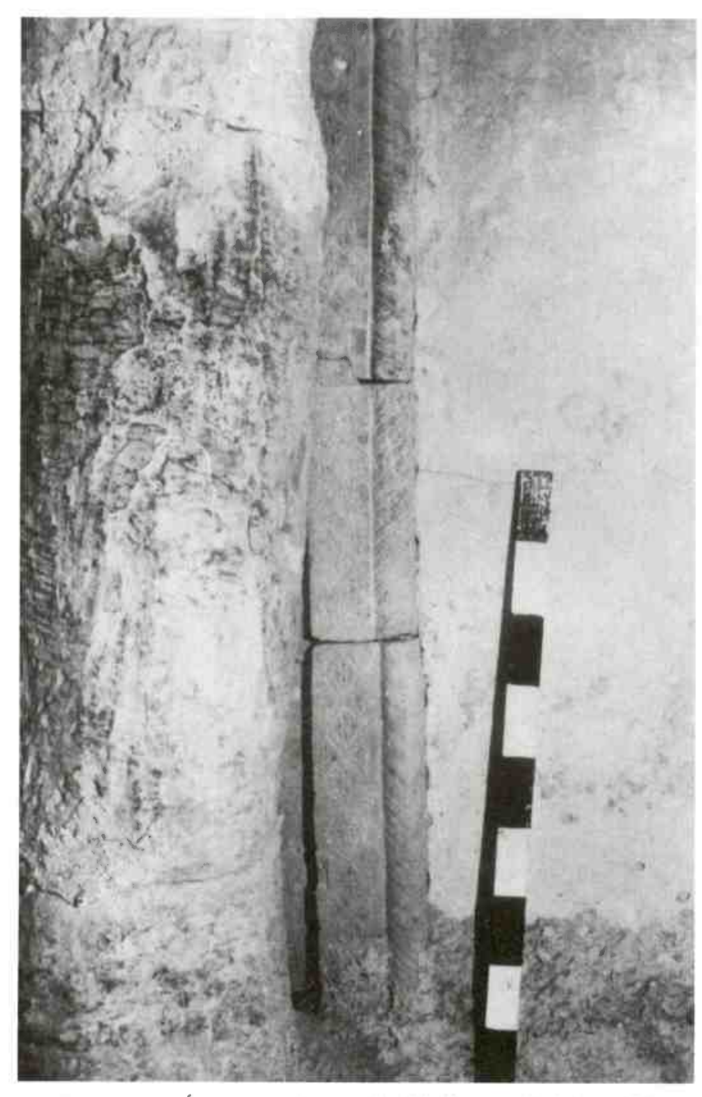
صورة -93-   محراب مسجد أبى منصور الياس بقرية تندميره



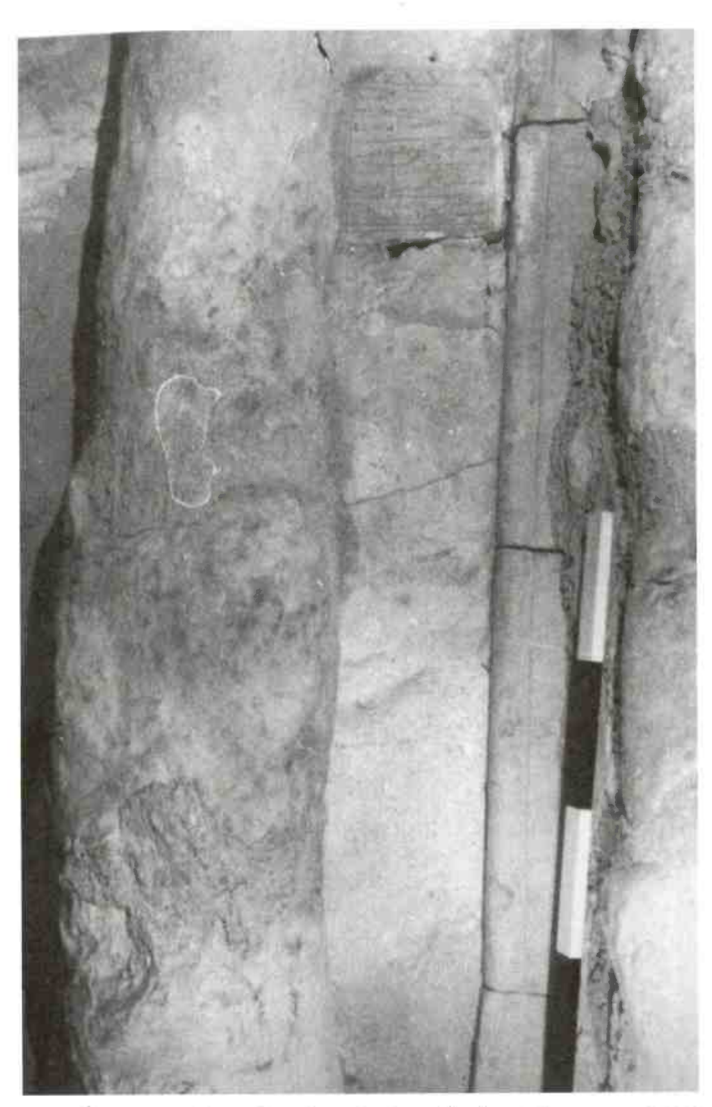
صورة -94-   زخارف تكتنف محراب مسجد أبى منصور بتندميره



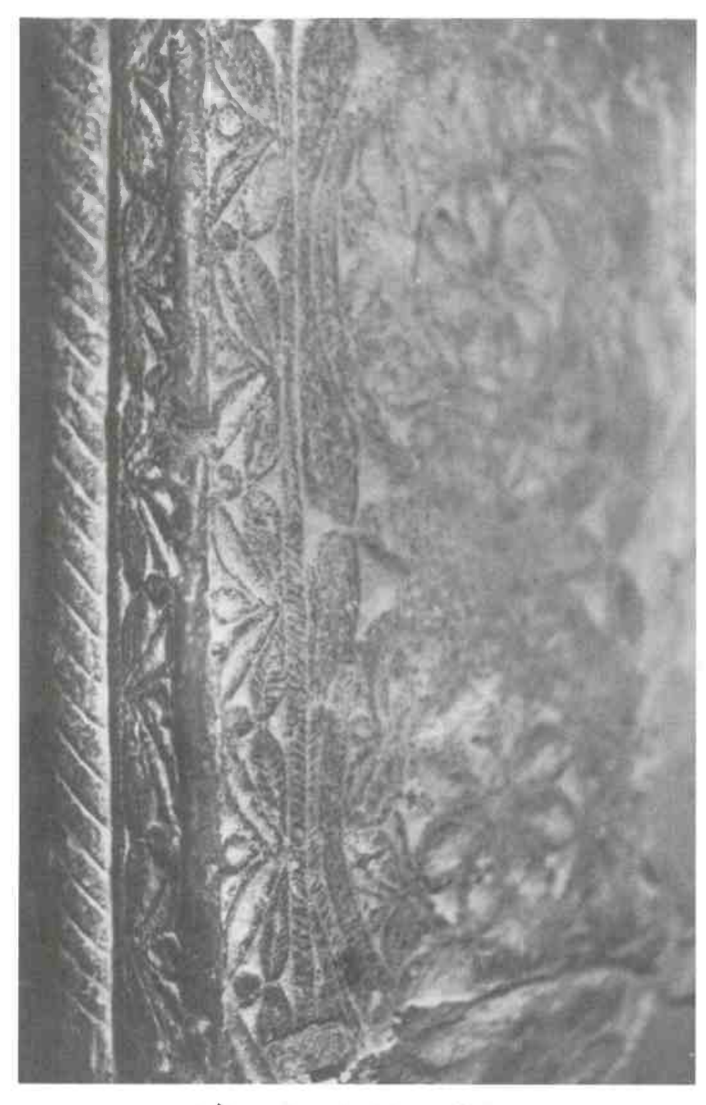
صورة -95-   زخارف تكتنف محراب مسجد أبى منصور بتندميره



صورة -96- زخارف إلى يمين الناظر إلى محراب مسجد أبى منصور بتندميره



صورة -97- عمود يظهر على اليسار عند مواجهة محراب مسجد أبى منصور



صورة -98-   زخارف داخل تجويف المحراب



صورة -99- زخارف داخل تجويف المحراب



صورة-100-   زخارف داخل تجويف المحراب



صورة-101- زخارف داخل تجويف المحراب



صورة-102- زخارف داخل تجويف المحراب



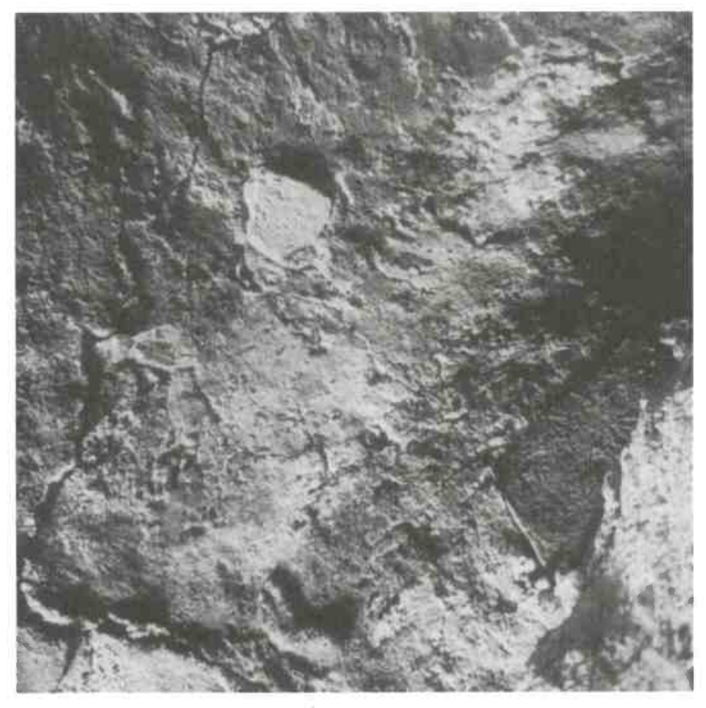
صورة-103-   زخارف داخل تجويف المحراب



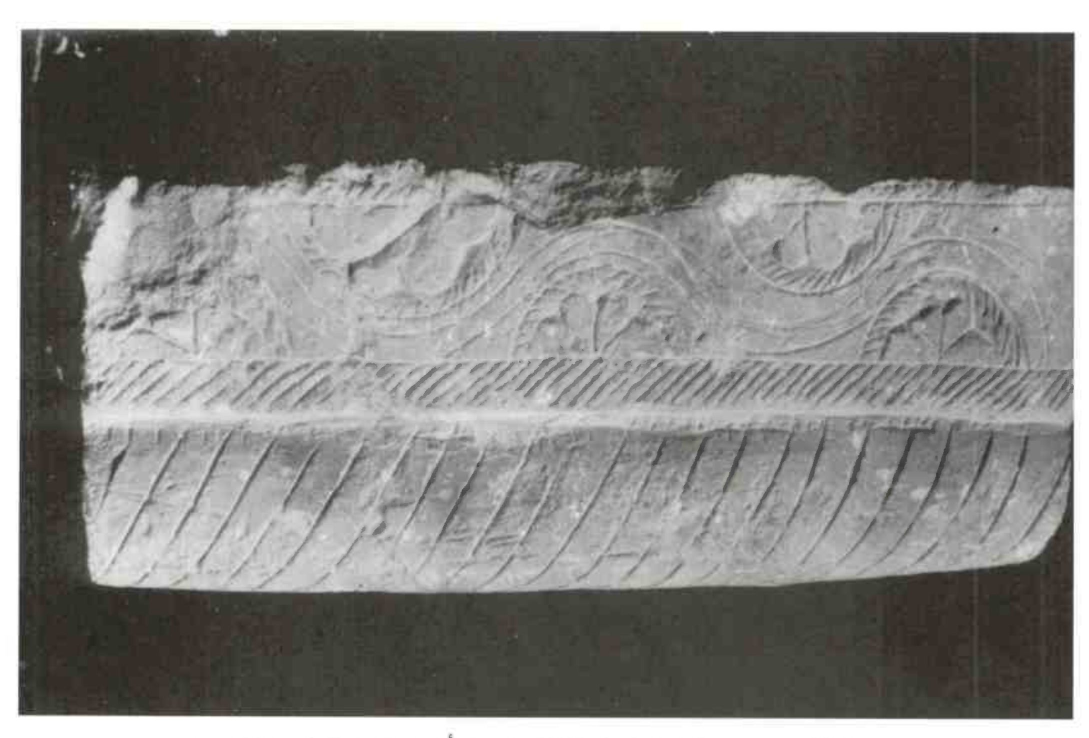
صورة-104-   محراب مسجد أبى منصور بتندميره حيث الحجران المثبتان في جدار القبلة



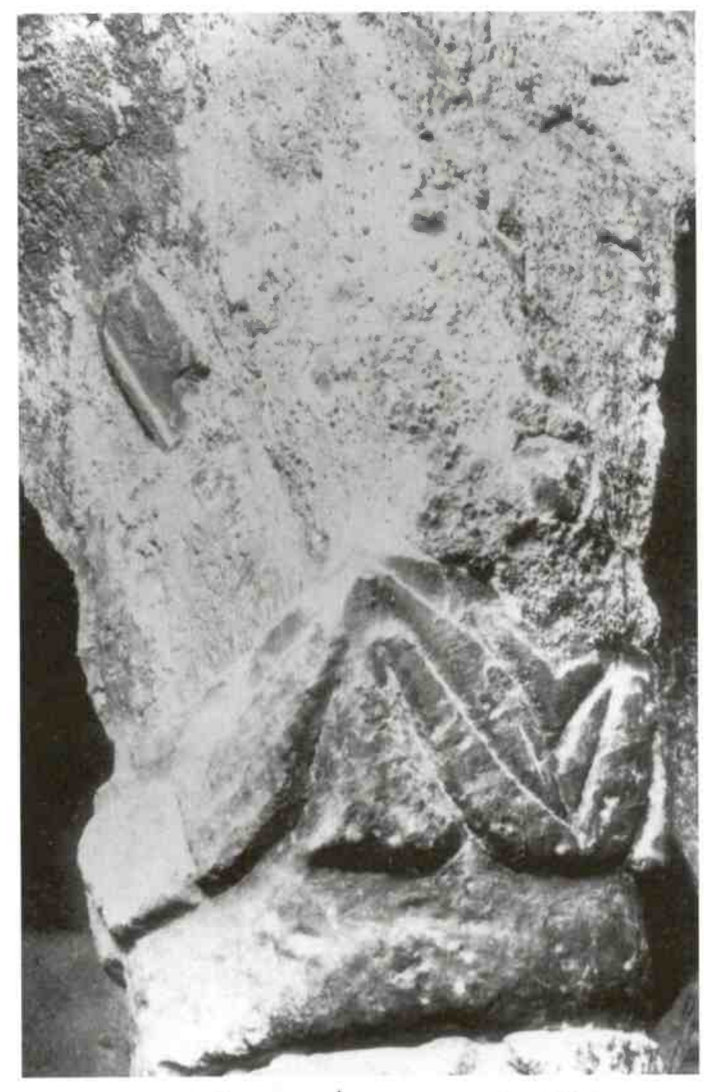
صورة-105-   حجر مزخرف بسقف مسجد أبى منصور نتيجة لأعمال الترميم



صورة-106-   حجر مزخرف بسقف مسجد أبى منصور نتيجة لأعمال الترميم



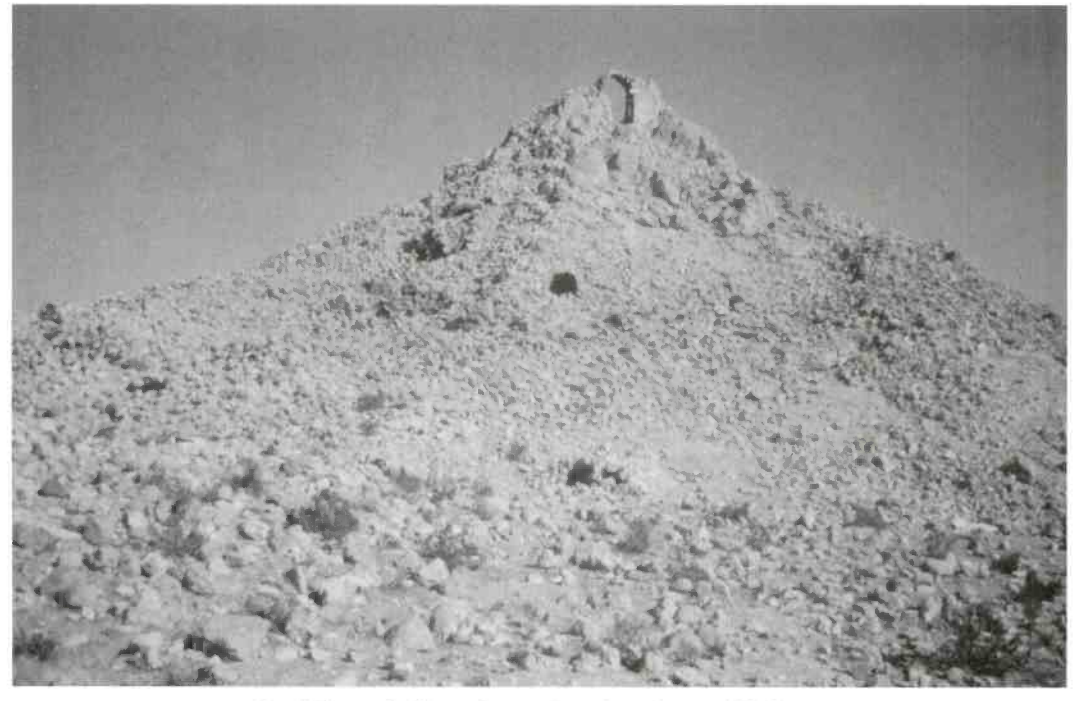
صورة-107-   حجر مزخرف وجد خارج مسجد أبى منصور الياس بتندميره



صورة-108-   تاج عمود بمسجد أبى منصور الياس بتندميره



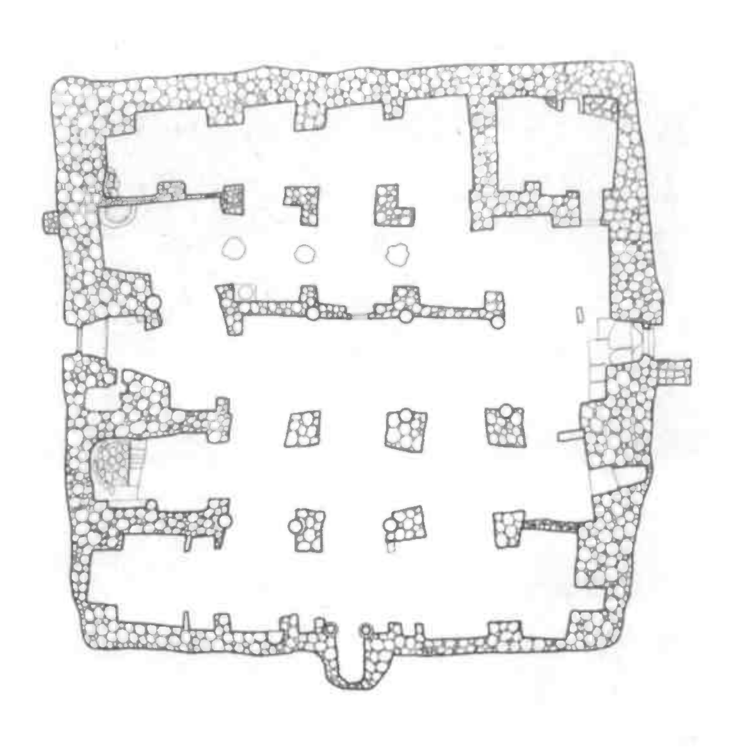
صورة-109-   منظر عام لمدينة شروس القديمة



صورة-110-   مبنى متصدع بوسط مدينة شروس القديمة

صورة -111-   بقايا آثار مبنى مكتبة جبل نفوسة القديمة بشروس

صورة -112-   مسجد شروس ومدخله الجنوبي الغربي





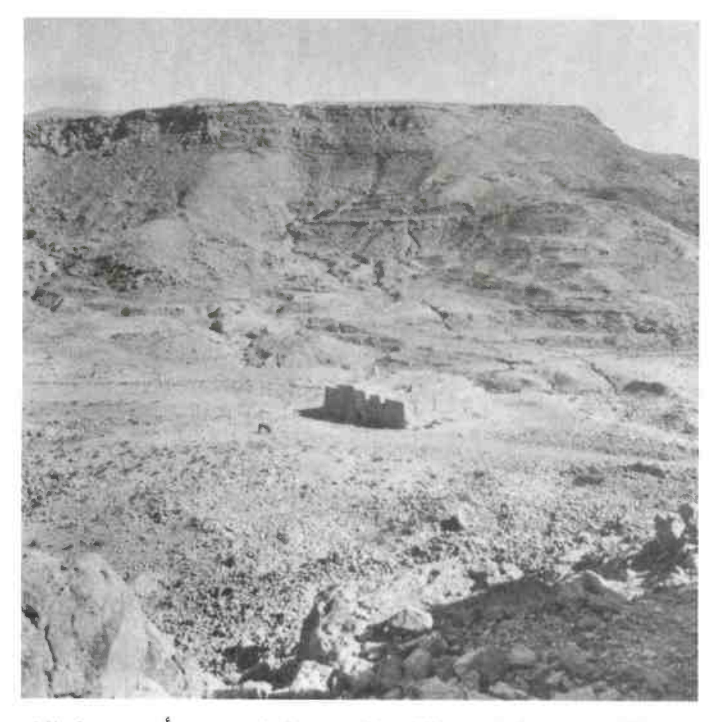
صورة -113- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد شروس

صورة -114-   الجدار الجنوبي الغربي لمسجد شروس

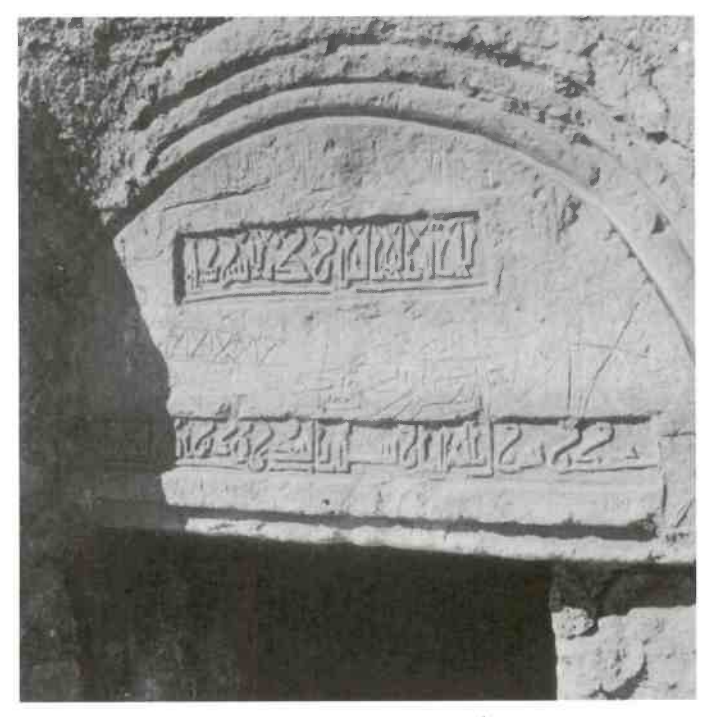


صورة -115-   مسجد شروس، حيث يبدو المحراب بارزاً إلى الخارج عن جدار القبلة

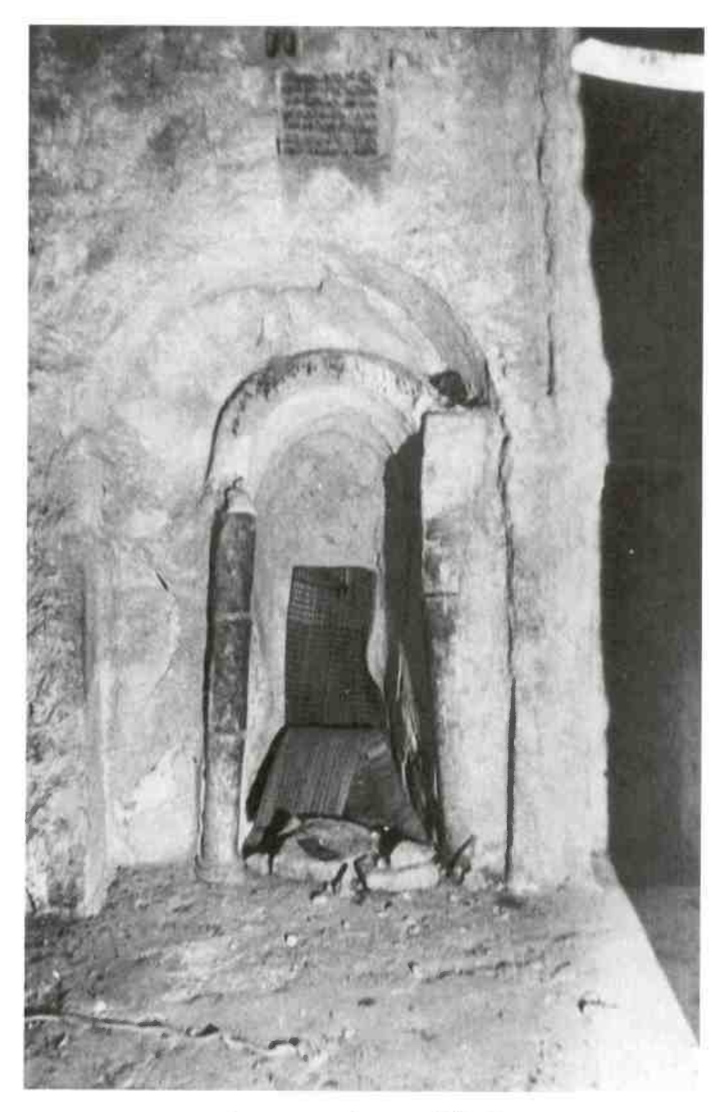
صورة -116-   مسجد شروس كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية و"الصمعة" فوق السطح



صورة -117-   مدينة شروس القديمة يتوسطها مسجد أبى معروف القديم



صورة -118- كتابة أثرية على المدخل الجنوبي الغربي لمسجد شروس



صورة -119-   محراب مسجد شروس



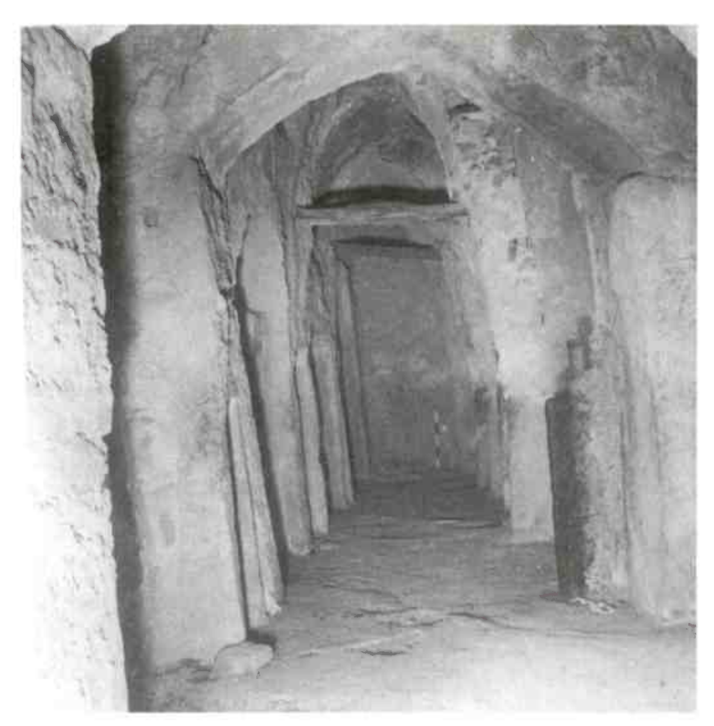
صورة -120- الكتابة الموجودة على جدار القبلة، إلى اليسار، عند مواجهة المحراب

صورة -121- كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس

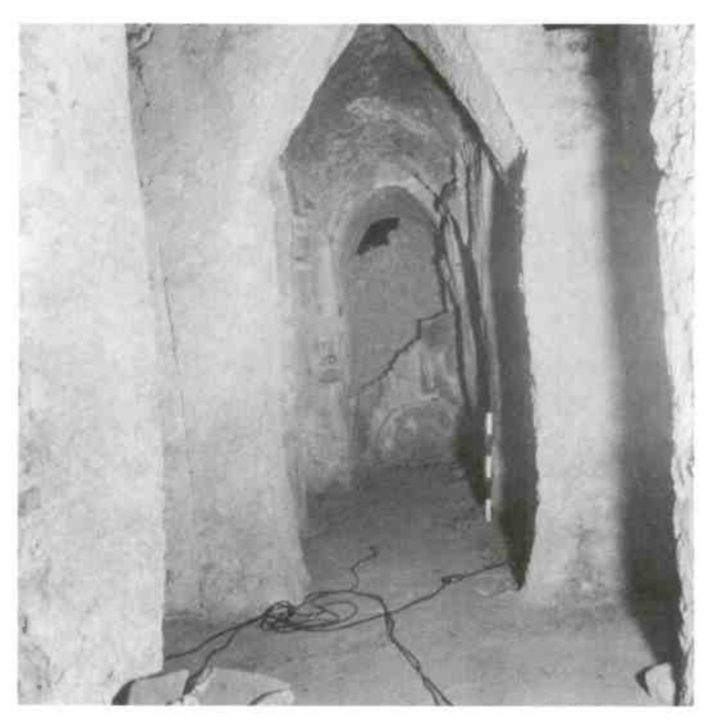
صورة -122- كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس



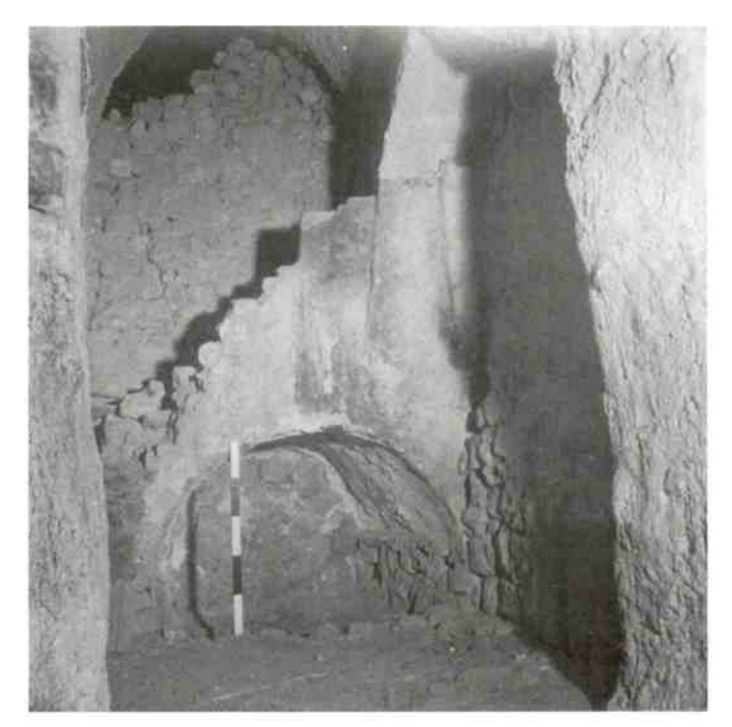
صورة -123- محراب مسجد شروس



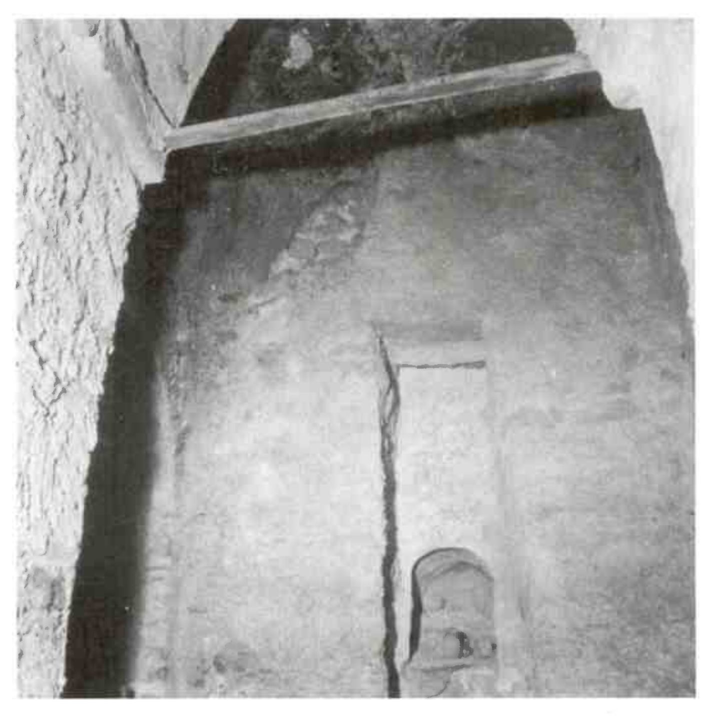
صورة -124- رواق القبلة بمسجد شروس



صورة -125- الرواق الثاني بقاعة الصلاة بمسجد شروس باتجاه الشمال الغربي



صورة -126-   الدرج الذي يقود إلى سطح مسجد شروس، والذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد



صورة -127-   تجويف في الجدار الشمالي الشرقي داخل قاعة الصلاة بمسجد شروس

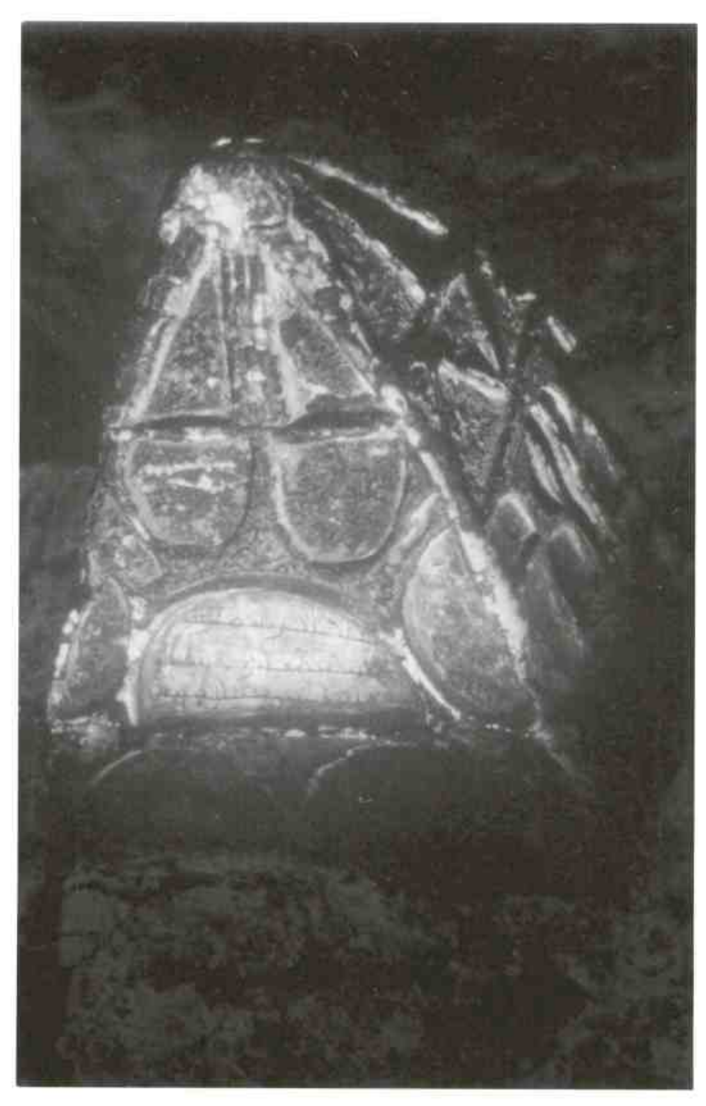
صورة -128-   حجر مزخرف مستعمل في حنية معقودة داخل مسجد



صورة -129-   الفتحة الموجودة بالجدار الفاصل داخل مسجد شروس



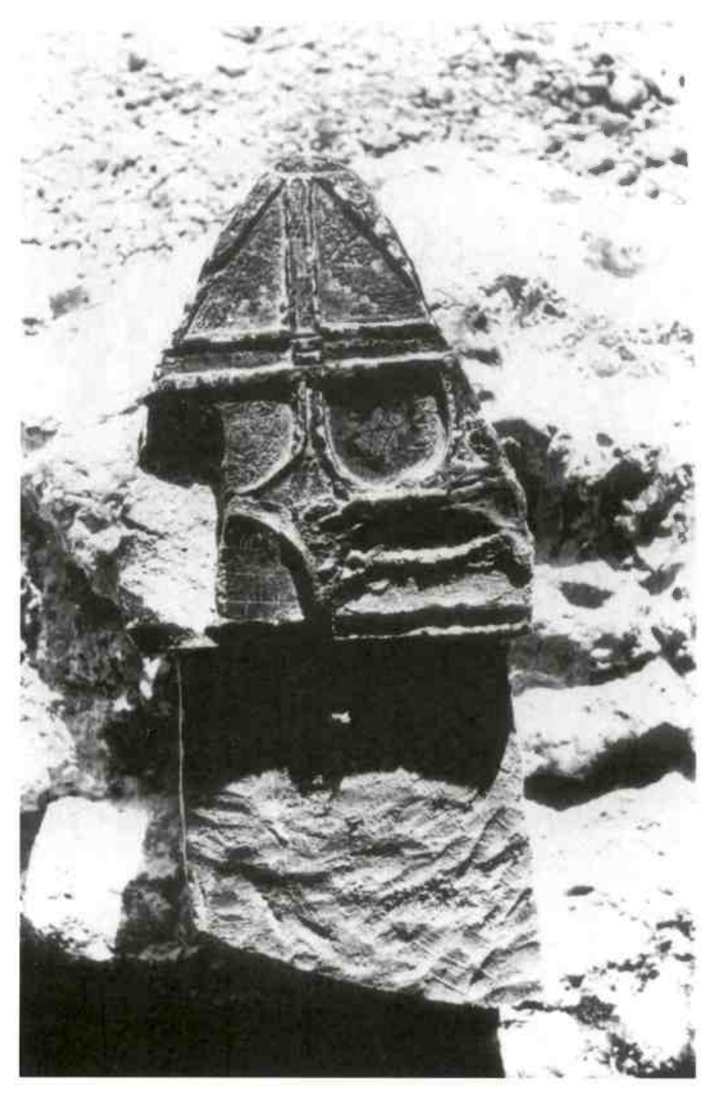
صورة -130- كتابة أثرية وزخارف على العقد الموجود بالجدار الحاجز



صورة -131- حجر مزخرف مثبت في الجدار الفاصل بقاعة الصلاة بشروس



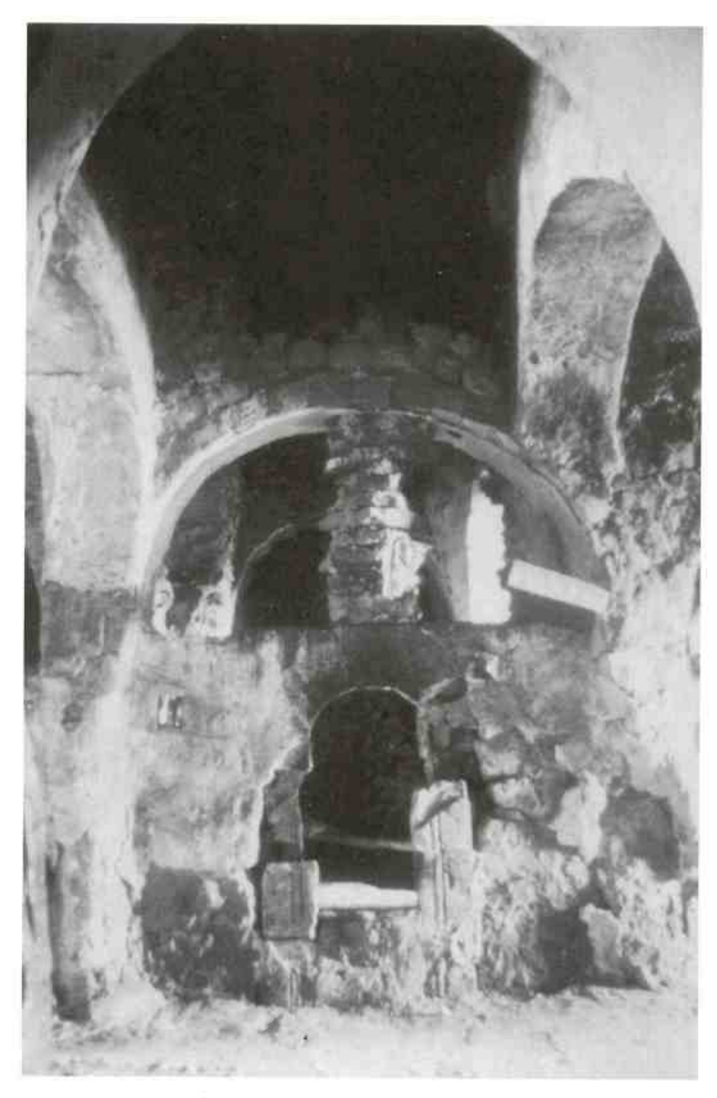
صورة -132-   حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس



صورة -133-   حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس



صورة -134-   قاعة الصلاة بمسجد شروس



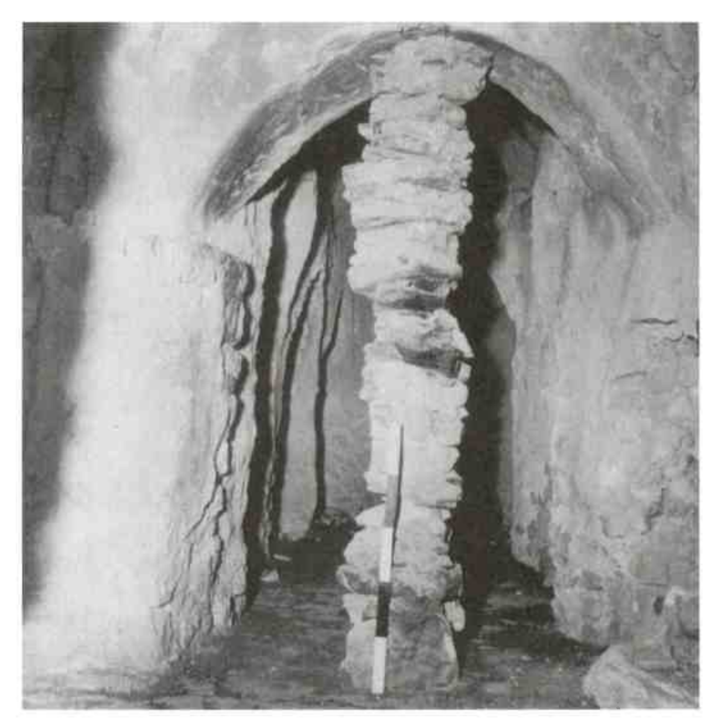
صورة -135-   قاعة الصلاة بمسجد شروس

صورة -136-   كتابة أثرية بالرواق الأوسط بمسجد شروس

صورة -137-   كتابات أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

صورة -138-   كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

صورة -139-   كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس



صورة -140-   الرواق الشمالي الغربي بمسجد شروس. حيث أثار الترميم

صورة -141-   كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس

صورة -142-   كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس



صورة -143-   كتابة وجدت بالرواق الأوسط لمسجد شروس بمواجهة جدار القبلة

صورة -144-   حجر مزخرف وجد بالجدار الشمالي الغربي بمسجد شروس



صورة -145-   الجدار الشمالي الغربي لمسجد شروس. وهو من آثار أعمال الترميم

صورة -146-   كتابة أثرية وجدت قريباً من مدخل الحجرة الصغيرة بمسجد شروس

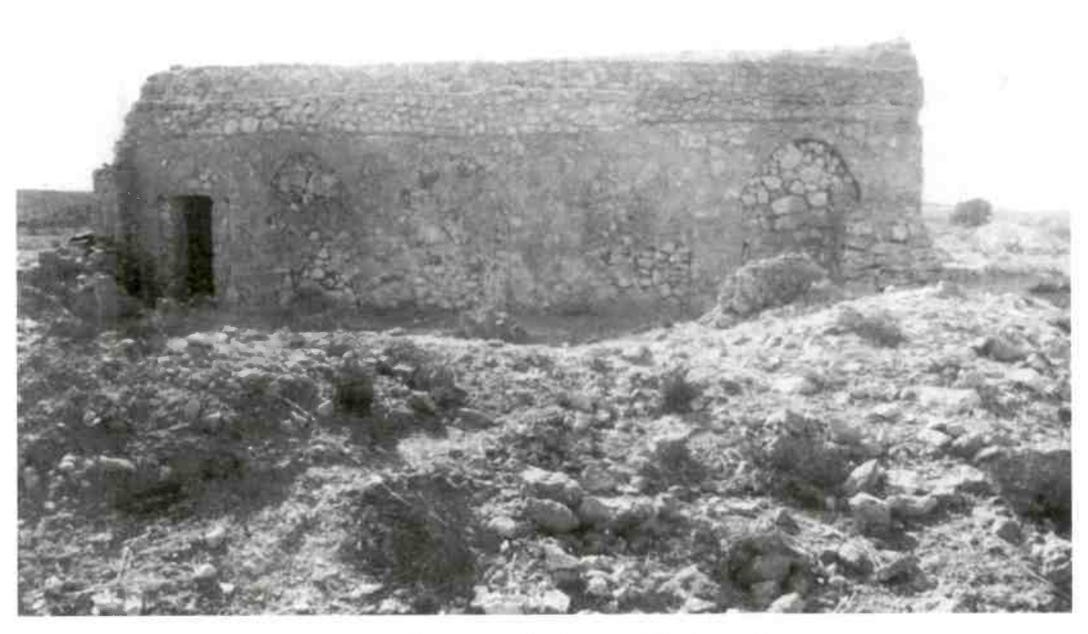
صورة -147-   كتابة أثرية عبرية وجدت بقرية تندميره القديمة



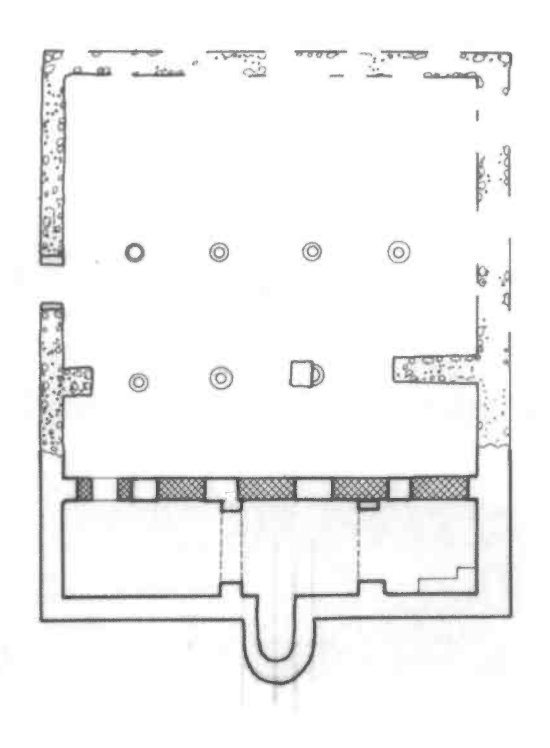
صورة -148-   كتابة أثرية عبرية وجدت بموقع المقبرة اليهودية بشروس

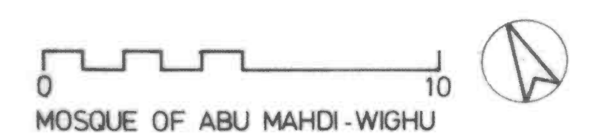
صورة -149-   الموقع الأثري لقرية ويغو القديمة

صورة -150-   مسجد أبى مهدى بويغو كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية



صورة -151-   الرواق الوحيد القائم بمسجد أبى مهدى الويغوى





صورة -152-   المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبى مهدى بقرية ويغو

صورة -153-   لقطة داخلية للرواق المتبقي من مسجد أبى مهدى بويغو

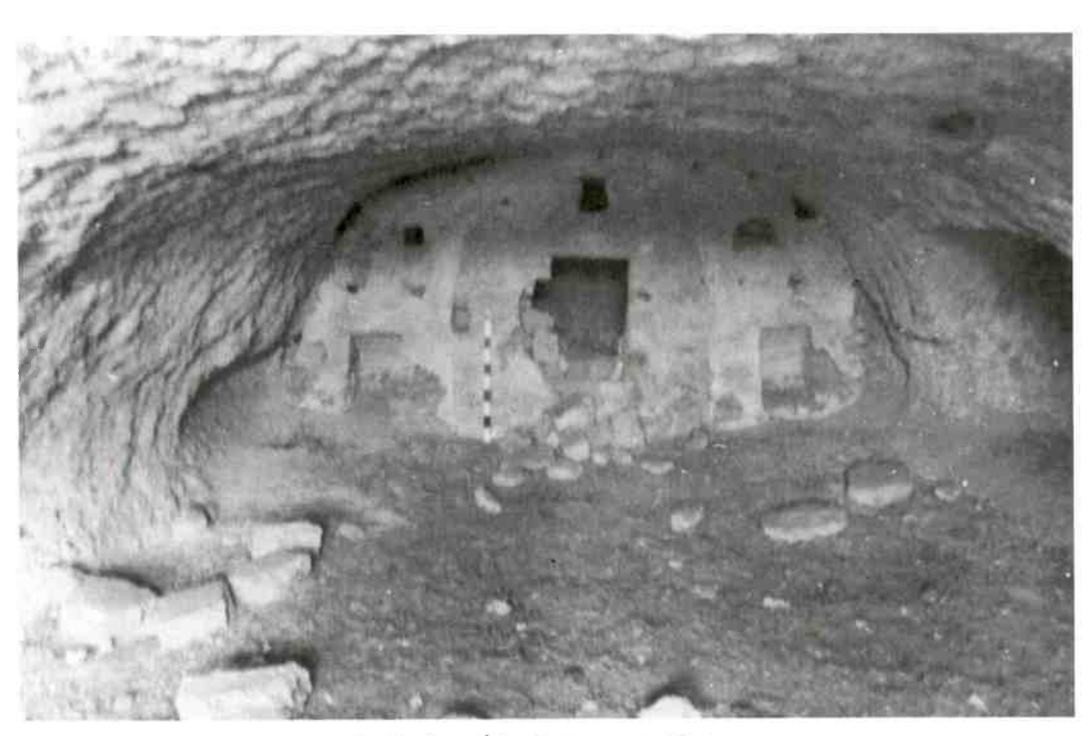


صورة -154-   المحراب البسيط بمسجد أبى مهدى بويغو

صورة -155-   مسجد أبى مهدى وبقايا امتداد جدران المسجد المتصدع بويغو

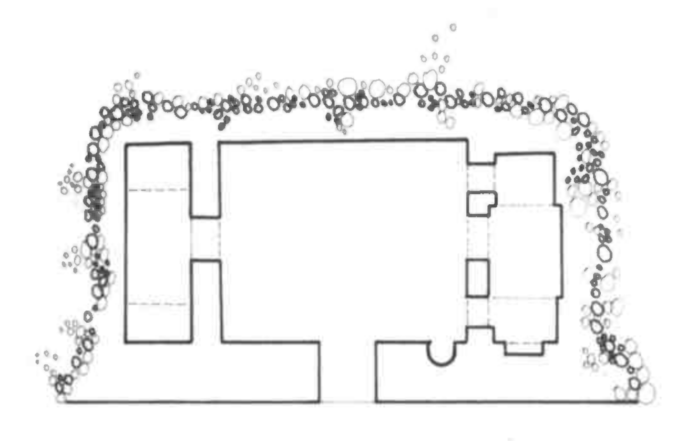


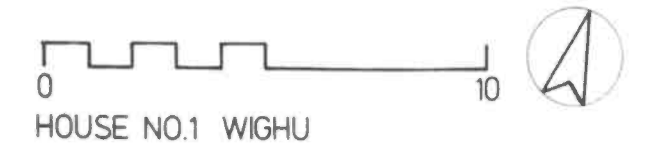
صورة -156-   مسجد أبى مهدى كما يبدو من الجهة الجنوبية الغربية



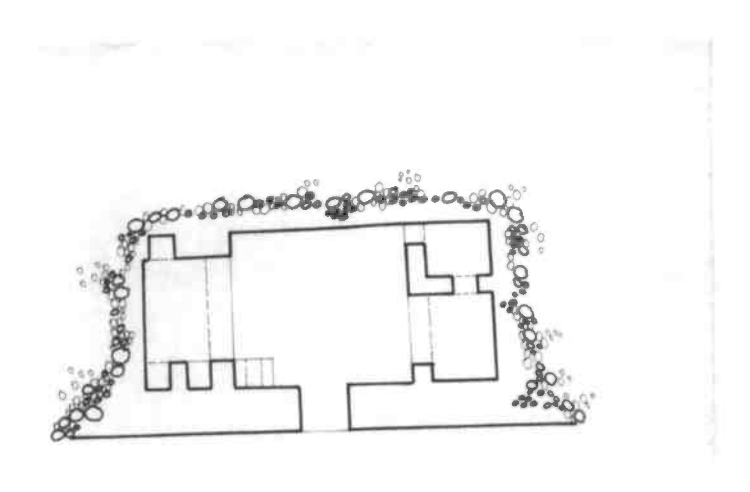
صورة -157-   منزل تحت الأرض بقرية ويغو

صورة -158-   منازل بقرية ويغو الأثرية





صورة -159-   المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة





صورة -160- المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة



صورة -161-   فناء منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية



صورة -162-   بقايا آثار منزل بقرية ويغو الأثرية

صورة -163-   منزل قديم بقرية ويغو، في الجنوب الغربي للقرية

صورة -164-   مدخل منزل المحراب بقرية ويغو



صورة -165-   مدخل لمنزل بقرية ويغو في الطرف الغربي للقرية



صورة -167-   داخل منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية

صورة -168-   الحجرة الرئيسية بمنزل الحراب كما تبدو من الجهة الجنوبية الغربي ويغو

صورة -169-   فناء منزل الحراب بقرية ويغو. والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي



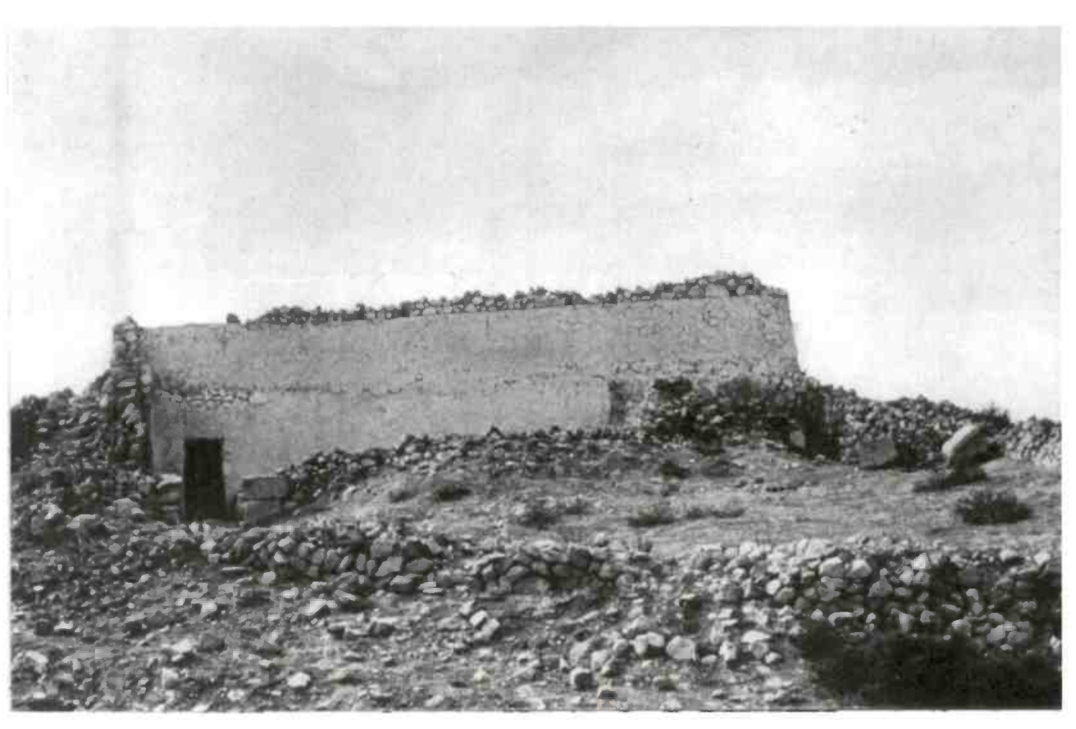
صورة -170-   فناء منزل الحراب بقرية ويغو، والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي



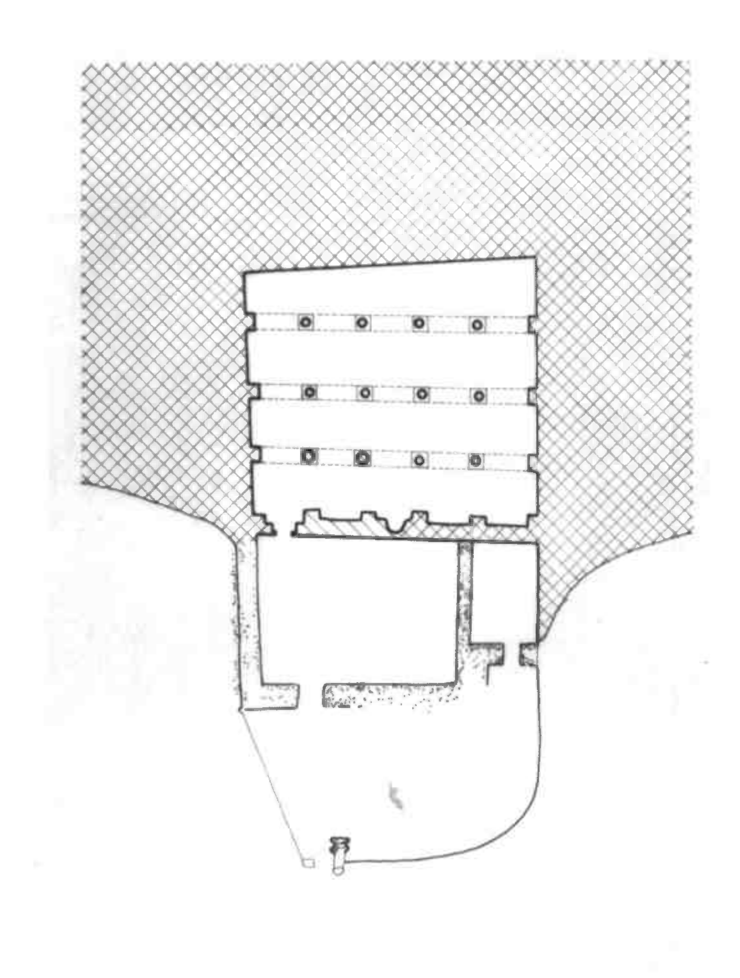
صورة -171-   بقايا أثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة

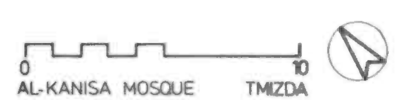
صورة -172-   بقايا أثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة

صورة -173-   سطح مسجد الكنيسة بمنطقة تمزدة

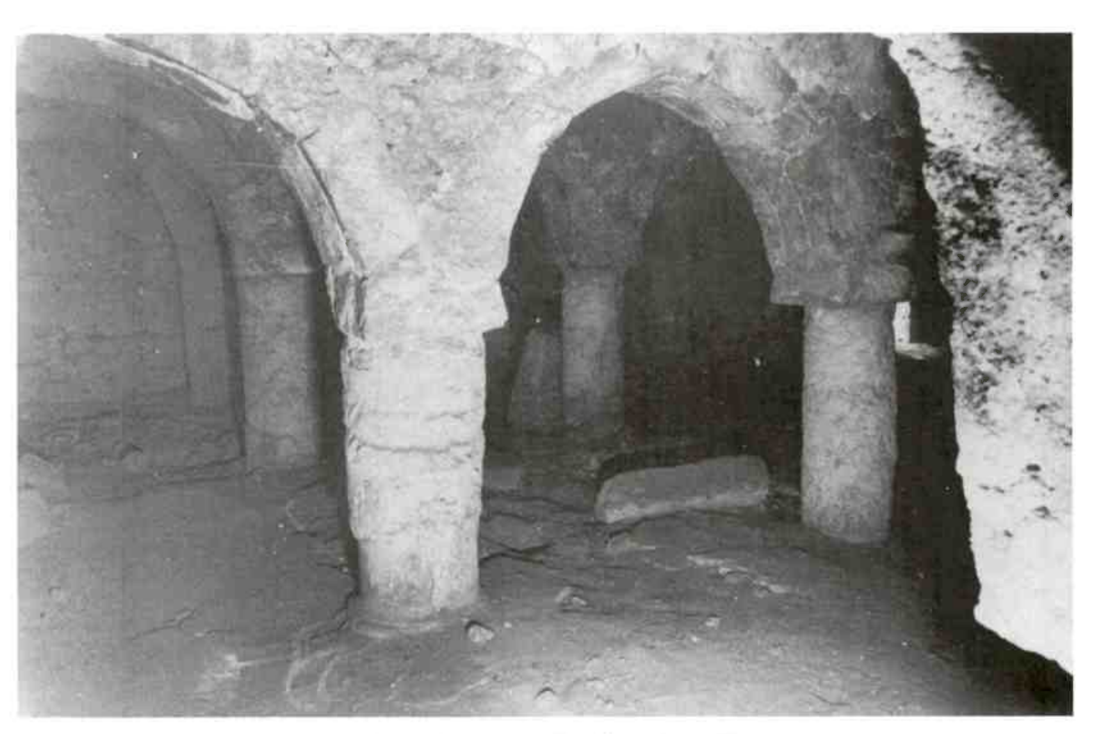


صورة -174- الجدار الجنوبي الشرقي لمسجد الكنيسة بتمزدة

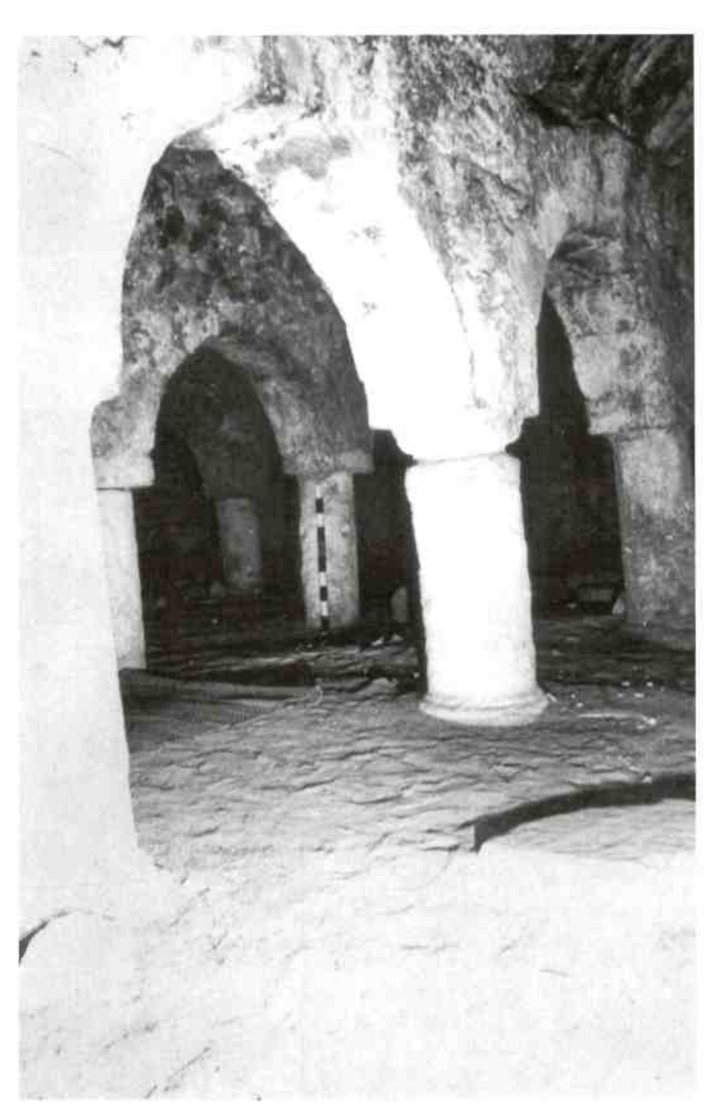




صورة-175-   قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة



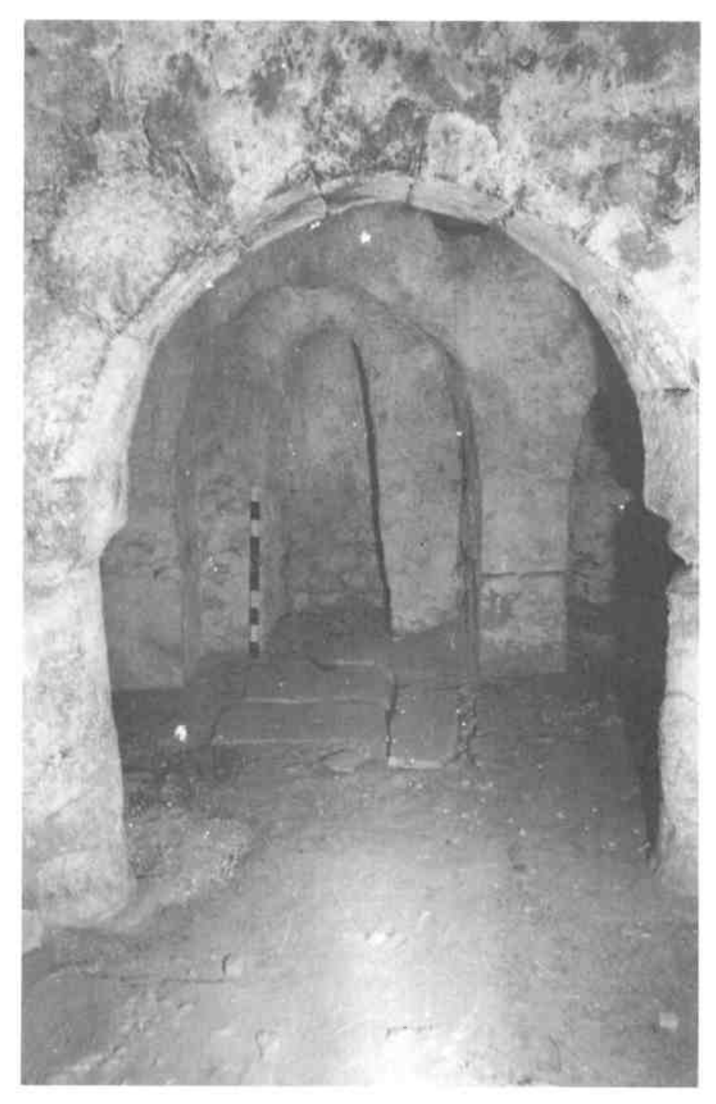
صورة-176-   قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة



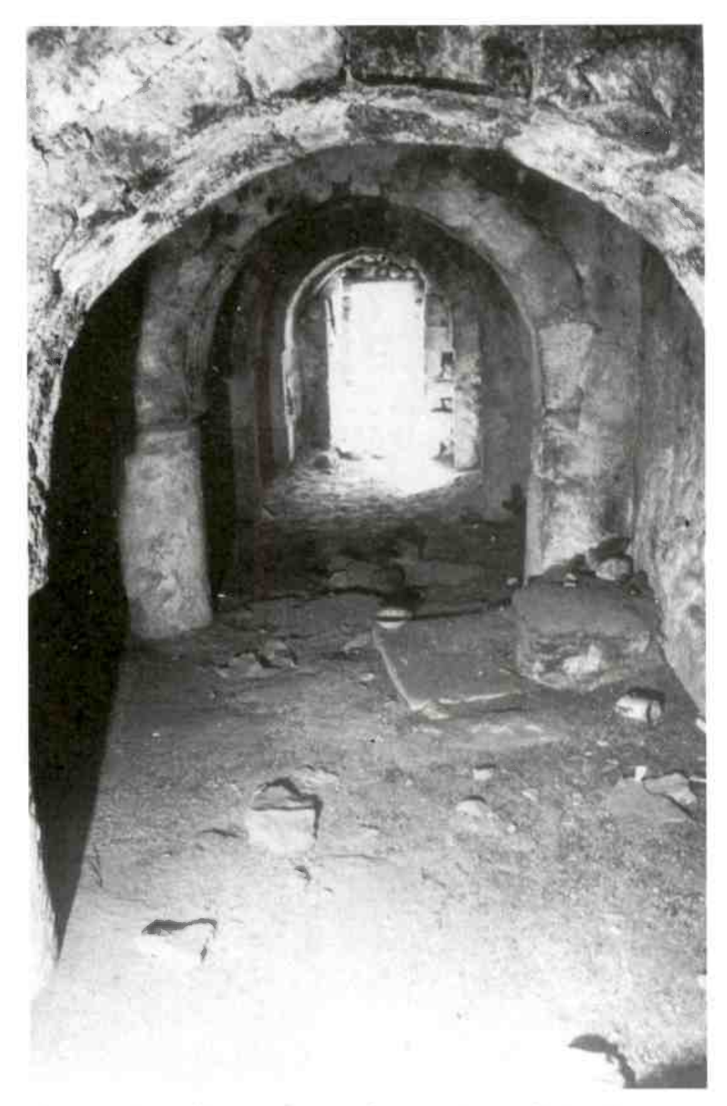
صورة-177-   قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة



صورة-178- لقطة لعمود من الأعمدة الموجودة بقاعة الصلاة لمسجد الكنيسة



صورة-179-   محراب مسجد الكنيسة بمنطقة تمزدة



صورة-180- المدخل الوحيد لمسجد الكنيسة الموجود بالجدار الجنوبي الشرقي



صورة-181-	قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة



صورة-182-   قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة

صورة-183-   قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة



صورة-184-   الجهة الجنوبية الشرقية لمسجد الكنيسة بتمزدة

صورة-185-   الجهة الجنوبية الشرقية لمسجد الكنيسة بتمزدة



صورة-186-   الفناء الخارجي لمسجد الكنيسة، الذي يميد باتجاه الجهة الجنوبية الشرقية

صورة-187-   أحجار رومانية ملقاة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد

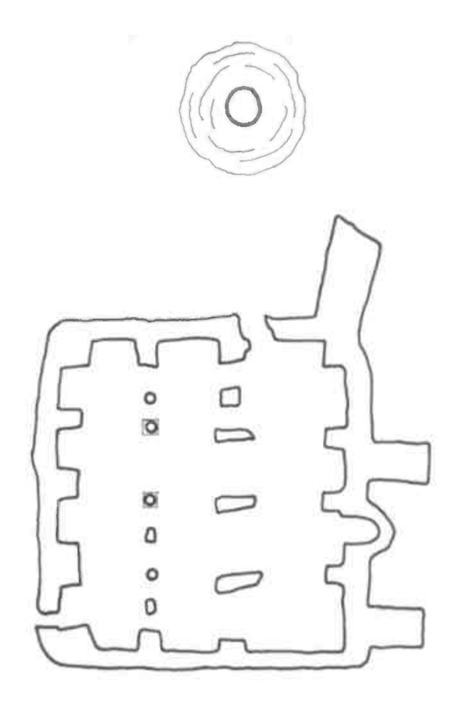
صورة-188-   بقية لعمود روماني موجود ليس بعيداً عن مسجد الكنيسة

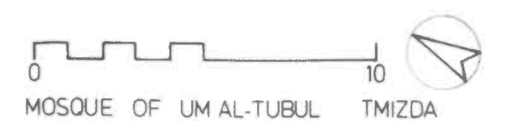


صورة -189-   مسجد أم الطبول كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية



صورة-190-   مدخل مسجد أم الطبول، الذي يقع في الجدار الشمالي الشرقي





صورة-191- المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أم الطبول



صورة-192- الجدار الجنوبي الشرقي لمسجد أم الطبول، ويظهر المحراب بارزاً عن الجدار



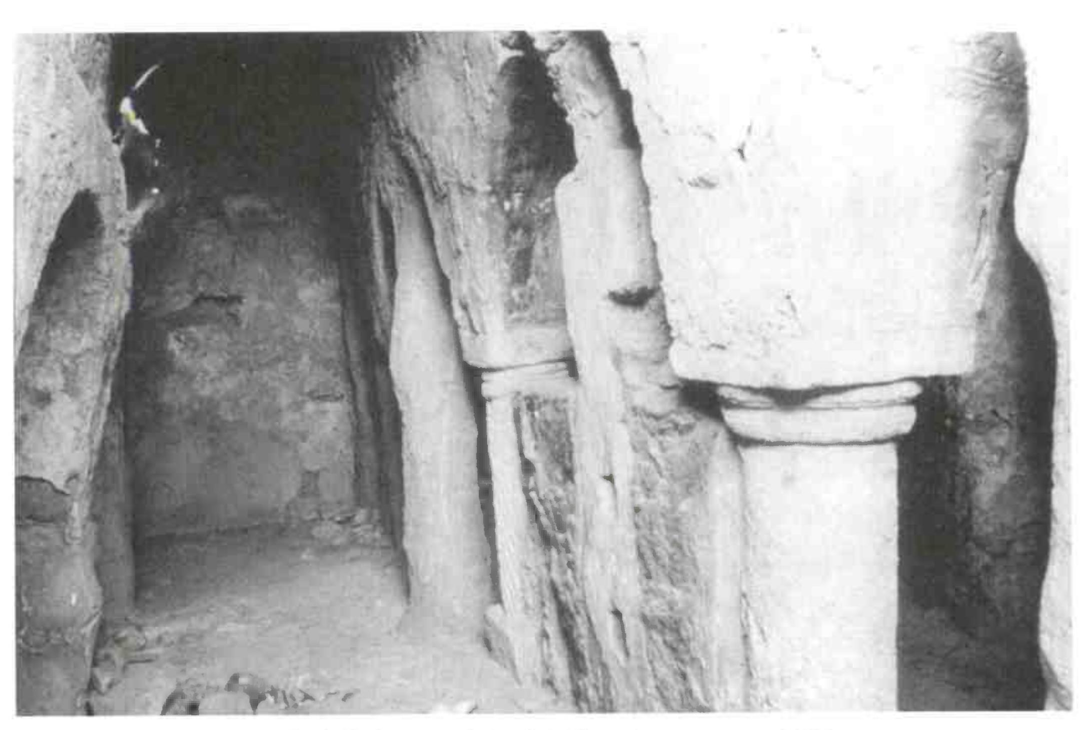
صورة-193- حجران مزخرفان وجدا على جدار القبلة بمسجد أم الطبول

صورة-194-   قاعة الصلاة بمسجد أم الطبول

صورة-195-   قاعة الصلاة بمسجد أم الطبول

صورة-196-   زخرفة جصية على الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أم الطبول

صورة-197-   زخرفة على حجر موجود على أحد الأعمدة بمسجد أم الطبول



صورة-198-   عمود روماني بقاعة الصلاة بمسجد أم الطبول بتمزده



صورة-199- عمود روماني بقاعة الصلاة بمسجد أم الطبول بتمزده



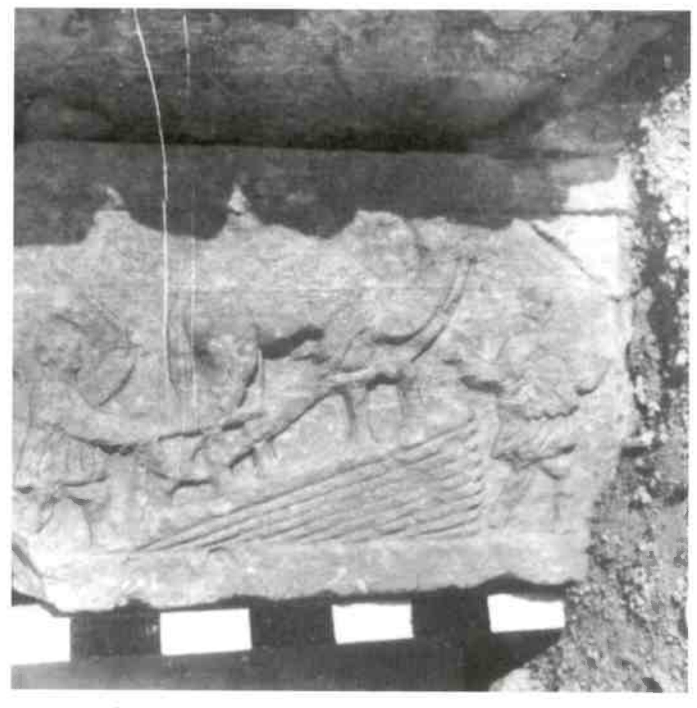
صورة -200-　الركن الشمالي الغربي لمسجد أم الطبول. تمزده



صورة-201-　مسجد أبي كار بمنطقة تمزدة



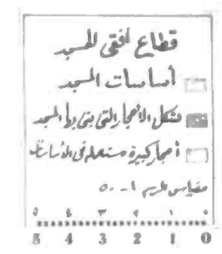
صورة-202- الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أبى كار بتمزده



صورة-203- حجر مزخرف إلى جانب مدخل مسجد أبى كار

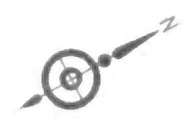


مسجد ابوكار
جادو









رسم عبد الوهاب عليوة

THE MOSQUE OF ABU KAR
JADU

صورة-204-   المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبى كار



صورة -205-   داخل مسجد أبى كار بمنطقة تمزده



صورة -206-   الجدار الشمالي الغربي لمسجد أبى كار بتمزده



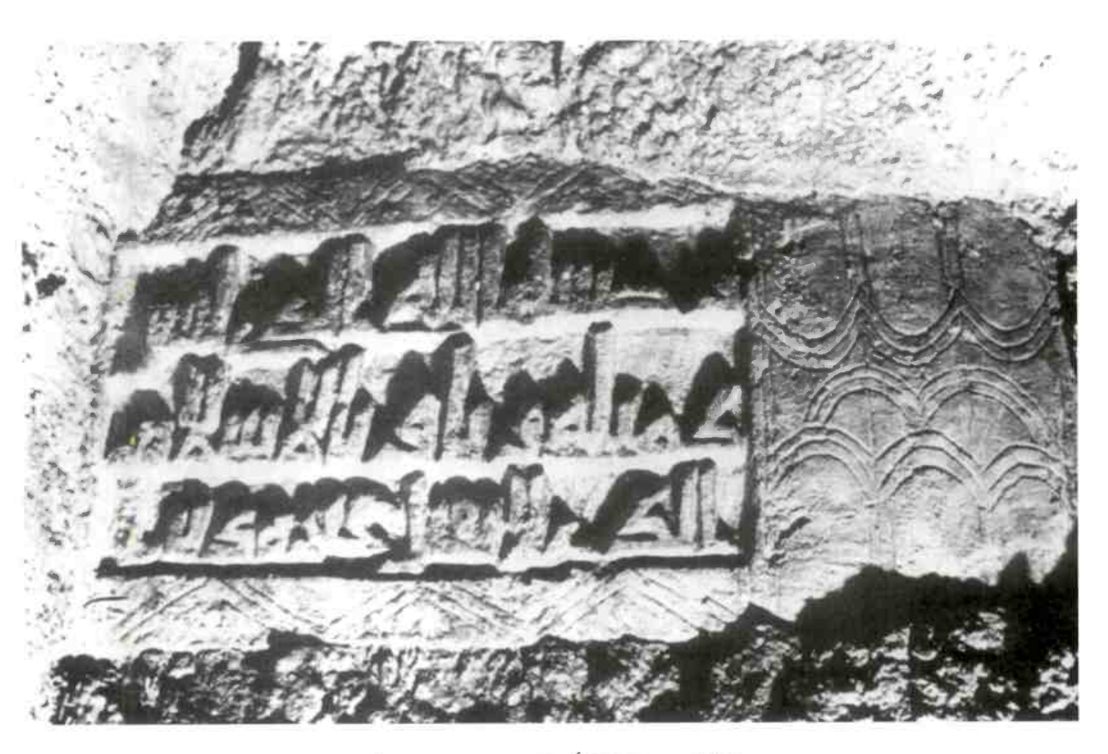
صورة -207-   بقايا أثار امتداد مسجد أبى كار الأصلي



صورة-208-   مدخل مسجد أبى كار بمنطقة تمزده

صورة-209-   كتابة أثرية وجدت مقابل محراب مسجد شروس في الرواق الأول

صورة-210-   كتابة أثرية وجدت بالجدار الفاصل بمسجد شروس



صورة-211- كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس



صورة-212-   كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

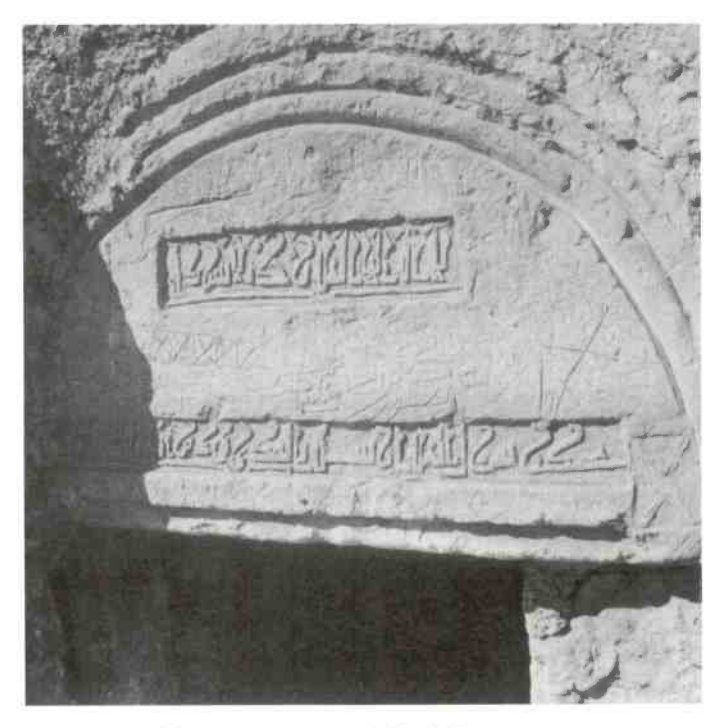


صورة-213-   كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

صورة -214-   كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

صورة-215-   كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

صورة -216-   كتابة أثرية وجدت على محراب مسجد شروس



صورة -217-   كتابة كوفية وجدت بمسجد شروس



صورة -218-   كتابة كوفية وجدت على محراب مسجد أبناين



صورة -219-   كتابة كوفية وجدت على محراب مسجد أبناين



صورة-220-   كتابة كوفية وجدت على مدخل مسجد تنومايت القديم

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem